موسوعة

الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

الكتاب الثامن



تأليف
علي باپير

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

دار الحكمة
لندن



هذا الكتاب

هو الكتاب الثامن من موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله) والتي يسر الله الوهاب الكريم لي تأليفها في ضوء أنوار كتابه المبارك، في غضون (22) شهراً، التي أمضيتها في سجن: (كروبر الأمريكي) من: (2003/7/10 الى: 2005/4/28م).

وأَفْرَدْنا هذا الكتاب الثامن كُلَّه لِبحث اليوم الآخر، فتناولْنا فيه مواضيع كثيرة أَهمُّها:

- معنى الإيمان باليوم الآخر.
- أَهَمِّيةُ الإيمان باليوم الآخر، ومكانتهُ.
- براهين الإيمان باليوم الآخر.
- مراحلُ اليوم الآخر، ومقدِّمتُهُ.
- جَهَنَّمُ وما فيها من صنوف العذاب.
- الجنَّة وما فيها من النَّعيم المقيم.
- حكمة إخفاءِ موعد الساعة.
- أشراط الساعة.
- الجنة والنار مخلوقتان وهما موجودتان الآن.
- مصير أصحاب الكبائر من أهل الإيمان.
- نشأة الآخرة تختلف عن نشأة الدنيا فى كثير من الأمور.
- وفي الختام هناك حديث مختصر عن الإيمان بالقدر.



DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

88 Chalton Street
London NW1 1HJ
Tel: 44 (0) 20 7383 4037

Email: hikma_uk@yahoo.co.uk
Web site: www.hikma.co.uk

ISBN
978 1 78481 086 3



الإيمان باليوم الآخر

وبحث مختصر حول القدر

تأليف
علي باپير

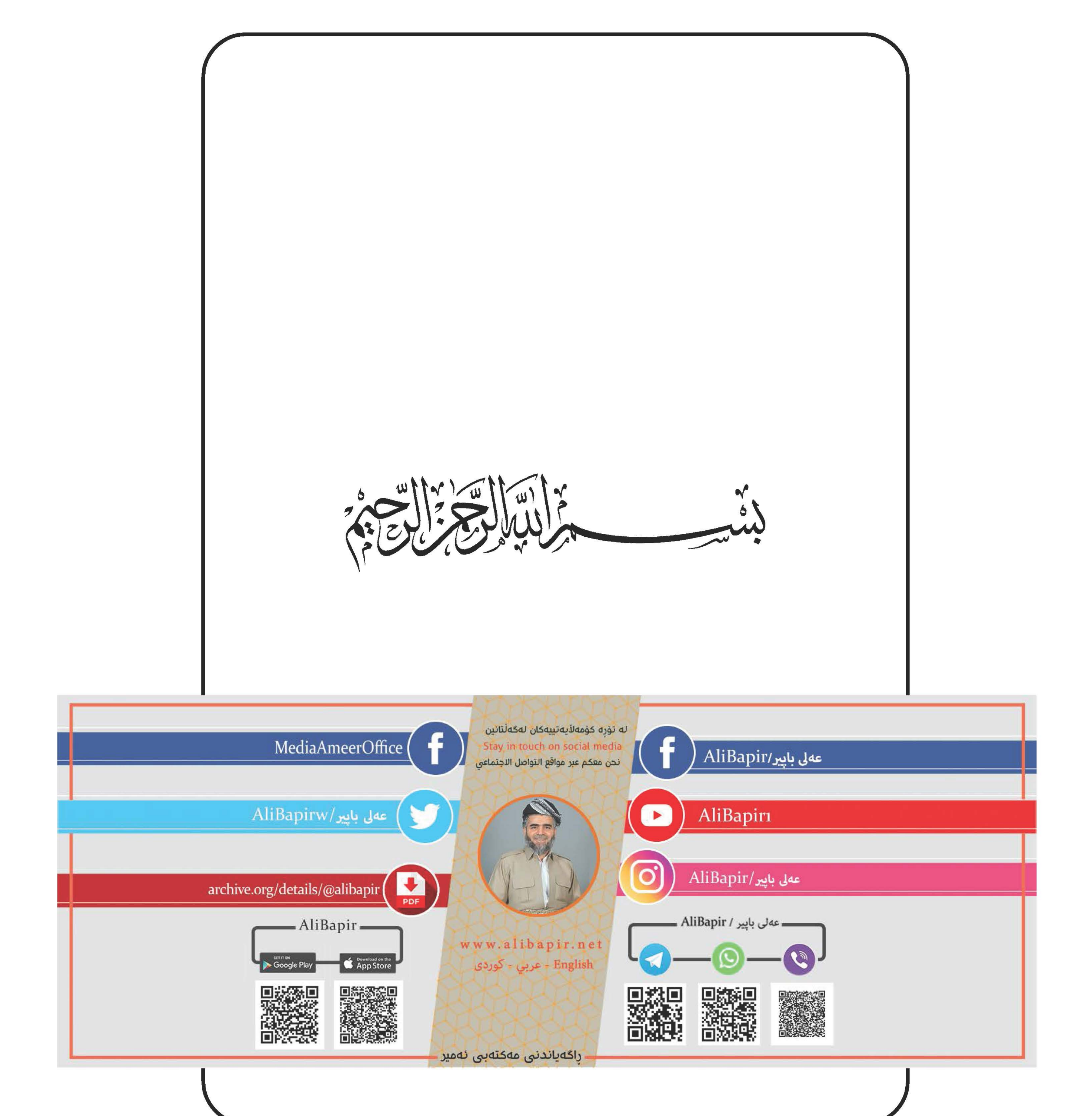


دار الحكمة



الإيمان باليوم الآخر

وبحث مختصر حول القدر



بسم الله الرحمن الرحيم
له تۆڕە كۆمەڵایەتییەكان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
كوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەكتەبی ئەمیر

موسوعة: الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

الكتاب الثامن

الإيمان باليوم الآخر

وبحث مختصر حول القدر

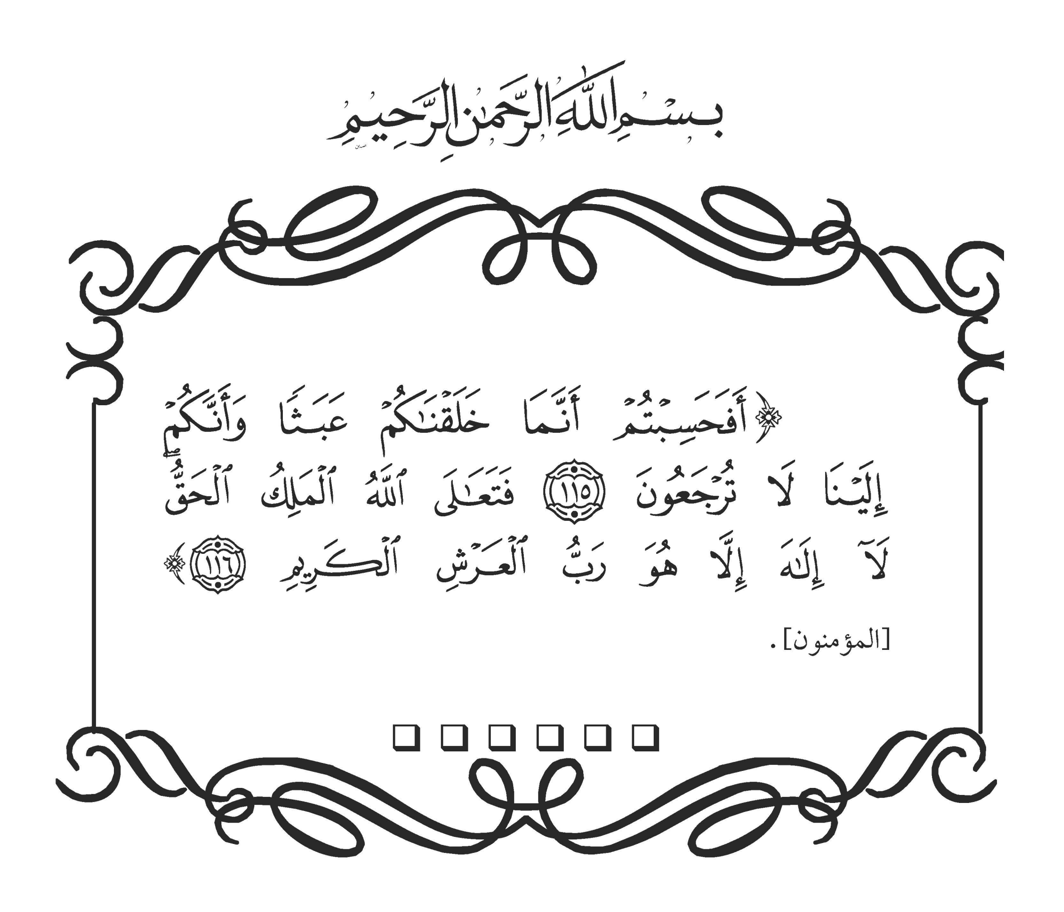
تأليف

علي باپير

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

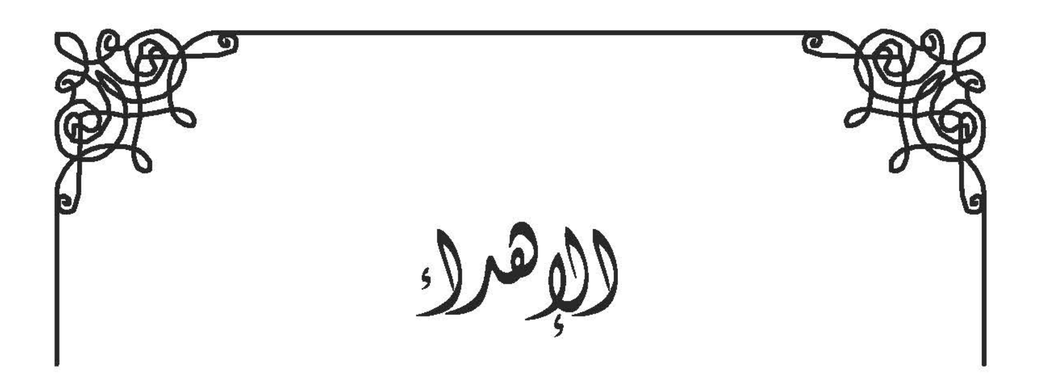






www.alibapir.net


له تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



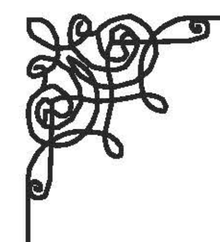
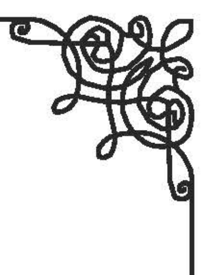
الإهداء

إِلى الذين يبتغون فقه الإسلام بعمقٍ وشمولٍ، كما في كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم ﷺ لِيُجَسِّدوه في حياتهم الشخصية والأُسرية والعامة، ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.






لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapirı
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على النبيِّ البشير النذير، محمد وآله الكرام «صحباً وأزواجاً وقرابة» الذين هم جديرون بكل تكريم وتقدير.

وبعد، فقد ارتأينا إعادة طبع هذه الموسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، بعد طبعتها الأولى، **(في صورة كتاب في ثمانية مجلدات «موزَّع على أربعة أبواب وسبعة عشر فصلا»)** في سلسلة كتب مجموعها: اثنا عشر كتاباً، كل كتاب يحتوي على موضوع رئيسي.

والنتيجة:

أصبح توزيع مواضيع الكتاب على الكتب الإثني عشر، في هذه الموسوعة، على الشكل الثاني:

الباب الأول بفصوله الأربعة، والمعنون: **(الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق والخلق)** بقي كما هو، وصار:

الكتاب الأول، في هذه الموسوعة.

الباب الثاني بفصوله الستة، والمعنون: **(الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)** تحول في هذه الموسوعة إلى سبعة كتب، كل كتاب مُخصَّصٌ لبحث موضوع أساس من مواضيع الإيمان، وذلك بعد أن جعلنا الفصل الخامس: **(الإيمان برسل الله وأنبيائه)** فصلين، ففي الأول

منهما: بحثنا موضوع الإيمان بالرسل والأنبياء «عليهم السلام» عموماً، وفي الثاني منهما، تحدَّثنا عن خاتم النبيين «ﷺ» خصوصاً، فصار الباب الثاني في هذه الموسوعة بهذه الصورة:

الكتاب الثاني: مفهوم الإيمان والكفر...

الكتاب الثالث: الإيمان بالله سبحانه وتعالى...

الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة وبالجن.

الكتاب الخامس: الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى.

الكتاب السادس: الإيمان برسل الله وأنبيائه «عليهم الصلاة والسلام».

الكتاب السابع: خاتم النبيين محمد «ﷺ».

الكتاب الثامن: الإيمان باليوم الآخر.

الباب الثالث بفصوله الثلاثة، والمعنون: **(الإسلام: إلتزام جادّ بالشريعة على الصعيدين الفردي والجماعي)** تحول في هذه الموسوعة إلى ثلاثة كتب، بالصورة التالية:

الكتاب التاسع: الإهتداء بهدى الله تعالى..

الكتاب العاشر: إلتزامُ المجتمع بدين الله تعالى...

الكتاب الحادي عشر: تطبيق المجتمع للشريعة...

الباب الرابع بفصوله الأربعة، والمعنون: **(الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم)** بقي على حالِهِ، وصار الكتاب الثاني عشر والأخير، في هذه الموسوعة بالشكل التالي:

الكتاب الثاني عشر: الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم.

وقد راعينا في ترتيب هذه الكتب الإثني عشر «في ثلاثة وستين (٦٣) فصلاً» التسلسل المنطقي المتدرج: إذ الإنسان يحتاج قبل كل شيءٍ، المعرفة

بهذا الوجود، ومحلِّهِ هو في إعرابهِ، فجاء الكتاب الأول: بعنوان: (الإسلام: معرفةٌ صحيحة بالخالق والخلق) تلبيةً لهذا المطلبِ الفطريِّ الأول.

ثم تُنتِجُ المعرفةُ الصحيحة بالوجود ـ طالما التزم صاحِبُها بِمُقْتَضِياتها المنطقية ـ الإيمان بالله الخالق الرب المالك، وببقية أركان الإيمان الخمسة، فجاءت الكتب: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، تحت عنوان: (الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) تحقيقاً لهذا المقصد العظيم، وبياناً لتلك الحقائق الكبرى، التي وضعَ فيها كتاب الله الحكيم النقاط على الحروف، ولم يُحْوِجْنا في إدراكها إلى غيره.

ثم ان الإيمان الصحيح بالله تبارك وتعالى، وببقيَّةِ أركان الإيمان الأساسية، يدفعنا إلى الإلتزام بدين الله القيِّم، وشريعته الحكيمة، فجاءت الكتب: التاسع والعاشر والحادي عشر، تحت العنوان العام: (الإسلام: إلتزامٌ جادٌّ بالشريعة على صعيدي: الفرد والمجتمع) لتوضيح كيفية التزام الفرد والمجتمع والدولة بالشريعة السّمحاء، بهذه العناوين الثلاثة، للكتب الثلاثة:

١ ـ الإهتداء بهدى الله، أو الإلتزام الفردي بشريعة الله تعالى.

٢ ـ إظهار الدين الحق، أو التزام المجتمع بدين الله تعالى: فكراً وشعائرُ وآداباً.

٣ ـ تطبيق المجتمع للشريعة في جميع جوانب الحياة.

ثم أخيراً: بعد المعرفة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والإلتزام الجاد بالشريعة، بإمكان المسلمين: أفراداً ومجتمعاً ودولةً، أن يتعاملوا مع الناس: المسلمين وغير المسلمين، على أساس النظرة السَّديدة إليهم، بصورة شرعية صحيحة، بعيدة عن الإفراط والتفريط، وبيان هذا الموضوع تكفَّل به الكتاب الأخير، الثاني عشر، والذي جاء بعنوان: (الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم).

وفي المُحَصِّلة: بيّنا من خلال هذه الموسوعة ـ بِكُتُبِها الإثني عشر ـ تجلية كتاب الله الحكيم المبارك للإسلام:

١ ـ معرفةً صحيحة بالوجود (الخالق والخلق).

٢ ـ وإيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٣ ـ والتزاماً بالشريعة على المستويات الثلاثة: فرداً ومجتمعاً ودولةً.

٤ ـ وتعاملاً صحيحاً مع الناس، على أساس نظرة سديدة تجاههم.

والهدف الأساس من هذا العمل «طبع هذه الموسوعة بهذه الصورة» هو تسهيل وصولها إلى القراء، وتيسير حصولهم على أي موضوع يرغبون فيه منها.

وجديرٌ بالذكر أننا أبقينا «في هذه الطبعة» على أكثرية الإحالات إلى الأبواب والفصول والمباحث والمطالب، على حالها الذي كانت عليها في الطبعة الأولى.

وكذلك أبقينا على كل من هذه العناوين الثلاثة:

١ ـ (مُبَشِّرة حول هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ إلى: (مُبَشِّرةٌ حول هذه الموسوعة).

٢ ـ (قصة تأليف هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ إلى: **(قصّة تأليف هذه الموسوعة)** والتي شرحنا فيها: كيفية الشروع بهذا العمل في السجن الأمريكي، وكيفية انبثاق خطة الكتاب في خطوطها العريضة، من آيات سورة الفاتحة السبع المباركات، وسبب تقسيمه إلى أربعة أبواب في سبعة عشر فصلاً.

٣ ـ (المقدمة) والتي غيَّرناها إلى: (مقدمة هذه الموسوعة).

وسَنُدْرِجُها في بداية الكتاب الأول من هذه الموسوعة، لارتباطها بكل الكتب الأخرى المضمَّنة لها، ونكتفي بهذا عن تكرار إدراجها في بداية الكتب الأخرى.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يَسُدَّ بهذا الجهد، ثغراتٍ كثيرة، في فهم كثير من المسلمين لدينهم القيِّم، وأرجو أن تَحْظى هذه الموسوعة، بأن تكون لبنة في بناء صرح المشروع الإسلامي المنشود.

وآمل ألّا يَبْخَل عليَّ القرّاء الكرام، بملاحظاتهم وتنبيهاتهم، وأشكرهم جزيل الشكر مسبقاً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

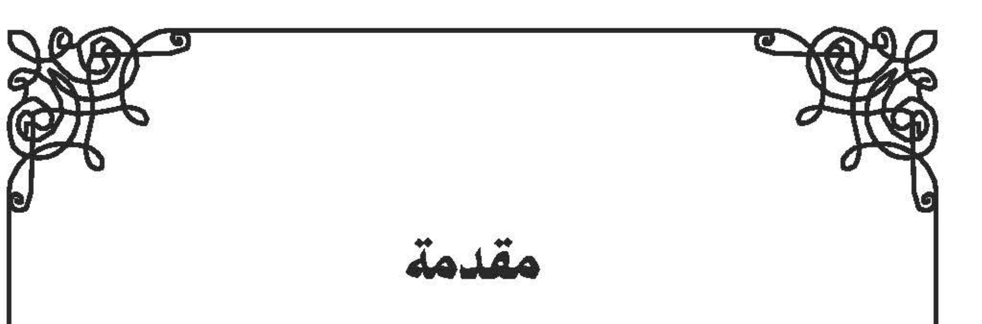
١/ رجب ١٤٣٦ هـ
٢٠ نيسان ٢٠١٥م
أربيل /كوردستان ــ العراق







لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



مقدمة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذ باللّهِ مِنْ شرُورِ أَنفسِنَا، وَمِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَد أَن لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ أَصْدَقَ الحَديث كَلامُ الله، وَخَيْرَ الْهَدِي هدْي محَمَّد، وَشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكل ضَلاَلَةٍ فِي النَّار.

الإيمان باليوم الآخر، والذي يبدأُ بالساعة «أي الوقت الذي تنتهي فيه هذه الحياة الدنيوية وتُطوى صَفْحَتُها»، ويستمر عبر القيامة «أي البعث والنشور والحشر والحساب»، وينتهي باستقرار كل من الأبرار في النعيم، والفجار في الجحيم، هو ثاني أكبر أركان الإيمان والعقيدة الإسلامية، ويأتي «من حيث الأهمية» بعد الإيمان بالله تبارك وتعالى.

ومن دون الإعتقاد باليوم الآخر، وما يحتويه من بعث ونشور وحساب وثواب وعقاب، يصبح خلق الإنسان عبثاً في عبث، وقصة عديمة الجدوى، وفاقدة الفحوى، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

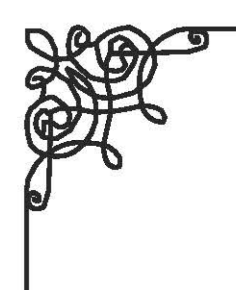
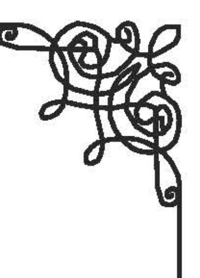
والباطل والعبث مما يتنزّهُ الله تعالى عنه، ولهذا عقّب سبحانه وتعالى على الآية السابقة بقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وبالإضافة إلى صيرورة الحياة الدنيا، من دون أن يعقبها اليوم الآخر، عبثاً وباطلا، يتعالى الله الملك الحق عنه، كذلك يصبح الإنسان الكافر الذي لايعتقدُ باليوم الآخر، شرِّيراً فاجراً، كَصَخْرَةٍ مُتَدَحْرِجَةٍ من عَلٍ، لايوقفها شيء، كما قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [القيامة: ١، ٦].

ولهذا اهتم كتاب الله الحكيم بموضوع اليوم الآخر، الإهتمام الكافي، وندَّد بالكفار المنكرين له، وفنَّدَ ما يتوهّمونه أدلّة على عدم مجيء اليوم الآخر: ساعة وقيامة وحشراً وحساباً وثواباً وعقاباً، وأتى ببراهين قاطعة وبيّنات ساطِعةٍ، على وجوب وجود اليوم الآخر.

ونحن خصّصنا هذا الكتاب الثامن، من هذه الموسوعة، بموضوع اليوم الآخر، وسلّطنا أنوار آيات كتاب الله العظيم على ذلك الحدث الجَلَلِ والخَطْب الخطير، من مختلف جوانبه، ولم يُحْوِجْنا كتاب الله الحكيم إلى غيره في هذا الموضوع الذي وضع فيه النقاط على الحروف، ولكن قد نأتي ببعض النصوص من السنة النبوية، زيادةً في التوضيح والبيان.

٥/رجب/١٤٣٦هـ
٢٤/نيسان/٢٠١٥م
أربيل

تمهيد

جاء ذكر الإيمان باليوم الآخر مع أركان الإيمان الأخرى في آيتين من كتاب الله الحكيم، الأولى: الآية (١٧٧) من (البقرة) ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، والثانية: الآية (١٣٦) من (النساء) ـ وذلك بذكر ضدّه (الكفر) الذي هو عدم الإيمان ـ: ﴿... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

والملاحَظُ أنّ الله تعالى ذكر الإيمان باليوم الآخر، في آية (البقرة) بعد الإيمان بالله مباشرة، ولكن ذكر الكفر به في آية (النّساء) في ختام أركان الإيمان كلِّها، ولعلّ الحكمة في ذلك ـ أو إحدى الحِكَم ـ هي:

أن آية (البقرة) رُوعي في ترتيب أركان الإيمان الخمسة فيها، الترتيبُ الرُّتْبيُّ، ومن الواضح أن الإيمان باليوم الآخر، يأتي من حيث الأهمية والمكانة بعد الإيمان بالله تعالى، ولكن في آية (النّساء) رُوعي الترتيب الزَّمَني، أو لأن الكفّار يعتبرون الإيمان باليوم الآخر، أبعد الأشياء في أذهانهم السخيفة!

وسنتحدّث عن الإيمان باليوم الآخر، في الفصول السبعة الآتية عناوينها بتوفيق الله الوهّاب:

١. معنى الإيمان باليوم الآخر.

٢. أَ َمِّيَّة الإيمان ا يوم ا خ مكانته.

٣. براهين الإيمان باليوم الآخر.

٤. مَراحل اليوم الآخر ومُقَدِّمتُهُ.

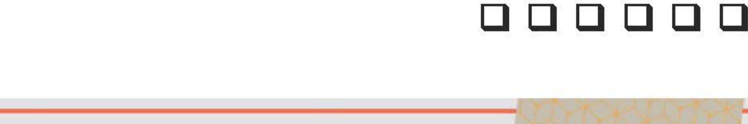
٥. جهنَّمُ وما فيها من صُنُوف العذاب.

٦. الجنَّة وما فيها من النَّعيم المقيم.

٧. سبع مسائل متفرِّقة مرتبطة باليوم الآخر.

وفي نهاية بحثنا عن الإيمان باليوم الآخر، سنشير إلى موضوع: الإيمان بالقدر في بحث بعنوان: (بحث مختصر حول الإِيمان بالقدر).

ونبدأ بعد إِلاستعانة بالله الكريم، بالفصل الأول:





الفصل الأول

معنى الإيمان باليوم الآخر


له تۆڕه كۆمه‌لایه‌تییه‌كان له‌گه‌ڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
كوردى - عربي - English
راگەیاندنی مەكتەبی ئەمیر



الإيمان باليوم الآخر، هو: التصديق والإذعان بمجيء يوم، تُخْتَمُ فيه هذه الحياةُ الدنيا وتُطوى صفحتها، ثم تُفْتَحُ صفحَةُ حياة الآخرَة التي يَلْقى فيها الإنسانُ جزاءَ ما قَدّم من أعمالٍ، خيراً كانت أو شرّاً، تصديقاً وإذعاناً يَجْعَلُ صاحِبَهُ يتفاعل مع ذلك اليوم العظيم، والحوادث الجِسام التي تجري فيه، بحيث يَحْسِبُ الحسابَ لكلّ حركاته وسكناته، من أفكار تَجولُ في ذهنه، وخواطر تَخْطُر على قلبه، وكلمات ينطق بها لسانُه، أو يكتبها بَنانُهُ، وأفعال وتصرّفات تقوم بها جوارحُهُ ويُنفِّذها بَدَنُه، وكذلك تصديقاً وإذعاناً يَـ عَلُهُ يَحْسِبُ الحساب الدقيق لكلّ ساعات عمره، بَلْ لحظاته التي هي رأسماله الوحيد، في حياته الدنيا القصيرة الخطيرة!

وكلمة (يوم) في اللغة العربية ـ كما بيّنّاه سابقاً في الفصل الثاني من الكتاب الأول ـ تعني مدة من الزمن، سواء أكانت طويلةً أم قصيرة، واليوم[1] الذي يقابل اللّيل، والذي هو بمعنى النهار، ومدَّته اثنتا عشرة ساعة على الأغلب، أو الذي يتكوّن من مجموع اللّيل والنهار كليهما، ويكون

---

(١) اليوم زمن مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، واليوم في علم الفلك: مقدار دوران الأرض حول محورها ومدته أربع وعشرون ساعة، ج: أيام، المعجم الوسيط، ص١٠٦٧.

مقدارهُ أربع وعشرون ساعة، إنما هو أحد معاني اليوم، ولَيْس معناه الوحيد، وقوله تعالى:

﴿...وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

وقوله:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

وقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ...﴾ [إبراهيم: ٥].

وقوله:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: ١٤٠].

والمثل السائر: (يوم لك ويوم عليك).

دليل على ما قلنا، أي أن كلمة (يوم) في اصطلاح كتاب الله، وفي أصل اللّغة، تعني: مُطلق الزّمان، وكلمة (الآخر) معناها واضح، أي: النهاية والختام، وسُمِّي يوم الجزاءِ بهذا الإِسم، لأنه زمان يَعقُب زمان حياتنا الدنيا هذه، ويُخْتَمُ به ويكون نهايته.

وسَيَتَّضِحُ لنا معنى الإيمان باليوم الآخر، أكثر في الفصول الآتية بإذن الله.





الفصل الثاني

أَهَمِّيَّةُ الإيمان باليوم الآخر ومكانته





MediaAmeerOffice
لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
AliBapir / عەلی باپیر
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



يأتي الإيمان باليوم الآخر من حيث الأهمية والمكانة في دين الله الحق بعد الإيمان بالله تعالى، وتدل على هذه الحقيقة جملةٌ أشياءَ، منها:

١. أَكْثَرَ سبحانه وتعالى من ذكر اليوم الآخر، وأَحْداثه وما يَجْري فيه من الأهوال وعظائم الأمور، كما سنذكرها فيما بعد، وجديرٌ بالذكر أن نسبة ورود ذكر أي شيء في القرآن، تدلّ على مقدار أهميته ودرجة مكانته.

٢. جعل الله تبارك وتعالى الإيمان باليوم الآخر، قريْناً للإيمان بالله، في مواضع كثيرة في كتابه الحكيم، بصيغ وتعبيرات شَتّى، ولكن تعبيرَي: «آمن بالله واليوم الآخر» و ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ هما أكثر التعبيرات وروداً.

٣. أُطلقت في كتاب الله المبين على (اليوم الآخر) أسماءٌ كثيرة جاوزت العشرين (٢٠) اسماً، سَيَأْتي بيانُها لاحقاً، ومن الجليِّ أن إطلاق أسماءٍ وأوصافٍ كثيرة على شيء مّا، يدلّ على أهميته وخطورة شأنه، وخصوصاً في كتاب الله الحكيم الذي وضعت فيه كل كلمة، بل وضع كل حرفٍ، لحكمةٍ وبحسابٍ ومقدارٍ.

٤. جُعِلَتْ عِدَّةٌ من أسماء اليوم الآخر وأوصافه، أسماءً وعناوين لسور قرآنية مباركة، هي:

(الزمر، الجاثية، الواقعة، التغابن، الحاقة، القيامة، النبأ، التكوير، الإنفطار، الإنشقاق، الغاشية، الزلزلة، القارعة).

هذا من حيث المكانة الذاتية لليوم الآخر، وأمّا من حيث أهمية الإيمان به، وتأثيره في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، فنقول:

إن الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بالله تعالى، هو أكثر أركان الإيمان تأثيراً في حياة الإنسان، ولهذا أولاه كتابُ الله الكريم الإهتمامَ اللآئق به، من:

- بيانٍ لأهواله وأحداثه، التي تقشعرُ منها الأبدان.
- والتحذيرِ منه وممّا يجري فيه.
- والأمرِ بتذكُره والإستعدادِ والتزوُّد له.
- والنَّهيِ عن نسيانه وإهمالِ والتشاغل عنه.
- وتوضيحِ مصائر الناس فيه، الأبرار منهم والفجّار.

... إلخ.

وهذه بعض الآيات التي تتجلّى فيها مكانة ذلك اليوم العظيم وأهميته وخطورته:

١ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى].

٢ - ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الشورى].

٣ - ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

٤ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

٥ - ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

٦ - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

٧ - ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

٨ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ].

٩ - ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج].

١٠ - ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة].

ونترك التعليق على هذه الآيات المباركات هنا، لأنَّنا تحدثنا عن بعضها في الفصل الرابع من الكتاب الأول، كما وسنتحدَّث عن سائرها وأمثالها فيما يأتي ذكرها من الفصول بإذن الله.







الفصل الثالث

براهين الإيمان باليوم الآخر


له تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر

أقام كتابُ الله المبينُ براهينَ كثيرة على ضرورة مجيء اليوم الآخر حَتْمِيَّتِهِ، نُلَخِّصُها في البراهين السبعة الآتية، والتي نورد كُلّاً مِنها في مبحثٍ على حِدَةٍ:





المبحث الأول

خَلْقُ الله تعالى السموات والأرض وما بينهما بالحق يقتضي وجود ومجيء اليوم الآخر

لق الله سبحانه وتعالى السموات والأرضَ بالحق، وجعل ذلك بُرْهاناً على اليوم الآخر، وأَنكر سبحانه أشد الإنكار على الذين يتصوّرون أن الإنسانَ خُلِق عَبَثاً وبلا حكمة، وأنه لا يرجع إلى الله تعالى، رَبِّه الحكيم ومالكه الكريم، ليَجْزيَه خيراً أو شرّاً، وقد بيَّن الله الحكيم هاتين الحقيقتين في مواضع كثيرة من كتابه المبين، وهذه الآيات أمثلة فقط لتلك المواضع:

١. ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف].

٢. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص].

٣. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

٤. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان].

٥. ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا

سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ].

٦. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود].

٧. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

٨. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

وهذه هي كيفية دلالة هذه الآيات على الحقيقتين اللتين عَنْوَنّا بهما هذا المبحث:

١) أمّا الآية (٢) من (الأحقاف):

فيُعلن فيها الرَّبُّ الحكيم تبارك وتعالى، أنه لم يخلق السموات والأرض وما يقع بينهما من المخلوقات إلّا بالحق، أي من أجل إحقاق الحق وتحقيق الحكمة التي خلق لها الجِنَّ والإنس، كما سنبيّنها فيما بعد، ثم يقول: (وأجل مسمى) أي: أَنَّ هذه المخلوقات المتمثّلة في السموات والأرض وما يقع بينهما، حَدَّد الله لها ميقاتاً معيّناً، ينتهي فيه وجودُها لا محالة لتبدأ مرحلة أخرى، ثم يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ أي: ولكن مع هذا فالذين كفروا، لاهونَ ومُعْرِضون عن المصير الذي حُذِّروا منه وقيل لهم: أنهم سيُلاقونه حتماً، وهذا تعجيبٌ من موقفهم وتسفيه لعقولهم.

وهكذا جعل سبحانه خَلْقَه السموات والأرض بالحق، دليلاً على ضرورة مجيء اليوم الآخر.

٢) وأمّا الآية (٢٧) من (ص):

فيؤكِّد فيها المولى تبارك وتعالى أنه لم يُبْدع السموات والأرض وما بينهما باطلا ـ والباطل[1] خلاف الحق وضِدُّه، وهو العَبَث الذي لا حكمة فيه ولا طائل تحته ـ.

ثم يَنسِبُ سبحانه تصوُّرَ كون الخلق مخلوقا بالباطل إلى الكفار، ويقول هو ظنهم وزعمهم ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ أي أَنَّ تصوّرهم الغلط هذا، لا يستند إلى علمٍ وبرهان، بل هو مجرّد ظنٍ وَرَجمٍ بالغيب.

٣) وأمّا الآيات (١٦، ١٧، ١٨) من (الأنبياء):

فينفي فيها رَبُّ الخلق سبحانه وتعالى، أن يكون قد خلق السماءَ والأرض وما بينهما لاعِباً، ويُبَيِّن أنه ـ على سبيل الفرض ـ لو أراد أن يجعل لنفسه لَهْواً يتلهَّى به لاتَّخذه من عنده، ولكن هذا لا يليق بالحق جلّ وعلا! ولهذا يقول في الختام: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ أي: بل نقذف الحق ـ المُتَمَثِّل في حقائق القرآن ـ على الباطل المُتَمَثِّل في تصوّرات الكفّار الجاهلية ـ فيُصيبُ دِماغَهُ ومَقتلَه ويُهْلِكُه، وإنما قال سبحانه: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ تهديداً لهم على تَفَوُّهِهِم بذلك القول الباطل، أو بما يَسْتَلْزِمُ ذلك القولَ الباطِلَ، وهو إنكارُهم للقيامة والجزاء.

٤) والآيتان (٣٨، ٣٩) من (الدخان):

كذلك متشابهتان في المعنى مع الآيات السابقة في (الأنبياء)، إذْ يَنْفي سبحانه أن يكون قد خلق الخلق لَعِباً، ثم يحصر سبب خَلْقِهِ له في (إحقاق الحق).

---

(١) مختار الصحاح، ص٦٢، لفظ: ب ط ل، والمصباح المنير ص٢٢، والمعجم الوسيط ص٦١.

٥) وأمّا الآيات (١ إلى ١٧) من (النبأ):

فبعد أن يوجِّه سبحانه سؤالاً توبيخياً غيابياً للكفّار، بسبب تساؤلهم فيما بينهم، أو عن الرسول ﷺ حول القيامة التي يُسمِّيها سبحانه بـ(النبأ العظيم)، يقول لهم مُهدِّداً ومحذِّراً: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾، ثم يُلْفِتُ سبحانه وتعالى أنظارَهم، وَيُنبِّهُ أذهانهم بصيغة استفهام تقريري، أَو توبيخي، إلى إحدى عشرة ظاهرة مُذْهِشة، تتوقف عليها حياتهم، وتتجلّى فيها رحمة الله وحكمته وقدرته بأجْلى الصّور، وتلك الظواهر المُتْقَنَةُ المُذْهِشَة، هي بالترتيب:

١ ـ جعل الأرض فِراشاً ممَهَّداً كمهد الطِّفل.

٢ ـ جعل الجبال أوتاداً للأرض، كما تُرْبَطُ الخيمة بالأوتاد فَتُثَبِّتُه.

٣ ـ جعل الزوجية أساسَ حياة البشر.

٤ ـ جعل النوم سبَبَ راحة وتجديد نشاط.

٥ ـ جعل اللّيل بِظَلامِهِ، كاللِّباس الذي يستر الجسم، كذلك اللَّيل يستر الناس وقت راحتهم ونَوْمِهم.

٦ ـ جعل النهار بضيائه، سَبَبَ معيشة الناس، إذْ يُزاولون فيه أنواع الكسب.

٧ ـ بِناءُ سبع سمواتٍ محكمات.

٨ ـ جعل الشمس كالسِّراج المضيء المعطي للنور والحرارة بِسخاء.

٩ ـ إنزالُ الماء الغزير المُنْصَبِّ انصباباً من السُّحب التي عَصَرتْها الرِّياحُ بتلقيحها إيّاها.

١٠ ـ إخراجُ أنواع الحبوب والنّباتات من الأرض، بذلك الماء النازل من السماءِ.

١١ ـ وكذلك إنْبات جنّاتٍ كثيفة الأشجار ومُلْتفَّةٍ بعضها على بعض.

ثم يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ أي: كما أن الله تعالى خَلَق خلْقَهُ كلّه بنظام وإحكام وإتْقانٍ، كما هو مُتَجَل في الظواهر الإحدى عشرة الآنفة الذِّكر، كَذلك يوم الفصل بين الأبرار والفجّار ـ والذي بدونه يُضبِحُ وجود الإنسان عَبثاً لا معنى له ـ مُحَدَّدُ الوقت وآتٍ لا مُحالة، وذلك لأنه طالما يتجلّى النظام والإتقان في خلق الله تعالى كلّه من دون استثناء، إذاً: لا يمكن أن يشذ الإنسان عن القاعدة العامة التي بَنى الله تعالى عليها خلقه كلَّهُ، وكيف يَشُذُّ الإنسانُ، ولم يخلق الله تعالى الخلق عُلْوِيّه وسفْليّه بكل ما يحتويه من ظواهر عجيبة مُذْهِشة، إلّا من أَجْلِه، وليكون ميداناً لاختباره وابتلائه؟!

٦) وأمّا الآية (٧) من (هود):

فيُعْلِنُ فيها سبحانه وتعالى أنّه خلق السموات والأرض في ستة أيّام (أي ست مراحل زمنية)، وكان آنذاك عَرْشه على الماء، وذلك كي يَبْتَلي سبحانه الإنسانَ في هذا الخلق، وعليه: فلا بُدَّ من أن يوجد يومٌ يُبْعَث فيه الإنسانُ بعد موته، كي يأخذ نتيجة ابتلائه وشهادة امتحانه، ولكن الكفّار من جرّاء حماقتهم، لا يُدركون هذه الحكمة الجليلة، بَلْ يرمون رسول الله ﷺ الذي يُحَدِّثهم بهذه الحقيقة وأمثالها، بالسّحر!

إذاً: فالحق والحكمة والسرُّ الذي خلق الله تعالى كل هذا الخلق بسمائه وأرضه وكل ما فيه، لِتَحْقيقه، هو:

ابتلاءُ الإنسان، ومادة ابتلائه وامتحانه هي: (حُسْنُ العَمَل) والذي يتجسَّد في العبادة لله تبارك وتعالى، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

٧) وأمّا الآيتان (١١٥ و١١٦) من (المؤمنون) والآية (٣٦) من (القيامة):

فيوجِّه فيها سبحانه بصيغة الإستفهام الإنكاري، سؤالاً غيابياً إلى الكفار حول تصوّرهم الباطل الساذج، بأن الله تعالى قد خلقهم لا لحكمة بَلْ

عبثاً[1] وباطلاً، وأنهم لا يرجعون إليه للحساب والجزاء!!

وخلاصة هذا البرهان القرآني الباهر:

أن الله تعالى أعلن أنه خلق وأبدع السّموات والأرض وما بينهما بالحق، ويتمثَّلُ ذلك الحق في ابتلائه جلَّ شأنه للجنّ والإنس، إذ كلّفهما بتقديم العبادة له ـ بالمفهوم الحقيقي الشامل للعبادة ـ، وبناءً عليه:

فلا بُدَّ من أن يكون هناك يوم وميقاتٌ محدَّد يَلْقى فيه كلٌّ من الجِنّ والإنس جزاءَ ابتلاء الله تعالى إياهم، ونتيجته.

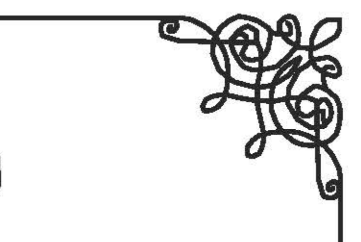
وبيَّن سبحانه أنَّ مَنْ أنكر مجيء ذلك اليوم، فهو يتَّهم الله تعالى بأنّه خلق الخلْق لاعباً وعابِثاً، ومن غير حق وحكمة وجَدْوى! سبحانه وتعالى عن الظنون الباطِلة لأهل الكفر.

إذن:

مَن أراد ألّا يرتكب حماقة اتّهام العزيز الحكيم سبحانه بما ذكر، وألّا يَصِمَ خَلْقَ الله المُتْقَن المحكم بوصمة العبثية والفوضى، فَلْيُؤمِنْ باليوم الآخر الذي هو نتيجة لمقدِّمةِ خلق الله، ووقت تجلِّي حكمته التي خلق الخلْقَ من أجلها.



(١) عَبِثَ يَعْبَثُ من باب (تَعِب): لَعِب وعمِل ما لا فائدة فيه، فهو (عابث)، المصباح المنير، ص٢٠٢.



المبحث الثاني

تحقُّق عَدل الله تعالى، وانتفاء الظلم عنه، يقتضيان مجيءَ اليوم الآخر

قال الله الحكيم تبارك وتعالى:

١. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

٢. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

٣. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

٤. ﴿. . . إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤].

٥. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السجدة: ١٨ ـ ١٩].

الله تبارك وتعالى له كل الأسماء الحُسْنى وجميع الصفات العُلى، وهو منَزَّهٌ عن كل نقصٍ وشَيْن ـ كما فصَّلْنا فيه القول في الكتاب الثالث ـ وقد بيَّن سبحانه أنه أرسل رسُلَه الكرام عليهم الصّلاة والسَّلام، لإقامة القِسْط بين الناسِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ...﴾ [الحديد: ١٢٥]، وأمر الله تعالى بالقسط والعدل، ونهى عن الظلم والجور والبغي، في آيات كثيرة من كتابه الحكيم، وأعلن أنَّهُ يحبّ المقسطين ويكره الظالمين، ونفى عن نفسه الظُّلْمَ، وبيَّن أنه سيحكم بين عباده ويحاكمهم بالقسط والعدل، وهذه أمثلة من تلك الآيات:

١ ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

٢ ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٣ ـ ﴿...وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

٤ ـ ﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ...﴾ [النساء: ١٣٥].

٦ ـ ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام].

٧ ـ ﴿... لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

٨ ـ ﴿...أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

٩ ـ ﴿...وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

١٠ ـ ﴿...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

١٢ ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

١٣ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس].

١٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء].

وبناءً عليه:

فَعَدْلُ الله المطلق وحُبُّه للعدل والقسط من جانبٍ: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وبعْدُه المطلق عن الظلم والجور، وبغضه إيّاهُ من جانب آخر: ﴿...وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، يقتضيان وجوبَ مجيء يوم القيامة والجزاء، ولهذا أنكر سبحانه وتعالى أشدَّ الإنكار ظنَّ الكفار وتصوُّرَهم بأن الله تعالى يُعامِلُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ معاملة المُفسدين في الأرض: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ [ص: ٢٨]، و(المتقين) مثل (الفجّار): ﴿...أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] وأنَّه يُسَوِّي بين (المسلمين) و(المجرمين): ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥] وأنه يجعل حياة وموت (الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) مثل حياة وموت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية]، وأنه يستوي (المؤمن) و (الفاسق) في ميزانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

والهمزة (أ) في بداية هذه الآيات والجمل القرآنية المباركة كلِّها، هي همزة الإستفهام الإنكاري، كما هو واضحٌ، وبالنَّتيجة: فالتصوّرات التي جاءت بعدها، كلُّها مُنكَرَةٌ ومرفوضة في ميزان الله العدل، وقد عَجَّبَ

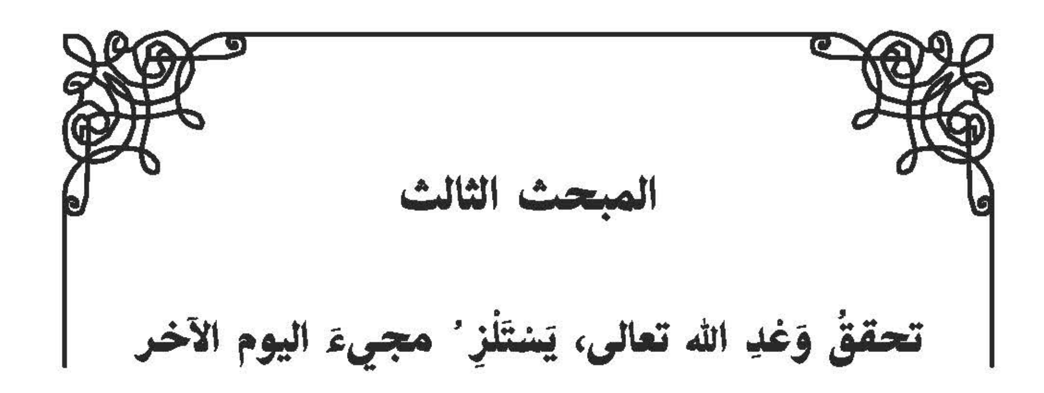
سبحانه من ذلك الحُكم المَبْنيّ على تلك التصورات والظنون بقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم]، بَلْ وعَدَّهُ أَسوأَ حكمٍ، حيث قال: ﴿...سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية].

وخلاصة القول في هذا البرهان القرآني الثاني:

بما أن الله تعالى مُتَّصِفٌ بمنتهى الحكمة، وحكْمُه عَدْلٌ كلُّه ولا جور فيه، وهو يُحبُّ العدل والقسط، ويُبغض الجور والظلم، لِذا يَجِبُ كي يتحقق عَدْلُ الله المطلق، وتتحقّق حكمته البالغة، ولكي لا يستوي المؤمنون والكافرون، والمتقون والمجرمون، وأهلُ العمل الصالح والمفسدون، نعم، يجب أن يكون هناك (يومٌ) يَلْقى فيه كلٌّ جزاءَه الذي يستحقه، حسب ما عنده من إيمانٍ أو كفر، وصلاحٍ أو فساد.







المبحث الثالث

تحققُ وَعْدِ الله تعالى، يَستَلْزِمُ مجيءَ اليوم الآخر

الوفاءُ بالعَهد وتنفيذ الوعد، من الفضائل الواجبة التي أمر الله تعالى بها عبادَه، وأكد عليهم التَّحلِّي بها، كما قال تعالى:

١. ﴿...وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٢. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].

٣. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

وهو سبحانه أخبر عن نفسه، أنه وفيٌّ بوعوده وعهوده مع عباده، وأنَّه لا يُخْلِفُها معهم أبداً، وكيف يُخْلِفُ الوَعْدَ، أو ينقض العهدَ أو ينساه أو يهمله، وهو رب العالمين الذي له كل الأسماء الحُسْنى، وجميع الصِّفات العُلى، وإخلاف الوعد ونقضُ العهد أو إهمالُهُ، ممّا نهى عنه عبادَه، وعدَّهُ سيِّئاً وقبيحاً، وهو تبارك اسمه وتعالى شأنه، منزَّهٌ عن كلِّ سوءٍ وشَيْن؟! كما قال: ﴿...وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وهذه بعض الآيات التي وصف فيها سبحانه نفسه، بأنه يُنْجِزُ وعودَه، ويُنَفِّذ عهودَه مع خلقه:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ...﴾ [التوبة: ١١١].

٢ ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر].

٣ ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر].

٤ ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

٥ ـ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ...﴾ [القصص: ٦١].

وهو سبحانه وَعَدَ أن يبعث الناس ـ وكذلك الجنّ ـ بعد الموت ليجزيهم حسب أعمالهم، كما قال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

إذن: لا بدّ مِنْ أن يتحقق وعد الله الصادق: ﴿...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وأن يبعث الخلق بعد الموت، ويُجازيَهم حسب أعمالهم، في حياة أَبديةٍ، بعد هذه الحياة الأرضية الإبتلائية المؤقتة.

هذا وقد جعل الله تبارك وتعالى تحقيقَ وعدِهِ بمجيء اليوم الآخر، دليلاً على وجوب مجيء ذلك اليوم في أكثر من آية، كما قال تعالى:

١) ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء].

٢) ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل].

٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر].

٤) ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات].

إذ يُبَيِّن سبحانه في الآية (١٠٤) من (الأنبياء) بأنّه سيطوي ويُلف السماءَ يوم القيامة، كما يُطوى السِّجلُّ الذي يكتب فيه، وأنه سيُعيدُ الخَلْقَ، كما بدأه أوّل الأمر ـ أي يُرْجِعُهُ إلى حالته الأولى التي كان عليها، قبل أنْ يُخرِجه سبحانه بصورته الحالية ـ ثم يقول تعالى: ﴿...وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أي: بما أنّنا وعدنا بهذا، فَسَنَفْعَلُهُ حَتْماً تنفيذاً لِوَعْدِنا.

وفي الآية (٣٨) من (النّحل) يَردُّ سبحانه على إنكار المشركين للبعث وإقسامهم عليه، بقوله: ﴿...بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، أي: بَلى سيبعثهم الله بعد موتهم، لأنه وعد بذلك وعداً حقاً، وسَيُنْجِزُ وعده لا محالة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة، أي: أَن الله تعالى تحقيقاً لحكمته وعَدْلِهِ، وتنفيذاً لِوَعْده، سيبعثُ الخَلْقَ بعد الموت.

وفي الآية (٥) من (فاطر) يُخاطب الله تعالى الناسَ كلَّهم مؤكّداً لهم أن وعده ـ بالبعث بعد الموت ومجيء القيامة ـ حق، ثم يُحذّرهم من أن تَخدَعَهم الحياةُ الدنيا، أو يَخدَعَهمُ الشيطانُ الذي ديدنه خِداع الناس.

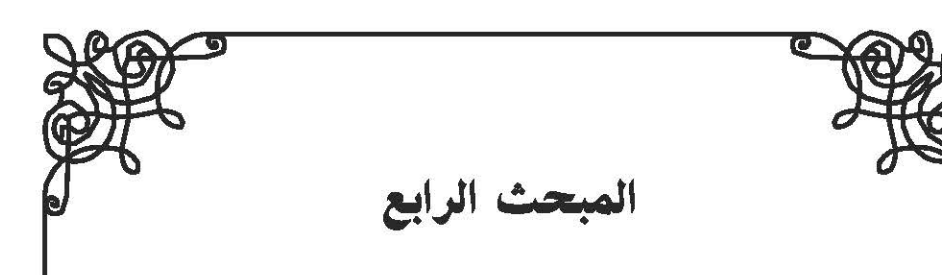
وفي الآيات (٢٠ إلى٢٣) من (الذاريات) بعد أن يُبَيِّن سبحانه أن الأرض فيها آيات على ربوبيّة الله تعالى، وأنه توجد آيات كثيرة للناس في ذواتهم لو تأمّلوها، بعد ذلك يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾، فَيُخبِرنا جلَّ شأنه أنَّ رزقنا يأتي من جهة السماء ـ وهذا يشمل أشعة الشمس والهواء والماء النازل ـ،

م يُقسِمُ بربوبيَّته للسماء والأرض: أَنّ الذي وعدنا به ـ وهو البعث ومجيء اليوم الآخر ـ حق وثابتٌ مثل نطقنا بالكلام!

أي: كما أن تَلَفُّظَكم بالكلام ونُطْقكُم به، واضحٌ ثابتٌ لا تشكُّون فيه، فكذلك شأن ما وعدكم الله تعالى به، لِذا استَيْقِنوه ولا تَتَردّدوا بشأنه.







المبحث الرابع

الفصلُ بين أهل الحق والباطل، وتبيينُ مواضع الإختلاف، وإِقناعُ الكفار بأنهم كانوا كاذبين، كل منها مُقْتَضٍ لمَجيءِ اليوم الآخر

البرهانُ القرآنيُّ الرابع على أن مجيءَ اليوم الآخر ضروريٌّ حَتْميٌّ، يَتَمَثَّلُ في ضرورة:

١) الفصلُ بين أهل الحق وأهل الباطل، فِيما اختصموا فيه، إذ لا بدَّ من أن يكون هناك يومٌ، يَعْرِفُ فيه كلٌّ من المحقِّين والمبطلين مَحَلّهم ومَحل طريقهم من الحق، وموقِعَهُم في ميزان الله.

٢) التمييزُ بين القضايا التي اختلف الناس في الدنيا بشأنها، كي يتبيَّن وجهُ الحق والصّواب فيها.

٣) إِقناعُ الكفّار، أو إِلْزامهُم وإِفْحامُهم، بأنهم كانوا كاذبين ومخطئين في حياتهم الدنيا، وطريقهم الذي سلكوه.

كما قال تعالى:

١. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل].

٢. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر].

٣. ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

٤. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات].

٥. ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس].

١) في الآيتين (٣٨، ٣٩) من (النّحل) بعدما بيّنُ الله تعالى إنكارَ الكفّار للبعث بعد الموت، وردّ عليهم بأنه سيبعثهم طبقاً لوعده الحق الذي طعه على نفسه، يُعَلِّلُ سبحانه إِحياءَه للأموات، ومن ثم مجازاتهم، بشيئين:

الأول: كي يبيّن للجميع (المسلمين والكفّار) القضايا التي اختلفوا فيها بينهم في الدنيا، ويحدِّدَ لهم وجهَ الحق والصواب فيها: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

الثاني: كي يَعْلَم الكفّارُ نتيجة محاكمة الله تعالى العادلة، وتبيينه الحقائق لهم، ويستيقنوا أنهم كانوا كاذبين ومخطئين في موقفهم الكفري في الدنيا: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾.

٢) وفي الآية (٤٧) من (الزُّمر) يأمر الله النبيَّ الخاتم ﷺ أن يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾، وهذا يفهم منه: أن كون الله

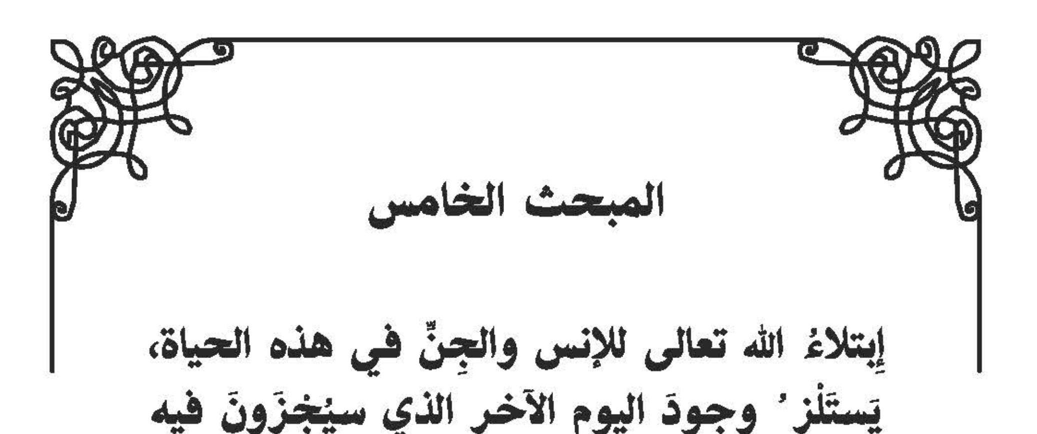
ـعالى فاطر السموات والأرضِ ومُبْدِعَ الخلق، يقتضي أن يحاكِمَ عبادَه فيما كانوا فيه مختلفين، وأَنَّ كون الله تعالى عالماً بالسرِّ والعلن والمستور والمكشوف من خَلْقِهِ، يجعل أمر محاكمتِهِ لهم، ثم مجازاته إياهم، سهلاً ميسوراً.

٣) وفي الآيات (٤٠، ٤١، ٤٢) من (الدخان)، والآيات (١٥إلى٢٣) من (الصّافات) والآية (٥٩) من (يس) يُـَـمِّي سُبحانه يومَ القيامة بـ(يوم الفَصْل)، ويوم تمييز المجرمين وفَرْزِهم عن المؤمنين، إذ هم في ذلك اليوم يتمايزون وينفصل بعضهم عن بعض، بعد أن كانوا في دار الإبتلاء مُلْتَبِسين ومختلطين بعضهم ببعض.

وخلاصة هذا البرهان الرابع:

ـما أن الله تعالى له العَدْلُ المطلق والحكمة البالغة، لِذا يَسْتَلْزِمُ عَدْلُهُ وتَسْتَوجِبُ حِكمتُه أن يحكم بين عباده (المسلمين والكافرين) في القضايا التي اختلفوا فيها، وأن يستيقن الكفّارُ أنهم كانوا كاذبين ومخطئين، وأن يُفْصَلَ ـين الناس بعضهم عن بعضٍ ويُمَيّزَ طالحهم، من صالحهم، ويُصنَّفوا حسبما كانوا عليه في الدنيا، ثم يستقرَّ كل في المحل الذي يليق به، حسب عدل الله التام وحكمته البالغة.





المبحث الخامس

إِبتلاءُ الله تعالى للإنس والجِنِّ في هذه الحياة، يَستَلْزِمُ وجودَ اليوم الآخر الذي سيُجْزَونَ فيه

أَجلْ بما أنَّ الله تعالى حكيم، بَلْ له الحكمة البالغة، والحكيم لا يصدر منه شيء إلّا ووراءُ حكمة وغاية، والحكمة تقتضي أن يعقب الإمتحانَ أَخذُ الجزاء، كي يتبيَّن المُجِدُّ الناجحُ من المهمل الفاشل، وإلّا فسيكون المهْمِل الرّاسب مثل الساعي السابق، بل وأسعد منه حظاً!

وقد أشار سبحانه إلى هذه الحقيقة التي يتكوَّن منها برهانٌ قرآني خامِسٌ، على ضرورة مجيء اليوم الآخر وحَتميَّته، بقوله الكريم:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك].

إذ يُمجِّد الله تعالى نَفْسَه تعريفاً بنفسه لنا وتعليماً لنا، فَمعنى (تبارك): تعاظم وتمجّد وكثر خيره[1]، ثم يُعلن سبحانه أنه هو المالك الوحيد المطلق كلِّ شيء، وأنه على كل شيء يشاؤهُ قدير، ولا يستعصي أو يَصْعُبُ عليه شيء.

ثم يُخاطبنا رب العالمين، وأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، بأنه

(١) المعجم الوسيط، ص١٥، ومختار الصحاح، ص٥٧، لفظ: ب ر ك.

خلقنا، وجَعل فينا ظاهرتَي الموت والحياة (اللَّتيْن تتعاقبان كالليل والنهار) ابتلاءً منه لنا، في ميدان إحسان العمل وإجادته، ثم يَصِفُ نَفسَه بالعِزّة والمغفرة، تحذيراً وتخويفاً بعزّته وقهره وعقابه للعاصين المسيئين للعمل، وترغيباً وتبشيراً برحمته ومغفرته وثوابه للمطيعين المحسنين للعمل.

وخلاصة القول:

بما أن هذه الحياة الأرضية المؤقتة ليست سوى فترة ابتلاء واختبار من الله الحكيم للجن والإنس، ثم الإِمتحان والإِبتلاءُ إذا لم يَعْقُبْهُ الجزاء، (الثواب والعقاب) يُعَدُّ عبَثاً، وشيئاً لا طائل تحته، ولا حكمة وراءَه، والله تعالى مُنَزّهٌ عن كل ما هو نقصٌ وشَيْن، ومن الواضح أ ًّ العبث والباطل من أعظم النَّقْصِ والشَّيْن، إذن:

يستحيل على الله الحكيم الحميد المجيد تبارك وتعالى، أن يترك الإنس والجِنَّ بعد اختباره إيّاهم، من غير مجازاة حكيمة عادلة لائقة به سبحانه.







المبحث السادس

تَوقُ الإنسان من أعماق فطرته للقاءِ الله الكريم، وحياةٍ خالدةٍ طيّبة، يَستَوجِبُ مجيءَ اليوم الآخر

ذكرنا في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة، أن الله تعالى لَمْ يودِعْ فِطْرةَ البشر شوقاً من الأشواق، ونازعاً من النوازع، وغريزة من الغرائز، إلّا لِحكمة، وقد أوجَدَ ما يُلَبّي تلكَ الأَشواق، ويُرْوي تلك النوازع، ويشْبعُ تلك الغرائز، إنْ لم يكن في هذه الحياة، ففي الحياة الأُخرى.

وبيّنّ أن كلاً من التشوُّق إلى لقاء الله تعالى، والقُرْبِ منه ورؤيته والتعرّف عليه أكثر فأكثر، والتطلُّع إلى حياة خالدة أبدية سعيدة هَنِيَّة، من الأشواق والنّوازع الفطرية المُتَرسخة التي فطر الله تعالى عليها البَشَر، كما يدلّ عليه كتاب الله وواقعُ البشر، وقد وضّحنا ذلك سابقاً في كل من الكتاب الأول والكتاب الثالث.

ثم من الجليّ أنَّ البشر لا يمكنهم إِرْواءُ ظَمَأ هذين الدافعين الفِطْرِيَّين في هذه الحياة المؤقتة القصيرة، التي لا تَتحمَّل أكثر من أداءِ امتحان العبادة لله تعالى فيها، إذن: لا بُدَّ من حياة أخرى، وفي مرحلة أخرى تمتلك من المواصفات والمؤهلات، ما يجعلها قادرة على تلبية تلك الدوافع الفطرية العميقة القوية في وجود الإنسان، إذْ الله تعالى حكيم بالغ الحكمة، ولم يُودِعْ هذين الدافعين في فطرة الإنسان، إلّا وهيّأ حياة أخرى وجوّاً آخر غير

هذه الحياةِ الدنيا القصيرة، يتمكّن الإنسان الراغب الساعي فيه، من تلبية ذينك الداعيين الفطريين في وجوده.

وهذه بعض الآيات المباركات التي تتحدّث عمّا نحن بصدده:

١. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف].

٢. ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العنكبوت].

٣. ﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف].

٤. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

٥. ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

٦. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين].

٧. ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

٨. ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢٠ ـ ١٢١].

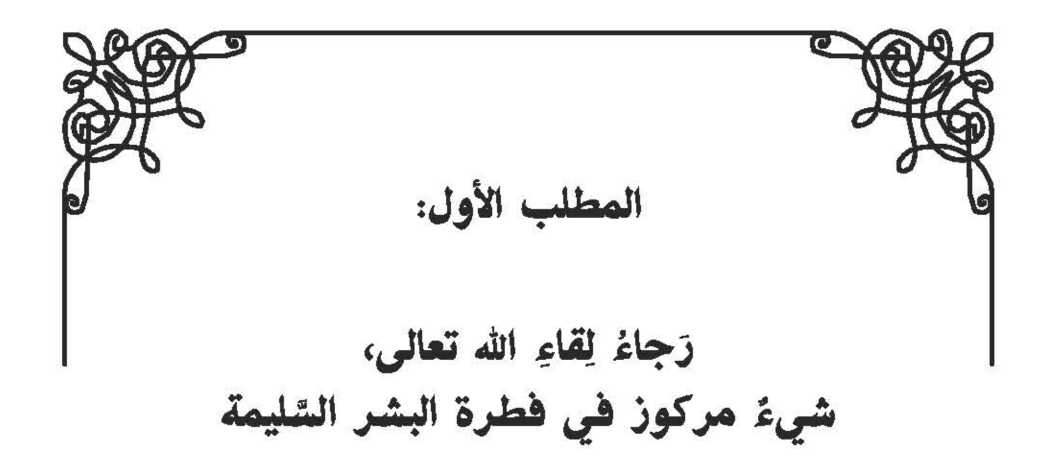
٩. ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف].

١٠. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

والآن نشير إلى بعض الحقائق التي تدلّ عليها هذه الآيات، فيما نحن بِصَددِ بَحْثِهِ، في المطالب الثلاثة الآتية.







المطلب الأول:

رَجاءُ لِقاءِ الله تعالى، شيءٌ مركوز في فطرة البشر السّليمة

وهذا ما تدُلُّ عليه ـ بالإضافة إلى الواقع النفْسيِّ السليم للناس عُموماً ـ كلٌّ: من الآية (٥) من (العنكبوت)، و(١١٠) من (الكهف) و(٧، ٨) من (يونس)، وذلك لأن الله تعالى في الآية (٥) من (العنكبوت) يُطَمْئِنُ المؤمنين الراجين لقاءَ الله تعالى، بأنَّ لِقاءَهُ آتٍ لا محالة: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت]، وإنما يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تنبيهاً على أنه سميعٌ لدعاءِ المؤمنين ومناجاتهم وطلبهم لقاءَهُ، وعليم بقلوبهم وما يَعْتلج[1] فيها من رَجاء اللقاءِ وأشواقه.

وأما في الآية (١١٠) من (الكهف) فيُبيِّن سُبْحانه لأهل الإيمان الرّاجين للقائهِ، الوسيلة التي تُمَهِّدُ لهم بإذن الله طريقَ اللقاء، وهي: ﴿... فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف]، إذن: من يطمع في لقاءِ الله الكريم، فَلْيُهَيِّءْ زادَ الطريق، ووسيلةَ الوصول التي من دونها لا يُسْمَحُ له بالحضور، وهو العمل الصالح والعبادة الخالصة التي لا تشوبها شائبة الشرك.

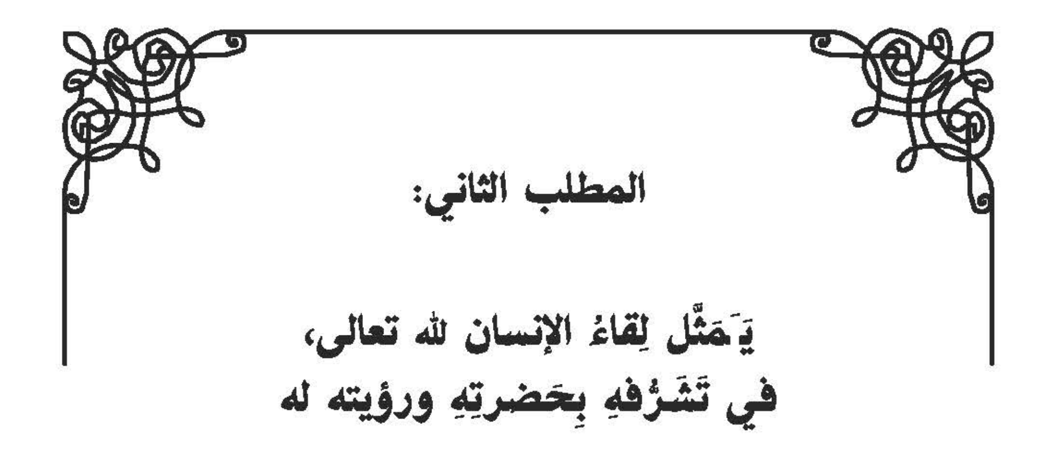
---

(١) اعتلج القومُ: اقتتلوا واصطرعوا، واعتَلَجتِ الأرض: طالَ نباتُها والتفَّ وكثر واعتلج الموجُ: التطم ويقال: اعتلجَ الهَمُّ في صدره: اجتمع، المعجم الوسيط، ص٦٢٠.

وقد ذكرنا سابقاً أن كلاً من (العمل الصالح) و(العبادة الخالصة) يستلزِم أحدهما الآخر ويحتويه، ولكن تنويعاً في البيان، وتنبيهاً على مكانة كل منهما عند ورودهما في سياق منفرد، جمع بينهما في الذكر هنا.

وأمّا الآيتان (٧، ٨) من (يونس) فَيُنَدِّد سبحانه وتعالى فيهما بموقف الكفّار، الذين لا يأملون لقاءَ الله ولا يرجونه، واختاروا الحياة الدنيا وتشبّثوا بها، ومن الجليِّ أنه لو لم يكن أَمَلُ لقاءِ الله والتشرُّف بِحُضُوره، ممّا تقتضيه الفطرة البشرية السليمة، لما وجَّه الله تعالى اللَّوم والعتاب إلى الكفّار بِسبب عدم رجائهم لِقاءَهُ! ولكن بما أَنَّه يَعْلَم أن فِطرَهم مُشتاقة إلى لقاءِ ربها، لولا كبت الكفّار لها والضَّغْطِ عليها باتجاه الكفر، والبعد عن الله والتشبّث بالدنيا، لِذا عاتبهم ولامَهُمْ على تحميلهم فِطَرَهم، ما يخالِفُ رغْبتَها الدفينة، وَشوقَها المتجذِّر.





المطلب الثاني:

يَتمثّل لِقاءُ الإنسان لله تعالى، في تَشَرُّفهِ بِحَضرتِهِ ورؤيته له

والدليل على أن المقصود بلقاء الله تعالى، هو التَشرُّف بحضرته ورؤيته، هو المعنى الظاهريُّ المتبادِر إلى الذهن لكلمة (اللِّقاء)، إذْ لَيْس اللقاء إلّا هذا، ولكن من الواضح أن لقاءَ الله تعالى مجهولُ الكيف لنا، وذلك كسائر صفات الله تعالى وشؤونه التي هي مختصة به سبحانه.

وممّا يدلّ على ما قُلْنا:

الآيات (١٤٣) من (الأعراف)، و(٢٠ إلى ٢٣) من (القيامة)، و(١٣ إلى ١٦) من (المطففين).

أما آية (الأعراف) فلأنَّ نبيَّ الله الكريم (موسى) عليه السَّلام، بعد تشرُّفه بتكليم الله تعالى له، طلب منه أن يُريَهُ ذاتَهُ لِيَنْظُرَ إليْهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ...﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولولا أنَّ رؤية الله تعالى ممكنةٌ للبشر، لما طلبها (موسى) عليه السَّلام، إذ الأنبياء هم أعرف الناس بالله تعالى وأعلمهم بما يجوز في حقه، وما لا يجوز! وأما قوله تعالى في جواب (موسى): ﴿...قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِىۚ...﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلَيْس دليلاً على عدم إمكان رؤيته سبحانه، كما زعم بعض الطوائف من أهل البدع، وذلك بدليليْن:

أ - لم يقلْ جلّ وعلا في جواب طلب (موسى) عليه السلام (لنْ أُرى) حتى يكون الجواب مُفْهِماً لعدم إمكان رؤيته أصلاً، وإنما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ أي أنت يا موسى! لا يمكنك رؤيتي في حالك هذا، وفي هذه النشأة الأولى، التي هي محلّ الإبتلاء وليس اللّقاء.

ب - ولهذا أمر سبحانه وتعالى عبدَه الكليم (موسى) عليه السلام تنبيهاً له على سبب عدمِ تمكُّنه من رؤية ربِّه في هذه الحياة، أن ينظر إلى الجبل الذي يتجلّى له الله تعالى، ويُريه نَفْسَه وكيف يَنْدَكُّ ويتفتَّتُ، كما قال تعالى فيما بعد: ﴿...فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: لما ظَهَرَ الله تعالى للجبل، تَفتَّت وتَفكَّكَ، وأمّا (موسى) عليه السلام لا أنَّهُ لم يَتَحمَّلْ ذلك فَحَسْبُ، بل صار شَبهَ مَيِّتٍ، إذاً: كيف يَتحمَّلُ تَجلِّيَهُ المباشِرَ لَهُ!!

عندها أَقَرَّ (موسى) عليه السلام بالحقيقة التي بيَّنها له رَبُّه، حين قال له: (لَنْ تَراني)، وكذلك وضَحَ له سَبَبُ عدم إمكان رؤيته جلّ وعلا في هذه الحياة للبشر، وهو عدم تحمّلهم لرؤية تَجلِّيه القوي العظيم، الذي يُفَتِّتُ حتى الجبل الصُّلْبَ الضّخم المتينَ، فكيف بأبدان البشر الضّعيفة الهَشَّة، بالنسبة للجبل! فقال (موسى) عليه السلام، بعد أن عاد إليه وَعْيُه، من صَعْقته: ﴿...سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أَي: أُنزِّهك عن أن يمكن للبشر رؤيتك في هذه الحياة، وبهذه الأبدان، فَرَجَعْتُ إليك نادِماً عن طلبي منك، وأنا أوّل المؤمنين، بأنك لن تُرى في هذه الحياة.

وإنما لم يَعْتَبْ سبحانه على (موسى) بسبب طَلَبِهِ المذكور - حسبما أرى - لِأَنَّ دافع (موسى) عليه السلام لِرَفْعِهِ طَلَبَهُ ذلك وشافِعَهُ، كان الحبُّ والإِشتياق لربِّه عزَّ وجلَّ، ثم لأن رؤية الله تعالى للبشر ليست محالاً من حيث الأصل، ولكنها مُمْتَنِعة ومتعذِّرة في هذه الحياة الأرضية فقط، ومن ثَمَّ لم يكن طلب (موسى) المذكور، مطالبة بشيءٍ مُحالٍ، لِذا لم يُعْتَبْ عليه بسببه، ولكن بُيِّن له فقط سبب عدم استجابة الله تعالى لطلبه، وذلك

بإراءة الله إيّاه، عَجزَ الجبل عن تحمل تَجلّيه له، بكل ما للجبل من قوة ومتانة وصلابة، إذن: فالبشر الضعفاء في هذه النشأة، أَعجَزُ وأَضعفُ من تحمُّل ذلك.

وأمّا الآيات (٢٠ إلى ٢٣) من (القيامة)، فبعد أن يُوبِّخ الله تعالى الكفارَ بسبب إيثارهم الحياة الدنيا العاجلة على الآخرة الباقية، يُعْلِنُ أن في الآخرة سَتَنْضُر وتُشْرِقُ وجوه أناسٍ برؤية ربهم الذي ينظرون إليه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ومن الواضح أن أولئك الناضرة وجوههم برؤية ربهم والمبتهجة نفوسهم بذلك، هم أهل الإيمان، وعليه: فأهل الإيمان الذين يتشرَّفون بلقاءِ الله، يرونه ويتمتَّعون برؤيته ويبتهجون.

وأمّا الآيات (١٣ إلى ١٦) من (المطففين) فيتحدَّث فيها سبحانه عن الكفّار المكذِّبين الذين يُسَمُّونَ آياتِ الله البيِّنات المتلوة عليهم أَساطيرَ الأَولين: ﴿...أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، ويقول سبحانه مُعَلِّلاً موقفهم المذكور، بقوله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين]، أي: ليس كتاب الله ـ كما يزعمون ـ أساطير الأَولين، ولكن الذنوب والمعاصي التي اقترفوها صارت رَيْناً وصَدأً على قلوبهم، فغشيتها وغَطَّتْها وبالتالي، اختلَّت من جرّاء ذلك قِواهم الإدراكية، فلا يُبْصرون بها الحق.

ثم يبيِّن سبحانه عقوبتهم الأخروية، على موقفهم الكفريّ المذكور، بقوله:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين]، كما نرى تتمثّل عقوبة أولئك الكفار في شيئين:

أ ـ احتجابُهُم عن الله تعالى وعدَمُ تمكنهِم من رؤيته: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

ب ـ إدخالُ الله تعالى إيّاهم في لهيب نار جهنَّم: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾.

ونفهم من هذه الآيات أشياء:

أولاً: ذكر سبحانه احْتِجابَ الكفار عن الله تعالى، وعدم تمكُّنهم من رؤيته، بعد ذكرِ الرّان الذي علا قلوبَهم وطمَسها بسبب المعاصي والسيئات.

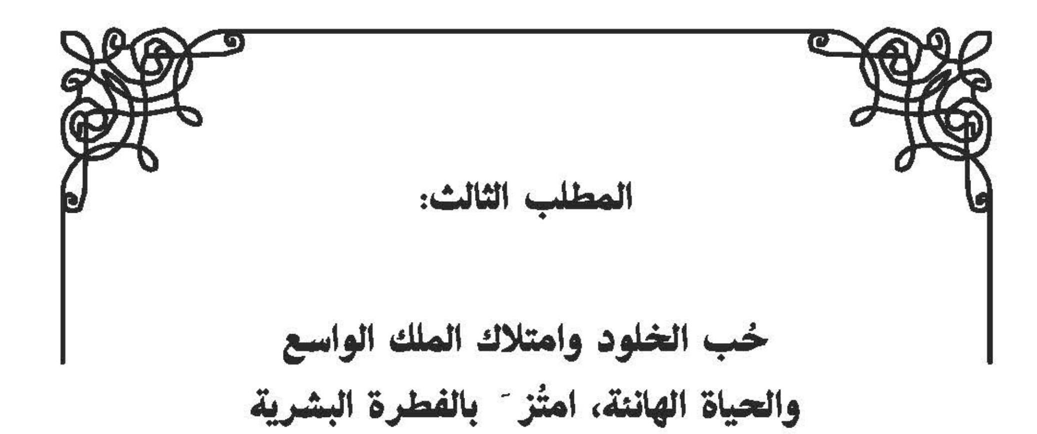
إذاً:

من لم يعرف الله تعالى في الدنيا، ولم يره بقلْبِه خالقاً وربّاً ومالكاً وإلهاً، بسبب تراكم دَرَنِ الذنوب على مرآة قلبه، يُحْرَمْ من رؤيته ببصره في الآخرة، ويُحْجَبْ عَن ربِّه.

ثانياً: إنما قال سبحانه: إن الكفّار هم الذين يُحْجَبون عن الله تعالى، ولم يقل: إنّ الله تعالى يُحْجَبُ عنهم، تنبيهاً على أن الكفار يُسْجنون في مكان بعيد، إذ (جهنّم) هي في الجهة المعاكسة للجنة، التي هي مكان عالٍ وقريب من سدرة المنتهى وعرش الله تعالى، كما بيّناهُ في الفصل الثاني من الباب الأول ـ أي الكتاب الثالث ـ، وكذلك تنبيهاً على أن الله تعالى، لا يَحْجبُهُ شيءٌ عن خلقه يوم القيامة، ولكن الخلق يُحْجَبون عنه، من جرّاء سوء صنيعهم.

ثالثاً: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ بعد ذكره احتجابهم عن الله وعدم رؤيتهم له، يَدُل على أَن بُعْدَ الكفار عن ربهم، وعدَمَ تمكّنهم من الفوز بلقائه ورؤيته، أشَقُّ عليهم من دخول نار جهنّم، إذ البعد عنه جل شأنه عذاب الروح، ودخول النّار عذاب الجسد، ولَيْس الجسد من الروح إلّا كالثوب للبدن.

هذا بالنّسبة لِظَمأ الإنسان للقاء الله تعالى، وأما بالنّسبة لِظَمئِه للحياة الخالدة الطيِّبة، فَسَنَبْحَثُهُ في المطلب الثالث الآتي.



المطلب الثالث:

حُب الخلود وامتلاك الملك الواسع والحياة الهانئة، امتُز بالفطرة البشرية

والدليل على كون حُبِّ الخلود والملك الواسع والحياة الرضيَّة، جزءاً من فطرة الإنسان وكينونته، هو واقع النفس البشرية، والشعور الذاتي للإنسان بذلك وظمؤُهُ وشوقه إليه، كما تدلُّ عليه كل من: الآيتين (١٢٠، ١٢١) من (طه)، والآية (٢٠) من (الأعراف)، إذ خَدَعَ إبليسُ اللّعين أَبَويْنا (آدم وحوّاء) عليهما السَّلام، وظَفَر بهما، بعد أن ركَّز في وسوسته الشيطانية على هاتين النَّزعتين الفطريتينِ المُتَجَذِّرَتَيْن في وجودهما:

١. حُبُّ البقاء والخلود.

٢. حب الملك الواسع.

لأنه قال: ﴿...هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وبالنتيجة: استطاع اللَّعينُ تحقيقَ مآربه، وخِداعَ أوَّل إنسانين، بتطميعه إيّاهما - كذباً وغرورا - في إشباع وإرواء أقوى نَزْعتين فيهما!

وَبْدُو من هذا أن الشيطان اللّعين خَبيرٌ جِدا بالنوازع والغرائز البشرية، وكيفية إثارتها، ثم كما أن الله تعالى وَعَدَ البَشَر - الصالحين منهم - أن

يُشرِّفهم بِلقائه والنظر إلى وجهه الكريم الذي لَيْس كمثله شيء، في الآخرة، كذلك وعدهم بتلك الحياة الخالدة الهنية، والملك الواسع اللذين يتوقون إليهما، وتطالب بهما فطرتهما، كما هو واضح في آيات كثيرة جداً، منها:

الآيات (٦٨ إلى ٧١) من (الزخرف)، والآيتان (٧، ٨) من (البيِّنة)، حيث يبيِّن الله تعالى فيها، أن أهل الإيمان والإسلام سَيحْظَوْن مع أزواجهم في جنة الله الخالدة الواسعة، بتلك الحياة الرضيَّة الهَنِيَّة، وبذلك الملك والجاه العريض وسَيُتوِّجُ ربُّهم الحكيمُ الكريمُ حياتهم تلك ومُلْكَهم ذلك، برضوانه عليهم وإِرضائه إياهم: ﴿... رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ...﴾ [البينة: ١٠٠].

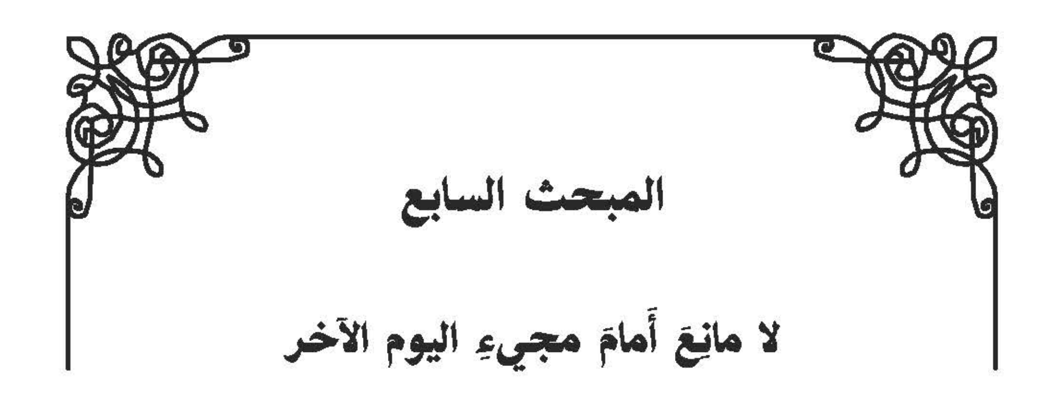
وقد وصف الله تعالى جنَّته الخالدة، بقوله:

﴿...وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وممّا لا شك فيه أَن لقاءَ الله تعالى، هو أعظم ما تشتهيه النفس البشرية، وكذلك النَّظَر إلى وجهه الكريم، هو أكبر ما تَلْتذُّ به عَيْنُهَا، كما أن النفس تشتهي الحياةَ الخالِدَةَ الأبدية الهَنِيَّة، والمُلْك الواسع والجاه العريض، إذن:

فكل هذه المُشْتَهيات والمرغوبات، موجودة في تلك الجنة الموعودة التي أخبرنا ربُّ العالمين جلّ وعلا، بأنّها ستتحقق فيها كلّ الآمال والأُمْنيّات التي أَودعها في أعماق وجود البشر وعَجَنها بفطرتهم، لِحكَمٍ جليلةٍ كثيرة، لا يُحيط بها سواه.





المبحث السابع

لا مانِعَ أَمامَ مجيءِ اليوم الآخر

ذكرنا في المباحث الستة الماضية، ستة دوافِعَ موجبات لمجيء اليوم الآخر، كل منها دافِعٌ موجِبٌ برأسه، وبرهان باهر لوحده.

وبما أَن كل شيء وُجِدَ الدافع والمُوجِبُ لوجوده، ثم لم يوجد مانِعٌ يُعَرْقِلُ طريقَهُ، فوجوده حتميٌّ متحقق ثابِت، لِذا نبيِّن في هذا المبحث السّابع المخصَّص لِعَرْضِ البرهان السابع على ضرورة مجيء اليوم الآخر وحتميته، أنه لا يوجد أيُّ مانِعٍ أمام مجيء ذلك اليوم الكبير، ولا يوجد أدنى شيء يُعرْقِلُ طريقهُ، لِذا فهو آتٍ لا مُحالة.

وهذه بعض الآيات البيِّنات بهذا الصَّدد:

١. ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾ [المعارج].

٢. ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ [الطور].

٣. ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢﴾ [الواقعة].

٤. ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات].

ويؤكِّد ربُّ العالمين جلّ وعلا في هذه الآيات، أن اليوم الآخر آتٍ لا مُحالة ولا توجَدُ قوة تقِفُ في طريقه:

ففي الآيات (١، ٢، ٣) من (المعارج) والتي نزلت ـ كما يقول (ابن عبّاس) رضي الله عنهما ـ في (النّضر بن الحارث) عندما قال كما حكاه الله تعالى عنه في الآية (٣٢) من (الأنفال): ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1] فيقُول سبحانه مُهدِّداً الكفّار المنكرين للبعث والنشور:

إنَّ ذلك العذاب الذي يُطالِبُ به هو، شيء واقِعٌ لا محالة، ولكن هو مُخْتَصٌ بالكافرين، ولا يوجد دافِعٌ يَدْفَعُهُ أو مانِعٌ يَمْنَعُهُ، وهو آتٍ من الله الذي هو صاحب مدارج ومصاعد «يصعد فيها الملائكة الكرام».

وفي الآيات (١ إلى ٨) من (الطّور) يُقْسِمُ سبحانه وتعالى بخمسة أشياء متنوّعة، وهي:

١ ـ الطُّورِ: وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام في (سيناء).

٢ ـ كِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ: والظاهر أن المقصود بالكتاب المكتوب بعناية في الجِلْد، أو أي شيء يكتب عليه، هو كتاب الله الخاتم: القرآن العظيم، إذ (التوراة) كانت مكتوبة في الألواح الحجرية، كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وإلّا لقُلنا أن المقصود بالكتاب المسطور هو التوراة.

٣ ـ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ: وهو الكعبة، أو بيت لعبادة الملائكة في السماء.

٤ ـ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: وهو السماء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا

(١) أَخْرَجَهُ النّسائي وابن أبي حاتم عنه، كما قال السيوطي، في (لباب النقول في أسباب النزول) رقم: ١١٥٠، وسنن النسائي، التفسير: ٦٤٠.

مَحۡفُوظٗاۖ . . .﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧﴾ [الرحمٰن].

٥ ـ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: أي البحر المشتعل، وهذا يحدث عند قيام السّاعة بعد النفخة الأولى في الصور، من قِبَلِ (إسرافيل)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾ [التكوير]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾ [الانفطار].

وإذا علمنا ـ كما يقول الكيمياويون ـ أن جُزَيءَ (مولكول **Molcol**) الماء يتكوَّن من ذرة واحدة من (الأوكسجين) وذرتين من (الهايدروجين) (H_2O)، وأن الهايدروجين يحترق، والأُوكسجين يساعد في عملية الإحتراق، نعلم أيَّ انفجارٍ مَهُول وحريق عظيم، يحدث بسبب البحار!

وبعد هذه الأقسام الخمسة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ [الطور]، أي: إن العذاب الذي يَعْقُب الحشر والحساب والمحاكمة يوم القيامة، آتٍ للكفار المنكرين للبعث والجزاء، ولا يقف في طريقه مانِعٌ!

وفي الآيتين (١، ٢) من (الواقعة) يُخْبِرُنا سبحانه وتعالى، بأنه عندما تقع الواقعة الكبرى، لا توجَدُ عندئذٍ نَفسٌ تكذِبُ بِنَفْيها إيَّاها، كما كانت تفعل في الدنيا، إذ الآخرة عالم الحقائق، ولا مجال فيها للكذب والدَّجَلِ.

وكذلك في الآيات (١ إلى ٦) من (الذاريات) بعد أن يُقْسِم سبحانه بكل من:

١) الرياحِ التي تَذْرو وتَذْرِفُ الأشياء ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾.

٢) والسُّفُنِ التي تَحْمِلُ الأحمالَ الثقيلة ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾.

٣) والسُّحُبِ التي تجري في جوِّ السماء بِيُسْرٍ وسهولة ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣﴾.

٤) والملائكةِ التي توزِّعُ ما أَمَرَها الله بتقسيمه ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾.

يقول سبحانه مؤكِّداً:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝﴾ [الذاريات]، أي: إنَّ الذي وعدكم الله بِهِ، وهو البعث بعد الموت، لصادق صحيحٌ لا ريب فيهِ، وكذلك الجزاء والحساب الذي تبعثون من أجله، واقع وثابت لا محالة، إذن فاستَعِدّوا لَهُ!.

هذا بالنِّسبة لعدم وجود مانع وعَرْقلةٍ أمام مجيء يوم الدين خصوصاً واليوم الآخر عموماً، وأما بالنِّسبة لاستشكال الكفّار، إحياءَ الله تعالى الأموات بعد صيرورة الأجساد تُراباً والعظام رميماً، فقد اهتمَّ كتابُ الله اهتماماً بالِغاً، بِدفع ذلك الإشكال الذي لا يَسْتَنِدُ إلّا إلى مجرَّد وهم وظنٍ كاذبٍ، وتطرَّق لذكره ودَحْضِهِ في أكثر من موضع، ولكن نكتفي هنا بذكر مثالين فقط، من تلك المواضع:

١) قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [يس].

٢ ـ وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف].

١) الآيات (٧٧ إلى٨٣) من (يس):

في هذه الآيات يوجِّه سبحانه وتعالى في البداية سؤالاً توبيخيّاً إلى الإنسان الكافِر المُنكِر للبعث بعد الموت، فيقولُ: أَوَلَمْ يعلم أنّا أبدعْناه في

بداية خلقه من نُطْفةٍ ـ وهي الماءُ القليل في أصل اللغة، ويقصد بها المَنِيُّ ـ ثم طوَّرناه عبر مراحل، ونشأ إنساناً كاملاً، فإذا هو مُجادِلٌ واضِحٌ! أي بَدَل أن يصير لربِّه عابداً خاشعاً، أصبح مخاصِماً واضحاً، ثم في خضمِّ جداله ضرب مثلاً فقال: من الذي يقدر على إعادة الحياة إلى العظام البالية؟!

إذن:

فهذه هي عُقدة مُنْكِري البعث بَعْد الموت: كيف يمكن إعادةُ الحياة إلى الأجساد التي صارت تراباً، والعظامِ التي أصبحت رميماً وبَلِيَتْ تماماً؟!

وكما نرى تتلخَّصُ عُقْدَةُ مُنْكِري الحياة بعد الموت، في مُجرَّد الإسْتبْعاد والإستعظام والإستصعاب لعودة الحياة إلى الأجساد التي ماتت وفارقتها الحياة، وصارت أشلاء مبعثرة، بل أجزاء متناثرة!

ويجيب ربُّ العالمين جلّ وعلا على التساؤل المذكور: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟! ويُفَنِّدُ تَوَهُّمَ استِبعادِ الحياة بعد الموت ويَدْحَضُهُ، بكلام مبارك يتضمَّن سَبْعَةَ أدلَّةٍ، كل منها كافٍ ووافٍ بالغرض، فيقول تعالى:

١) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي كما أنه سبحانه قَدَرَ على إنشائه وإعطائه الحياة أولاً، وَجَمْعِ وتنسيقِ ذرات وجوده، حتى صار إنساناً مِلءَ السمع والبصر، كذلك هو قادِرٌ على إعادته ثانياً، لأنَّ تكرارَ شيء ـ عادة ـ أسهل من فعله للمرة الأولى، كيف والصُنّاعُ من البشر لا يصعب عليهم تكراُ صنع مصنوعاتهم، فكيف يَصْعُب على الخالق ما يسهل على المخلوق؟!

٢) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

أي: فما دام له سبحانه العلم التام المحيط بكلِّ المخلوقات، سَهْلٌ عليه إعادةُ خَلْق أيّ منها، على مِنْواله السابق الذي خلقه عليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿. . . بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق].

٣) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

أي: فَمَنْ قَدَرَ على أن يُودِعَ الشَّجَر الأَخْضَر الحرارَةَ الكافية، على الرغم من طراوة الشجر ورطوبَته، فجمع بين الماءِ والنار في مكانٍ واحدٍ، هو قادرٌ أيضاً على إيداعِ الحياة، أيِّ جسمٍ ومادةٍ متى وكيف شاء!

٤) ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾:

أي: مَنْ تَمَكَّن من فعلِ ما هو أكبر وأخطر شأناً، فهو بالأحرىٰ قادرٌ على ما هو أصغر وأحقرُ شأناً، وهذا كقوله تعالى:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر].

وكقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات].

٥) ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

و(الخلاّق) صيغة مبالغةٍ من (الخالق)، أي الذي خلَق ويَخْلُق كثيراً، والعليم مَعناه واضحٌ، فالخلاّق هو الخالِقُ الذي يخلق أيَّ شيء يريده سبحانه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

ومَنْ سَلَّم بخالقية الله تعالى وربوبيَّته اللّتينِ تَسْتَلْزِمان قدرةً شاملةً وعِلْماً محيطاً، ينبغي له أن يُقِرَّ له سبحانه بقدرته على إحياءِ الموتى، وإلّا فهو يُناقض نَفْسَهُ.

٦) ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

وهذا توضيح لإرادته المطلقة سبحانه، والتي لا يستَعْصي عليها، بل لا يَصْعُبُ عليها فِعْلُ أيِّ شيءٍ اقتضته حكمته، فهو جلَّ شأنه، يكوِّن الأشياءَ ويُلْبِسها ثوب الوجود، بمجرَّد توجيه مشيئته المطلقة إليها.

٧) ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾:

أي: فَمُنَزَّهٌ عن النقص والعجز الذي يظنه السّفهاءُ بهِ، الرب الذي بيده أزِمَّة الأشياء كلِّها وإليه ترجع مِلْكيَّتُها، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء، ومن كان مالِكاً لكل شيء لا يصعب عليه فِعل شيء، لا إحياءُ الأموات ولا غيره.

٢) الآية (٥٧) من (الأعراف):

وفي هذه الآية المباركة ـ التي كرَّر سبحانه محتواها بصيغ تعبيرية متعدِّدة، في مواضع كثيرة من القرآن المبين ـ يَصِفُ سبحانه وتعالى عَمَلِيَّة إِرسال الرِّياح وحَمْلِها السُّحب الممطرة المثقلة بالماء، وسَوْقِهِ إيّاها إلى أرض يابسة جرداء خالية من علامات الحياة، وإنزالِهِ الماءَ فيها وإخراجه أنواعَ الثمرات بهِ فيها، من حبوب وزروع وفواكه، وَمِنْ ثَمَّ صيرورة تلك الأرض الميتة إلى مكان مُزْدحم بالحركة والحياة، ومُزْدانَةٍ بالبهجة والرَّواء، ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿... كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

أي: إنَّ الله تعالى حوَّل تلك الأرض اليابسة الجَدْباء الجَرداء، بفضل إنزالِ الماءِ عليها، إلى أرض حية عامِرة مُزْدَهِرة بالحياة والحركة، وكذلك متى شاءَ أن يُحيي الموتى الذين هم بمثابة تلك الأرض اليابسة التي فارقتها الحياةُ لفترةٍ ما، ثم عادتْ إليها بعد نزول رحمة الله وبركته المتمثِّلة بالماءِ النازل من السّحاب، فهو سبحانه يُحيْيها ويَهَبُها الحياةَ على المِنْوال نفسه، أو بما هو قريبٌ منه وشبيهٌ بهِ.

وهكذا أَقامَ كتابُ الله الحكيمُ البراهينَ السّاطعة والحُجَج الواضحة، على أن مجيء اليوم الآخر ضروري وواجِبٌ وحتميٌّ.

وبهذا نختم هذا المبحث السابع، وبهِ نختم الفصل الثالث كلَّه، ونتنقل بتوفيق الله تعالى إلى الفصل الرابع:



الفصل الرابع

مراحل اليوم الآخر ومُدَّتُه




لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
عەلی باپیر/AliBapir
عەلی باپیر/AliBapirw
AliBapirı
archive.org/details/@alibapir
عەلی باپیر/AliBapir
AliBapir
Google Play
App Store
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
عەلی باپیر / AliBapir
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



اليوم الآخر يبدأ بانتهاء الحياة الدنيا، عَقِبَ ذلك الإِنقلاب العظيم الذي يَعُمُّ السموات والأرض، ويشتمل اليوم الآخر على حوادث جسيمة ووقائع عظيمة، ويمكننا تقسيمُ ما يحصل فيه من بدايته إلى نهايته، إلى مقدمة وثلاث مراحل، وسنخصص لكل منها مبحثاً، وهذه هي عناوين المباحث الأربعة:

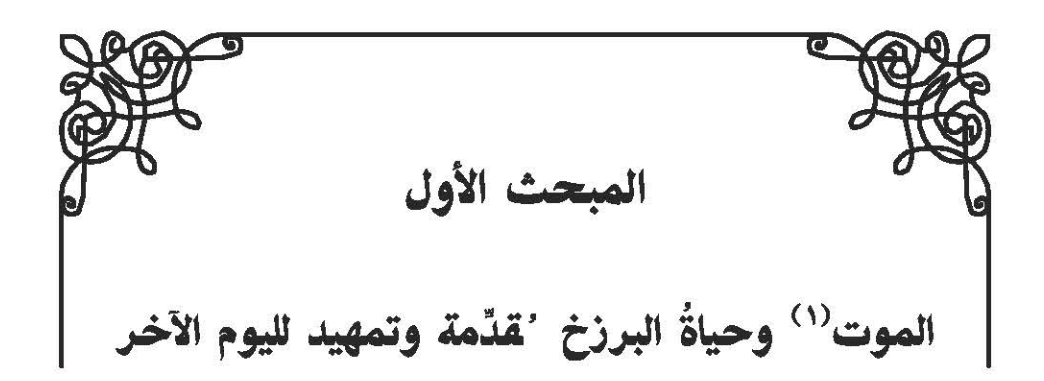
المبحث الأول: الموت وحياةُ البرزخ، مقدِّمةٌ وتمهيدٌ لليوم الآخر.

المبحث الثاني: المرحلة الأولى: النفخة الأولى في الصّور، وطيُّ صفحة الحياة الدّنيا.

المبحث الثالث: المرحلة الثانية: النفخةُ الثانية في الصّور، والبعث والنشور والحشر والحساب.

المبحث الرابع: المرحلة الثالثة: سَوْقُ الكفّار إلى جهنّم، وإيفادُ المتقين إلى الجنّة، واستقرارُ الكل في الأماكن المُعَدَّة لهم، حسب مواقفهم وأعمالهم في الدنيا.

وسنتحدَّث عنها تباعاً، بِدْءاً بالمقدمة التي تَسْبِق اليوم الآخر وتُمهِّد له:



المبحث الأول

الموت[١] وحياةُ البرزخ مُقدّمة وتمهيد لليوم الآخر

حسبما يبدو من آيات كتاب الله الحكيم، وأحاديث نبيّه الكريم ﷺ، يطّلعُ الإنسان بمجرّد خروج روحه من بدنه، على مصيره ونتيجة حياته الدنيوية الإبتلائية، ولهذا وصف بعضُ العلماء (الموت) بأنه هو (القيامة الصّغرى) وقالوا: (مَنْ مات فقد قامت قيامته)، وسمّى العلماءُ حياةَ ما بعد الموت، أو ما بعد مفارقة الروح للبدن بـ(حياة البرزخ)، وذلك اقتباساً من قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (١٠٠)﴾ [المؤمنون].

والبرزخ هو الحائل والحاجِزُ بين شيئين[٢]، وإنما سُمّيت حياةُ ما بعد مفارقة الروحِ للبدن، حَياةَ البرزخ، لأن تلك الحياة وتلك الفترة، إنما هي فاصِلٌ ووسَطٌ بين حياتي الدنيا والآخرة.

والدليل على أن الموت والحياة البرزخية، مقدّمة وتمهيدٌ لليوم الآخر، هو أن الله تبارك وتعالى ذَكَرَ اليومَ الآخر عموماً والقيامة خصوصاً، عَقِبَ ذكر الموت وحياة البرزخ وتالياً لهما، في عِدّة مواضع من كتابه الحكيم.

---

(١) نقصد بالموت هنا، خروج الرّوح من البدن، ومُفارقتها له بأيّ سبب كان.

(٢) البَرْزَخُ: الحَاجِزُ بين الشيئين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. مختار الصحاح ص٥٥، لفظ: ب ر ز خ.

وهذه أمثلة من تلك المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الحياة البرزخية الناشئة عن مفارقة الروح للبدن، والحياة الأخروية الناشئة عن القيامة والبعث، تتلو الثانيةُ الأولى مباشرةً، وتلتصق بها التصاقاً:

١. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

٢. ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

٣. ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

ولنعلق باختصار على هذه الآيات المباركات:

أولاً: يصف سبحانه وتعالى في الآيات (٩٩ إلى١٠٣) من (المؤمنون) حالَ الإنسان الكافر الذي يحضره الأجَلُ ويُعاين الملائكة القابضين للأرواح، فيدعو الله تعالى ويلتمس من الملائكة أن يُمْهِلُوه فترة أخرى، ولا يَقْبضوا روحَهُ، لَعلّه يتدارك ما فاته من العمل الصالح! ولكن يُجابُ على طلبه بـ(كلاّ)، وهي كلمة ردْع وزجرٍ ونفي، ويوصف طَلَبُه المذكورُ، بأنه كلامٌ فارغٌ لا يُلْتَفَتُ إليه: ﴿... كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

ثم يبيِّنُ جلَّ شأنه بأنه بعد حياتهم الدنيوية هذه، يُوجَدُ حائِلٌ وحاجِزٌ يمنعهم من العودة إلى الدنيا، والمقصود بهِ الحياة البرزخية، التي هي مرحلة انتقالية بين الدنيا والآخرة، وتمتدُّ إلى قيام الساعة والبعث: ﴿...وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

ثم يصف سبحانه القيامة واليوم الآخر مباشرة، بأنه إذا ما نُفِخَ في الصّور ـ والظاهر أن المقصود بهذه النفخة هي النفخة الثانية ـ، فلا يُحْسَب لأنسابهم أَي حساب، ولا يَسْأَل أحدٌ أحداً شيئاً، لأنهم يعلمون عدم جدواه، ثم يذكر سبحانه مصير الناس حسب أوزان أعمالهم ثِقَلاً وخِفَّةً.

ثانياً: وفي الآيتين (٥٥، ٥٦) من (غافر) يُجلّي سبحانه إنجاءَه للرجل المؤمن من آل فرعون، وإهلاكه لآل فرعون بالغرق: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾، والظاهر أن المقصود بـ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ هو غرقهم في البحر الأحمر الذي انشقّ لبني إسرائيل، وسار فرعون وجيشه في طريقهم لِلَحاق بهم، ثم أَطْبَقَ الله عليهم البَحْرَ بعد أن خرج منه بنو إسرائيل كلّهم، ودخل فيه الفرعونيون كلُّهم.

ثم يصف سبحانه عذابَ آل فرعون في المرحلة البرزخية، بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ﴾ والدليل على أن هذا العَرْضَ الصباحيّ والمسائيّ لآل فرعون على النّار، هو عذاب البرزخ، هو أن الله تعالى ذكر بعد ذلك مباشرة، عذابَهم الأُخروي، بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، إذن: فالعذاب الذي يذوقونه بالغدوّ والعشيّ فقط، هو عذاب البرزخ، وأما عذاب الآخرة فَمُسْتَمِرٌّ، ثم هو أشدُّ أنواع العذاب.

والحكمة من ذكر عذاب البرزخ لآل فرعون، متصلاً بعذابهم الدنيوي المتمثّل في الغرق، والذي سَمّاه الله تعالى ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، هي: أنَّ عذاب البرزخ يبدأ ـ بالنّسبة للكفار ـ مباشرة بعد انفصال الروح عن الجسد، كما أن نعيم البرزخ لأهل الإيمان، يبدأ مباشرة بعد خروج أرواحهم الطيِّبة من أشباح أبدانهم الطينية!

ثالثاً: وفي الآيات (١٩ إلى ٢٢) من (ق) يذكر سبحانه مجيء ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١] أي: شِدَّتُه وكَرْبُهُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: حقاً ثابتاً، أو طبقاً لِسُنن الله

---

(١) سَكْرةُ الموت: شِدَّتُه. مختار الصحاح ص٢٧٥، لفظ س ك ر.

تعالى الحكيمة الحقة، ويُخاطَبُ الكافِرَ بالقول: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: ان هذا الواقع الذي تراه الآن أيها الكافر! هو ذلك الحق نفسه الذي بلّغك بهِ الأنبياءُ عليهم السّلام ونوّابهم، ولكن كنت تنحرف عنه ولا تريد الإقرارَ بهِ!

والظاهر أن ذلك التوبيخ هو عند الإختضار وخروج الروح، عندما يشاهِدُ الإنسانُ المُحتَضَرُ أياً كان، الملائِكَةَ الكرام الذين يتولّون قَبْضَ روحه من جسده.

وسَبَبُ ذكر حياة البرزخ متصلةً بالنفخ في الصور، كما قال تعالى بعد ذكر قبض الروح مباشرة: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾، هو أن حياةَ البرزخ متصلةٌ في طَرَفها الختامي باليوم الآخر، بِدْءاً بالساعة المُعَبَّر عنها بـ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ إلى القيامة والحساب والجزاء.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أن كل نفسٍ تأتي ذلك اليوم، ويكون معها ملكان، أحدهما يَسوقُهُ إلى عَرَصَةِ المحشر، والثاني يشهد عليه، أو كلاهما يقومان بسوقه والشهادة عليه: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

ثم يخاطب الله تعالى ـ أي من خلال الملائكة ـ الإنسانَ الكافِرَ الغافِلَ، بقوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، أي: لقد كنت غافلاً عمّا تراه اليوم في حياتك الدنيا، ولكن لما أَزَحْنا عنك غِطاءَ بَدَنك الترابي الإبتلائي، أصبحت تشاهد الحقائق التي كنت تُنكِرُها بوضوحٍ شديد.

إذاً:

كما رأينا يبيِّن كتابُ الله الحكيم، أن الحياة الدنيوية هذه، تُخْتَمُ بالموت ومُفارقة الروح للبدن، وبعد مُفارقة الروح للبدن، تبدأ مباشرة مرحلة الحياة البرزخية، والتي هي حاجِزٌ وفاصِلٌ ومرحلة وسطى بين الحياتين الدنيوية والأخروية، أي إن بدايتَها مُتَّصلةٌ بالدنيا ونهايتها بالآخرة.

وإذا كانت الآياتُ التي ذكرناها كأمثلة في البنود الثلاثة المتقدمة، كلّها مرتبطة بحياة الكفُار البرزخية، فهناك آيات أخرى تتحدّث عن حياة أهل الإيمان البرزخية، وهذه أمثلة منها:

١ - ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة].

٢ - ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران].

٣ - ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس].

٤ - ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

وهذه تَعْليقات وتوضيحات مختصرة حول هذه الآيات:

١) الآية (١٥٤) من (البقرة):

قال صاحب (صفوة البيان لِمعاني القرآن) عند تفسير هذه الآية المباركة:

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: بل هم أحياءٌ يرزقون، حياة برزخيّة خاصة، لا يعلم حقيقتها إلّا الله تعالى، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين في البرزخ، وقال الآلوسي: إنّ الروح تتعلّق بعد الموت بِبَدَنٍ بَرْزَخيٍّ مُغايرٍ لهذا البدن الكثيف، وأرواح الشهداء، يَثبت لها هذا التعلُّق على وجهٍ يمتازون فيه عَمَّن

عداهم من المؤمنين، إمّا في نفس التعلّق أو في نفس الحياة، مع ما ينضمُّ إلى ذلك من البهجة والنّعيم اللاّئقين بهم، ولهذه الأبدان البرزخية، شَبَهُ صُوريّ بالأبدان الدنيوية..)[1].

وأنا أقول:

ما يدلّ على صحة القول بأن أرواح أهل الإيمان بعد مفارقتها لأبدانها الترابية، يجعلها الله تعالى - في عالم البرزخ - في أجساد تتناسب مع عالم البرزخ، بالإضافة إلى ظاهر الآيات التي تصف الشهداء بأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون، هو ما ورد عن رسول الله ﷺ في هذا المجال من أحاديث سنشير إلى بعضها بعد قليل.

٢/ الآيات (١٦٩، ١٧٠، ١٧١) من (آل عمران):

إذا كان في الآية (١٥٤) من (البقرة) نهى الله تبارك وتعالى أهل الإيمان عن إطلاق لفظ (أموات) على المقتولين في سبيل الله تعالى، ففي هذه الآيات ينهاهم الربُّ الحكيم الكريم جلّ شأنه، حتى عن مجرّد الظنّ والتصور بأن الشهداءَ أمواتٌ، وأنّهم وانتقلتْ أرواحُهم بعد القتل من عالم الحركة والحياة، إلى عالم الموت والركود!: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ ثم يبيِّن سبحانه أن الذين يقتلون في سبيل الله تعالى (الشهداء)، هم أحياء وقريبون من ربهم - قُرْباً يليق بهِ - وأنهم يرزقون هناك: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

ثم يبيِّن سبحانه أن الشهداء مسرورون بما وهبهم الله تعالى من فَضْله المتمثِّل في الجنَّة، وأنهم يستبشرون ويُسرُّون، عندما يُعْلِمُهم الله تعالى بأخبار إخوانهم المجاهدين الذين خلَفُوهم في الدنيا، واستمرارِهم على الجهاد الذي سيؤدّي بهم إلى جنة الله حيث لا خوف ولا حزن عليهم،

---

(١) أنظر ص (٣٦)، والمؤلِّف هو: الشيخ حسنين محمَّد مخلوف، مفتي الديار المصرية السابق، ويبدو أن الشيخ حسنين اقتبس كلام الآلوسي مفهوماً لا نصاً، كما هو واضح لمن يقرأ كلام الآلوسي في تفسيره، أنظر: (روح المعاني) ج١، ص٥٧٧.

ويُسَرُّون بما هم فيهِ من النعيم الربّاني والفضل الرحماني، وعندما يعلمون ويشاهدون بعين اليقين ـ بعد علم اليقين الذي كان لهم في الدنيا ـ، بأن الله تعالى لا يضيع أجر المؤمنين، بَل يجزيهم بأفضل بكثير ممّا كانوا يتصوّرون ويتوقّعون.

وقد أورد النيسابوري في سبب نزول هذه الآيات أحاديث بسنده، نختار منها هذين الحديثين:

أولاً: (عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ الله أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ الله سُبْحَانَهُ أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنكُمْ قَالَ فَأَنْزَلَ الله:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾». (أَخرَجَهُ أَحمَد برقم: (٢٣٨٨)، وَأَبُو دَاوُدَ برقم: (٢٥٢٠)، وَالحَاكِمُ برقم: (٣١٦٥) وَقَالَ: صَحِيح عَلَى شَرطِ مُسلِم وَحَسَّنَهُ الألباني في صحيح أبي داود).

ثانياً: (عن جَابِرِ بْنِ عَبْدالله رضي الله عنهما قَالَ: نَظر إلـَّ رَسُولَ الله ﷺ فقال: «**مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا؟!** قلت: يَا رَسُولَ الله! قُتِلَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً، فَقَالَ: **أَلا أُخْبِرُكَ؟ مَا كَلَّمَ الله أَحَداً قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً، فَقَالَ: يَا عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ، قَالَ: أسألك أنْ تردَّني فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ: الرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾») (أَخرَجَهُ التِرمِذِيُّ برقم: (٣٠١٠) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَابنُ مَاجه برقم: (١٩٠)).

٣) الآيتان (٢٦، ٢٧) من (يس):

وقدْ تحدثنا سابقاً ـ في الكتاب السادس ـ عن موضوع هاتين الآيتين،

وقلنا أنهما تتحدّثان عن خاتمة المطاف المشرِّفة لذلك الرجل المؤمن الذي دافع دفاعاً مجيداً، عن الرسل الثلاثة الذين أرسلهم الله تعالى إلى أهل مدينة، ولكنهم كَذَّبوهم، ونتيجة دفاعه عنهم قتلوه، فأدخله الله تعالى الجنّة مباشرة، وهناك ـ بعد دخوله الجنّة ـ تمنّى حرصاً منه وشفقةً على قومه وهدايتهم، أنْ لو يعلم قومُهُ كيف أن الله تعالى أكرمه وأدخله الجنّة، وحقّق الله تعالى أُمْنِيَّتَهُ، ولكن ليس في قومه الذين استحقوا الهلاك الجماعي وأُبيدوا، بل في أمة (محمّد) ﷺ أفضل الأمم.

وهاتان الآيتان كذلك واضحتا الدلالة على حياة البرزخ ونعيمها لأهل الإيمان.

٤ ـ الآيات (٨٣ إلى ٩٤) من (الواقعة):

وهذه الآيات التي يبيِّن الله تعالى فيها كيفية حالة الإحْتضار ومفارقة الروح للجسد، ثم استقرار كل من (المُقَرَّبين) و(أصحاب اليمين) و(المكذبين الضالين) في المكان المناسب المُعَدِّ لهم، ـ على ما يبدو لي ـ تتحدث عن حالة البرزخ، لكل من أهل الإيمان وأهل الكفر، وذلك لأن الله تعالى ذكر في أول السورة، عاقِبَةَ الأصناف الثلاثة في الآخرة: في الجنّة أو النّار، ثم صدّر ذكر جزاء كل صنفٍ هنا بالفاء (ف) الدالة على التعقيب، وسنوضح هذا الموضوع أكثر لاحقا.

هذا وقد فصّلت السنّة النبويّةُ المباركَةُ موضوعَ عذاب القبر ونعيمه، في أحاديث كثيرة توضّح أمورا جَمّة من شؤون عالم البرزخ، وما فيه من نعيم لأهل الإيمان، وعذاب لأهل الكفر.

ومن الأحاديث في هذا المجال هذا الحديث لرسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجى مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْده أَشَدُّ مِنْهُ**» (رَوَاهُ عَبْدُالله بْنِ أَحْمَد في زوائده على المسند برقم: (٤٥٤)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٣٠٨) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَابْنُ مَاجَة برقم: (٤٢٦٧)، وَالحَاكِمُ برقم: (١٣٧٣)، وَالبَزّار برقم: (٤٤٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْباني عَنْ عُثْمَان رضي الله عنه).

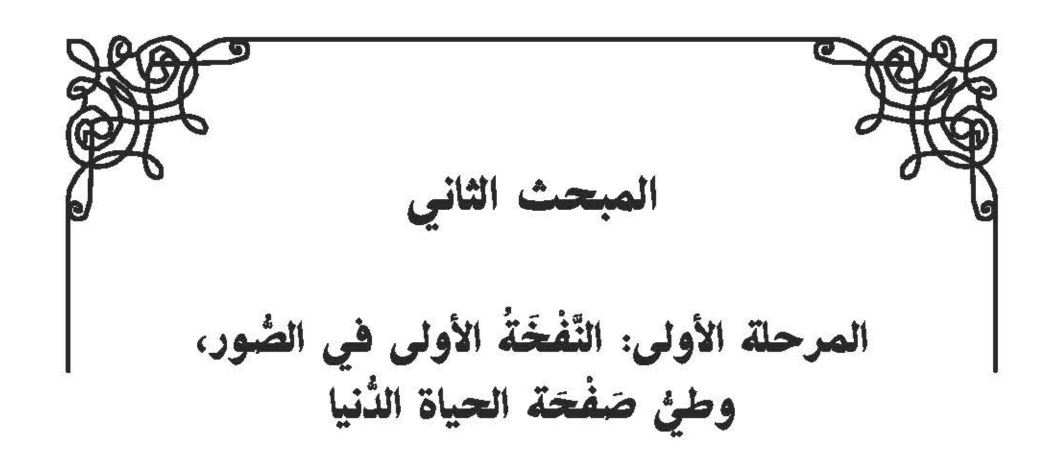
ومن الأقوال المأثورة حول موضوع حياة البرزخ هذا القول: (القَبْرُ آخر مَنْزِلٍ من منازل الدنيا، وأول مَنْزِلٍ من مَنازل الآخرة).

والمقصود بالقبر هو مرحلة ما بعد خروج الروح من البدن، وعليه: فإدخالُ البدن في القبر، لَيْس شرطاً أو ضرورياً لحصول ما وصف في الأحاديث بـ(عذاب القبر) بالنّسبة للكفّار والعصاة، أو (نَعيمِه) بالنّسبة لأهل الإيمان والتقوى، ولكن بما أن الإقبار هو الحالة الغالبة جاءت الأحاديث بهذا التعبير، وذلك لأن نعيمَ القبر ـ أي مرحلة ما بعد مفارقة الروح للبدن ـ أو عذابَه، مختصّ بالروح بالدرجة الأساس، وان كان للبدن فيهما نصيبٌ مّا على ما يرى كثير من العلماء، ولكنّي أميلُ إلى الرأي القائل: إن عذاب القبر ونعيمَهُ مُخْتَصّان بالروح فقط، وإنما اختلف العلماء في هذا الموضوع، بسبب عدم حَسْم الأحاديث الصحيحة الصّريحة إيّاهُ، وبالتالي انفسَحَ فيه المجالُ لِتَعدُّد الآراء.

ونختم الحديث عن حياة البرزخ ونعيمها أو عذابها، بهذا الحديث النبوي: (عَنْ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ ﷺ، قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِن أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**» (أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ برقم: (٣٢٤٠)).

وأمّا الآن فإلى المبحث الثاني، والحديث عن المرحلة الأولى لليوم الآخر:





المبحث الثاني

المرحلة الأولى: النّفْخَةُ الأولى في الصُّور، وطيُّ صَفْحَة الحياة الدُّنيا

اليوم الآخر بصورة عامة، يَنْقَسِمُ إلى مَرْحلتين:

المرحلة الأولى، وهي مرحلة (الساعة) التي تنتهي فيها هذه الحياة الدنيا، وتُطْوى السماء كطيِّ السجل للكتب، وتبدأ هذه المرحلة بالنفخة الأولى في الصّور.

والمرحلة الثانية، والتي هي مرحلة (القيامة والبعث والجزاء)، وتبدأ بالنَّفخة الثانية في الصُّور، وقد ذكر الله تعالى في كتابه المبين، كلتا النفختين الأولى والثانية في موضعين، وهما:

الأول: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر].

الثاني: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات].

إذ المقصود بالرّاجفة هو النفخة الأولى التي ترتجف بها الأرض وتضطربُ، وكذلك السماءُ ويختلُّ نظامهما، والرادفة هي النفخة الثانية التي تَرْدِفُ وتَتْبَعُ النفخة الأولى.

ونحن هنا نُفْرِد المرحلة الأولى بالحديث، ونُرْجيءُ الحديثَ عن المرحلة الثانية إلى المبحث الآتي، والذي يليه بإذن الله تعالى.

وقد وصف سبحانه المرحلة الأولى من اليوم الآخر، والتي تَحْدُث بسبب النفخة الأولى في الصّور، وما يحدث فيها من الإنقلاب الهائل والتغيير العظيم والحوادث العظام، على مستوى العالم المرتبط بنا كلّه (السموات والأرض) في مواضع كثيرة من كتابه الحكيم، وَسَنَسْتَعْرِض معْظَمها، كي نَسْتَجْلِيَ من خلالها صورة ذلك اليوم الرهيب ووقائعه الجسيمة:

١. ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة (١٣) وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة (١٤) فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧)﴾ [الحاقة].

٢. ﴿إذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) إذا رجت الأرض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥) فكانت هباء منبثا (٦)﴾ [الواقعة].

٣. ﴿القارعة (١) ما القارعة (٢) وما أدراك ما القارعة (٣) يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (٤) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥)﴾ [القارعة].

٤. ﴿إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب انتثرت (٢) وإذا البحار فجرت (٣)﴾ [الانفطار].

٥. ﴿إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحقت (٢) وإذا الأرض مدت (٣) وألقت ما فيها وتخلت (٤) وأذنت لربها وحقت (٥)﴾ [الانشقاق].

٦. ﴿إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا الجبال سيرت (٣) وإذا العشار عطلت (٤) وإذا الوحوش حشرت (٥) وإذا البحار سجرت (٦)﴾ [التكوير].

٧. ﴿الحاقة (١) ما الحاقة (٢) وما أدراك ما الحاقة (٣)﴾ [الحاقة].

٨. ﴿يوم ترجف الراجفة (٦)﴾ [النازعات].

٩. ﴿فإذا جاءت الصاخة (٣٣)﴾ [عبس].

١٠. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة].

١١. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج].

١٢. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ...﴾ [غافر: ١٨].

١٣. ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب].

١٤. ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ].

١٥. ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء].

١٦. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل].

١٧. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء].

١٨. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ [ق].

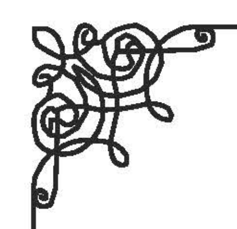
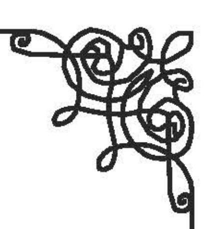
١٩. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ إِنَّ فِى

هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٌ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

٢٠. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر].

وسنتحدَّث عن هذه الآيات المباركات في مطلبين: في الأول منهما نُدْرِجُ الأَسماءَ والأوصاف التي جعلها الله تعالى عناوين للساعة (المرحلة الأولى لليوم الآخر) وفي الثاني نتحدَّث عن الأحداث والوقائع التي تحدث في تلك الساعة العصيبة والمرحلة الرَّهيبة:



المطلب الأول:

أسماء وأوصاف (الساعة) المرحلة الأولى لليوم الآخر

وسنرتِّبُ الأسماء والأوصاف التي جعلها الله تعالى عناوين للساعة حسب ورودها في الآيات المدرجة أعلاه، ومجموعه ثلاثة عشر:

١ - الواقعة.

٢ - خافضة رافعة.

٣ - القارعة.

٤ - الحاقَّة.

٥ - الطامَّة الكبُرى.

٦ - الصاخّة.

٧ - زلزلة.

٨ - يوم الآزفة.

٩ - الساعة.

١٠ - النَّبأ العظيم.

١١ - الوعد الحق.

١٢ ـ **يوم الوعيد.**

١٣ ـ **الفَزَعُ الأكبر.**

وهذا شرحٌ مُخْتَصر لهذه الأسماء الثلاثة عشر التي جَعَلها الله تعالى عناوين للساعة:

١) الواقعة: أي الحادثة التي تَقعُ لا محالة.

٢) خافضة رافعة: ووصف الساعة بـ(خافضة رافعة) لأنها تجعل الأرض مُستوية، فترتفعُ المُنْخفضات وتنخفض المرتفعات، وتتساوى بعضها ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه].

٣) القارعة: هي البلاء العظيم الذي ينزل ولا يوجد له علاج، أو المقصود بها ذلك الصوت والدويّ الهائل الذي يحدث نتيجة النفخة الأولى، وما تُحْدِثُه من الإنقلاب العظيم، لأن القرع هو الصوت القوي الشديد[١].

٤) الحاقة: أي الحادثة الّتي تحدث وتَتَحقّقُ لا مُحالة، أو تُحِقُّ الحقّ وتُثْبِتُه[٢].

٥) الطامّة الكبرى: أي البلاء الأعظم، لأن الطّامة هي البلاءُ والمصيبة التي تَغلِبُ وتَعُمُّ الجميع، يقال: سال السَّيل فَطمَّ الوادي أي مَلأه[٣].

٦) الصاخّة: أي المصيبة التي يَرضخ لها الجميع ويُصيخون إليها ويستمعون، أو الصوت الشديد الّذي يصك الأَسماع ويَقْرَعُها[٤].

---

(١) المصباح المنير، ص٢٥٨.
(٢) مختار الصحاح، ص١٤١، لفظ: ح ق ق.
(٣) مختار الصحاح، ص١٥١، لفظ: ط م م.
(٤) المصدر نفسه، ص٣١٨، لفظ: ص خ خ.

٧) زلزلة: أي التزلزل الذي تُحْدِثُهُ النفخة الأولى في الصور في الخلق: سماءً وأرضاً.

٨) يوم الآزفة: أي يوم الحادثة القريبة، يقال: أَزِفَ الرحيل أزوفاً وأُزوفاً، أي قَرُبَ ودَنى[١].

٩) السّاعة: أي الوقت المحدّد لوقوع المرحلة الأولى من اليوم الآخر، بعد النفخة الأولى.

١٠) النّبأُ العظيم: أي الخبر العظيم الذي يأتي مُسْتقبلاً.

١١) الوعد الحق: أي الوعد الربّاني الثابت الذي لا خُلْفَ فيه.

١٢) يوم الوعيد: أي اليوم الذي يتحقق فيه تهديد الله تعالى للكفّار ووعيده.

١٣) الفَزَعُ الأكبر: الفَزَعُ انقباض[٢] يعتري الإنسان بسبب شيء مُخيف، خبراً أو عيناً، وهَلْ يُوجَد فزع وَوَجَلٌ أكبر ممّا يحدث في ذلك اليوم الرّهيب؟!

وكل من الوعد (الحق) و(يوم الوعيد) و(الفزع الأكبر) وإن كان وصفاً جديراً بالساعة، ولكنّه وصف مناسبٌ كذلك للقيامة، كما سنذكر فيما بعد.

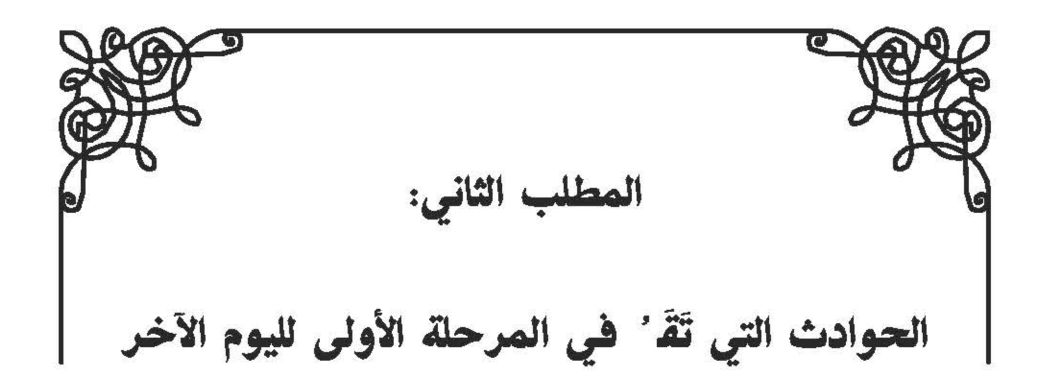
هذا وهناك أسماءٌ وأوصاف أخرى، يحتمل في بعضها أن تكون مرتبطة بهذه المرحلة الأولى من اليوم الآخر، ولكنّي رجّحْت كونَها ذات ارتباط بالمرحلة الثانية، لِذا سَنَذْكرها عند الحديث عنها بعد قليل.

والآن إلى المطلب الثاني من هذا المبحث الثاني:

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧، لفظ: أ ز ف.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٨، لفظ: ف ز ع.



المطلب الثاني:

الحوادث التي تقَع في المرحلة الأولى لليوم الآخر

ويمكننا تلخيص ما يحدث في (السّاعة) في الفقرات السبع عشرة الآتية:

١) النفخ في الصور، للمرة الأولى:

كما في الآية (١٣) من (الحاقة)، والآية (٦٨) من (الزُّمَر) وآيات أخرى.

وقد ذكرنا في الفصل الثالث من هذا الباب ـ أي الكتاب الرابع ـ أن الملك الموكّل بالنَّفخ في الصور هو وَسُمِّي (صاحب القرن) كما في الحديث الذي رواه التِّرمذيُّ وهذا نَصُّه: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ الله قَالَ قُولُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى الله رَبِّنَا» (أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ برقم: (٣٢٤٣) وَحَسَّنَهُ، وَصَححَهُ الألباني).

وقد سمّى الله تعالى الصُّور (النّاقور) أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر]، وسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ (قَرْناً)، كما في الحديث الذي رواه الترمذي.

ويبدو من مجموع الآيات والأحاديث الواردة بشأنه، أنّهُ جِسمٌ هائلٌ على شكل بوقٍ، ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام، فَيُخرِجُ نفخه فيه صوتاً عظيماً

مُدوِّياً، يُسَبِّب ذلك التغيير والإنقلاب الذي يطرأ على الخلق ـ المرتبط بنا ـ كلّه عُلْويّه وسُفْليّه.

وجديرٌ بالذكر أن الأحداث التي تحدث في ذلك اليوم (الساعة) والتي فصَّلَتْ فيها آيات كثيرة، كلُّها تنشأ عن تلك النفخة الأولى، وكلُّها نتائج مترتبة عليها، وها نحن سنشير إليها كلِّها أو جُلها تباعاً.

٢) إِنشقاق السماء وانفطارها وتَصُدُّعها، ووقوف الملائكة على جوانبها وحافّاتها:

كما في الآيتين (١٦ و١٧) من الحاقة، والآية الأولى من (الإنفطار)، والآية الأولى من (الإنشقاق) والآية (١٨) من (المزمّل).

٣) طيُّ السماء كطومار مكتوب وإعادتها إلى حالتها الأولى، بعد مرورها بحالة الذوَبان، نتيجة الحرارة الشديدة:

كما في الآية (١٠٤) من (الأنبياء)، والآية (٨) من (المعارج)[1].

٤) إِنفراط عِقْدُ النجوم والكواكب، وذهابُ ضوئها وسقوطها واندثارها:

كما في الآية (٢) من (التكوير)، والآية (٢) من (الإنفطار).

٥) إِنطماس الشمس وذهابُ ضوئها، ولَفُّها لفّاً كلَف العِمامة ونحوها:

كما في الآية (١) من (التكوير).

٦) إِنخسافُ القمر وانجذابُهُ نحو الشمس والتصاقُهُ بها:

كما في الآيتين (٨، ٩) من (القيامة).

٧) تزلزل الأرض بِشدّة لم يَسْبِقْ لها مثيل، وإخراج الأرض على أثر ذلك الزِّلْزال، كُلَّ ما هو مَخْزونٌ أو مدفون في جوفها:

(١) وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج]، والمهل هو المَعْدِن المذاب، أَو دُرْديُّ الزَّيت وهو ما يبقى في أَسفَلِه، مختار الصحاح، ص٥٥٠، لفظ: م هـ ل.

كما في الآيتين (١، ٢) من (الزلزال)، والآية (٤) من (الإنشقاق).

٨) **رفع الأرض والجبال وضرب بعضهما ببعض، مرة واحدة بقوة واندِكاكهما وتَفتُّتهما:**

كما في الآيتين (١٣، ١٤) من (الحاقة).

٩) **مدُّ الأرض وبَسْطُها ونَسْف الجبال وقَلْعُهَا من أماكنها، وتصييرها مستوية بالأرض، وتَفْتيتُها إلى أجزاء متناثرة كالغُبار، أو كالصوف المندوف:**

كما في الآية (٣) من (الإنشقاق)، والآية (٣) من (التكوير)، والآيات (١٠٥، ١٠٦، ١٠٧) من (طه)، والآيتين (٥، ٦) من (الواقعة)، والآية (٥) من (القارعة).

١٠) **إنفجارُ البحار واشتعالها:**

كما في الآية (٦) من (التكوير)، والآية (٣) من (الإنفطار).

١١) **موتُ كل مَنْ في السموات والأرض، سوى من استثناهم الله تعالى:**

كما في الآية (٦٨) من (التكوير).

١٢) **تجمُّع الوحوش والحيوانات بعضها مع بعض، من هول الموقف والدهشة وشدَّة الفزَعِ:**

كما في الآية (٥) من (التكوير).

١٣) **إهمال الناس أحب وأغلى ممتلكاتهم وانشغالهم عنها:**

كما في الآية (٤) من (التكوير)، وذلك لأن (العِشار) جَمْعُ عُشَراء على وزن نُفَساء، والعُشَراءُ هي الناقة الحامل التي مضى على حَمْلها عشرة أشهر[1]، ودَنا وَضْعُ حملها، والذي تضعه بعد تمام السنة، وكانت أحبَّ الأموال إلى العرب المخاطبين الأولين بالقرآن، وبالتالي فالمقصود بالآية

(١) المصباح المنير، ص٢١٣.

الكريمة، انشغال الناس في ذلك اليوم عن أحب ممتلكاتهم إليهم.

١٤) **وضع كل أنثى حامل من إنسٍ وجنٍ وحيوان، حَمْلَها، وذهول المرضعة عن رضيعها، وصيرورة الناس كالسكارى من غير سُكرٍ فيهم، وتشييبُ رؤوس الأطفال الصِّغار:**

كما في الآية (٢) من (الحج)، والآية (١٧) من (المزمل).

١٥) **إنتشارُ الناس هنا وهناك، كالفراش المتفرِّق:**

كما في الآية (٤) من (القارعة).

١٦) **شخوصُ أبصار الكفّار من الدَّهشة، واعترافهم بِخطئِهم لكونهم غافلين ولاهين عن ذلك اليوم الرَّهيب:**

كما في الآية (٩٧) من (الأنبياء)، والآية (٧) من (القيامة).

١٧) **كون عرش الله تعالى محمولاً في ذلك اليوم، مِنْ قِبَلِ ثمانية من الملائكة، أو ثمانية صفوفٍ منهم، أو ثمان مجموعات منهم:**

كما في الآية (١٧) من (الحاقة).

وخلاصة ما يفهم من الآيات الواردة بشأن المرحلة الأولى (الساعة) من اليوم الآخر:

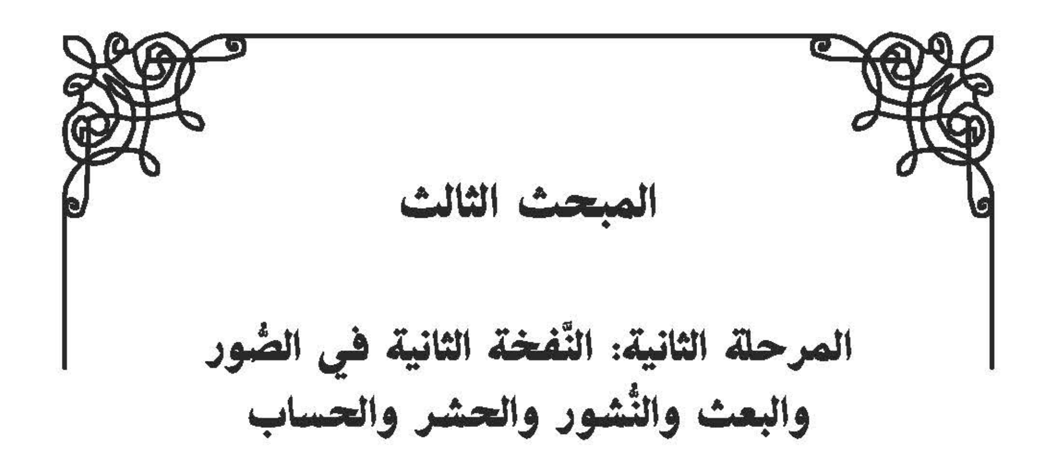
أن النفخة الأولى في الصور من قبل إسرافيل عليه السَّلام، بعد أن يأذن له ربُّ العالمين بذلك، تدمّر العالم المرتبط بنا نحن البشر والجن كلّه عُلْوِّيه وسُفْليّه، تَدْميراً شاملاً كاملاً، بحيث لا يبقى شيء على حالِهِ السابق، لا السماء ولا الأرض ولا الجبال ولا البحار ولا الملائكة ـ من حيث تغييرُ أماكنهم ـ ولا الجن ولا الإنس ولا الحيوان، بل ولا حتى دفائن الأرض المطمورة، إذ يُحدِث ذلك الصوتُ المُدَوي الهائل المنطلق من (الناقور)، تغييراً وانقلاباً هائلاً وشاملاً لا يَشُذُّ عنه شيء، إلّا ما شاء الله تعالى كالعرش وحملته والملائكة كلِّهم أو من يُسْتَثْنَى منهم، ويَبْدُو أن الجنة والنّار

أيضاً ممّا يُسْتَثْنى من التدمير، لأنهما خارج نِطاق عالمنا الإبتلائي، والله هو العليم الحكيم.

إذن: بعد النَّفخة الأولى يَطْوي الجَبَّارُ الحكيم تبارك وتعالى صفْحَةَ هذا الوجود كلِّه ـ سوى ما استثني ـ وتبدأ بعد ذلك ـ بعد أن ينفخ في الصور للمرة الثانية ـ مرحلةٌ جديدةٌ من وجود الخلق وصفحة جديدة من حياة المخلوقين، وخاصة الجنّ والإنس، وهذا ما سنتحدَّث عنه في المبحث الثالث التالي بإذن الله تعالى:







المبحث الثالث

المرحلة الثانية: النّفخة الثانية في الصُّور والبعث والنُّشور والحشر والحساب

وفي هذه المرحلة الثانية من اليوم الآخر، تَحدُث حوادِثُ جسام، وأطلق الله تعالى على هذه المرحلة (مرحلة القيامة) أسماءً وأوصافاً كثيرة، تُبيِّن عَظَمَتها وخطورَةَ شأنها، بل هذه المرحلة هي أهمُّ مرحلتي، أو مراحل اليوم الآخر، وهي التي انْصَبَّ عليها اهتمام كتاب الله الأكبر، توضيحاً وإثباتاً وتفنيداً لشبهات الكفار حولها.

والآن لنتأمّل هذه الآيات، كأمثلة لما ورد بشأنها من الآيات البيِّنات في كتاب الله الحكيم:

١. ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾ [القيامة].

٢. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر].

٣. ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم].

٤. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

٥. ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم].

٦. ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر].

٧. ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ . . . وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة].

٨. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق].

٩. ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق].

١٠. ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية].

١١. ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف].

١٢. ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [غافر].

١٣. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [التغابن].

١٤. ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [فاطر].

١٥. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ [ق].

١٦. ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ [ق].

١٧. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء].

١٨. ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾ [ق].

١٩. ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾ [الصافات].

٢٠. ﴿...وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود].

٢١. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا

يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة].

٢٢. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

٢٣. ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص].

٢٤. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم].

٢٥. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس].

٢٦. ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

٢٧. ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

٢٨. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

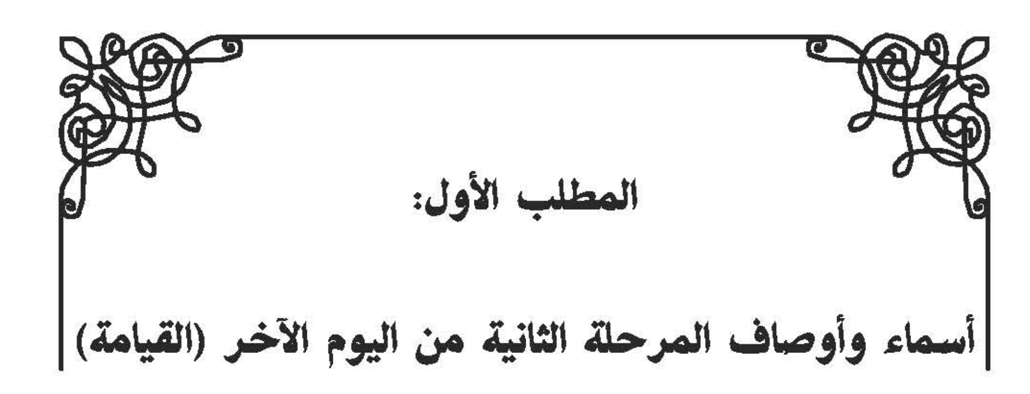
٢٩. ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير].

٣٠. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت].

٣١. ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس].

وسَنُدْرِج ما تدل عليه الآيات من أسماء وأوصاف ليوم القيامة، وما يجري فيه من حوادث وشؤون، في المطلبين التاليين:





المطلب الأول:

أسماء وأوصاف المرحلة الثانية من اليوم الآخر (القيامة)

وقد نبَّهنا سابقاً على أنَّ هناك بعض الأسماء والأوصاف، تناسُب كلتا المرحلتين الأولى والثانية لليوم الآخر.

وسنرتب الأسماء والأوصاف حسب ترتيب ورودها في الآيات المدرجة أعلاه:

١. **يوم القيامة.**

٢. **يوم عظيم.**

٣. **يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين.**

٤. **السّاعة.**

٥. **يوم البعث.**

٦. **يوم التلاق.**

٧. **يوم تُبْلى السّرائر.**

٨. **الغاشية.**

٩. **يوم التناد.**

١٠. **يوم الجمع.**

١١. **يوم التغابن.**

١٢. **يوم النشور.**

١٣. **يوم الوعيد.**

١٤. **يوم الخلود.**

١٥. **الوعد الحق.**

١٦. **يوم الخروج.**

١٧. **يوم الحشر.**

١٨. **يوم الدين.**

١٩. **يوم الفصل.**

٢٠. **يوم كبير.**

٢١. **يوم الفتح.**

٢٢. **الفزع الأكبر.**

٢٣. **يوم الحساب.**

٢٤. **يوم الحسرة.**

وهذا توضيح موجز لبعض ما يحتاج إلى إيضاح، من هذه الأسماء والأوصاف التي جعلها الله تعالى عناوين ليوم القيامة، أو المرحلة الثانية لليوم الآخر:

١ ـ يوم القيامة: أي اليوم الذي يقوم فيه الأموات من قبورهم، أو الأماكن التي تفرَّقت فيها أجزاء أجسادهم، وقد يقصد بالقيامة قيام الناس في المحشر انتظاراً للحكم والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين].

٢ ـ الساعة: أي الوقت المحدد الذي تقوم فيه القيامة.

٣ ـ يوم التلاق: أي اليوم الذي يلتقي فيه الناس بعضهم بعضاً، بل يَتلاقى فيه الأولون والآخرون.

٤ ـ يوم تبْلى السّرائر: أي يوم تُكْشَفُ وتُظْهَرُ فيها مكنونات القلوب، والأعمال المَخْفيّة.

٥ ـ الغاشية: أي التي تغشى بأهوالها الخلق وتَعمُّهُم جميعاً.

٦ ـ يوم التناد: أي اليوم الذي تكثر فيه مناداة الناس بعضهم بعضاً.

٧ ـ يوم التغابن: أي اليوم الذي يغْبِنُ فيه الناس بعضهم بَعْضاً[(١)]، الغُبْنُ (النّقص)[(٢)] حيث يرث أهلُ الإيمان أمكنةَ أَهْلِ الكفر المُعَدَّة لهم في الجنّة لو آمنوا، وَيَرِثُ الكفّارُ أمكنة أهل الإيمان في جهنم، لو أنهم كفروا، أو اليوم الذي يظهرُ للناس كلِّهم غُبْنُهُم بتقصيرهم في جنِب الله، إن لم يكن في أصل الإيمان، ففي درجات التقوى والإحسان.

٨ ـ يوم الفتح: أي يوم الحكم والقضاء، لأن الفتح هو القضاء والحكم، كما قال تعالى على لسان عبده ونبيِّه (شعيب) عَلَيْهِ السَّلَامُ:

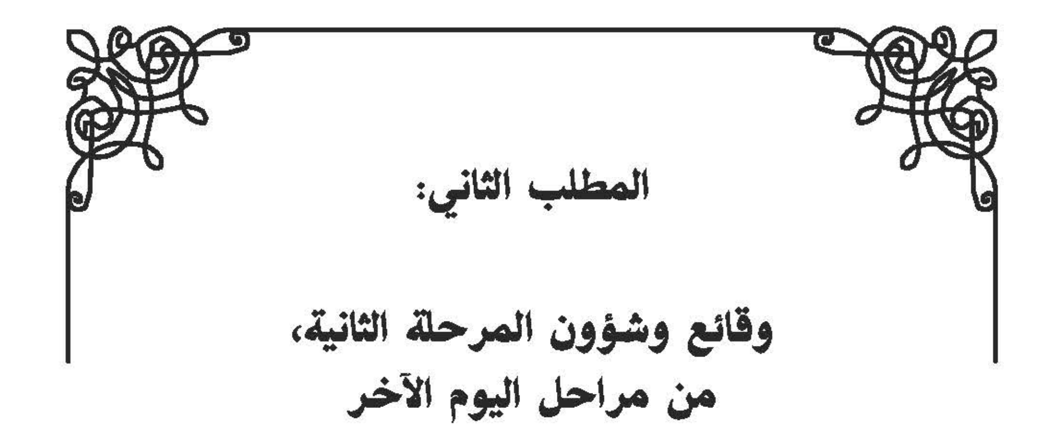
﴿. . . رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

٩ ـ يوم الحسرة: الحَسْرَة هي النّدامة الشديدة على ما فات، وهذا بالنّسبة للكفّار والفجّار.

---

(١) مختار الصحاح، ص٤١٠، لفظ: غ ب ن، و(غَبَنَهُ في البيع: خدعَهُ) و(غَبِن رأْيَه من باب طرِب، نَقَصَهُ) ومنه قيل: يوم التغابن اليوم القيامة لأنَّ أهل الجَنّة يَغبنون أهل النار.

(٢) المصباح المنير، ص٢٢٩، غَبَنَهُ: نَقصهُ.



المطلب الثاني:

وقائع وشؤون المرحلة الثانية، من مراحل اليوم الآخر

ونُلخِّص وقائع يوم القيامة في الفقرات الخمس عشرة الآتية:

١ ـ **النفخ في الصّور للمرة الثانية، من قِبَل إسرافيل:**

كما في الآية (٦٨) من (الزمر) والآية (٤٩) من (يس) و(١٩) من (الصّافات) والآية (١٣) من (النازعات)، وقد سمّى الله تعالى النفخة الثانية في كل من آية (الصّافات) و(النازعات): (زجرة واحدة) وفي آية (يس): (صيحة واحدة) وكلتاهما اسمٌ لذلك الصوت القوي الرهيب الذي يُحْدِثُهُ النفخ في الصور من قبل إسرافيل.

هذا وكل الأحداث التي تقع يوم القيامة تحدث بعد هذه النفخة الثانية كما هو واضح.

٢ ـ **تغيّر السماوات والأرض وإعادة تشكيلها على هيئة أخرى:**

كما في الآية (٤٨) من (إبراهيم): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ. . .﴾.

٣ ـ **إحياء الله تعالى الإنس والجن جميعاً وقيامهم، وتَعَجُّبُ الكفّار الذين لم يكونوا يتوقعون البعث والنشور:**

كما في الآيات (١٩، ٢٠، ٢١) من (الصّافات) و(٦٩) من (الزمر)، وغيرها.

٤ ـ الخروج من القبور والإسراع للتجمّع في المكان المعدّ للحشر والحساب، وحضور الكل في أقصر وقت في المكان المحدّد:

كما في الآيات (٤١ إلى ٤٤) من (ق)، والآية (٤٣) من (المعارج):

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾، والآية (٥١) من (يس): ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾، وكل من ﴿يُوفِضُونَ﴾[1] و﴿يَنسِلُونَ﴾[2] يفيدان معنى العجلة والإسراع.

٥ ـ قَسَمُ الكفّار المجرمين بأنهم لم يَلْبثوا في الدنيا سوى ساعة، وتصحيح أهل العلم والإيمان هذا التصوّر الخطأ لهم، بأن البقاء في الدنيا والبرزخ كان إلى قبيل البعث:

كما في الآيتين (٥٥، ٥٦) من (الروم).

٦ ـ إنكشاف الأسرار والخفايا كلّها، وانجلاء حقائق الناس، كما هي (وكذلك الجنّ):

كما في الآية (٩) من (الطارق) والآية (١٦) من (غافر) والآية (١٨) من (الحاقة).

٧ ـ تنوّر أرض المحشر والحساب، بنور الله الذي لَيسَ كمثله شيء تبارك وتعالى:

ـما صرَّح بهِ قوله تعالى في الآية (٦٩) من (الزمر): ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر].

٨ ـ وضع سجلّات أعمال الثقلين (الجنّ والإنس) والإتيان بالأنبياء والشهداء لغرض أداء الشهادة:

---

(١) مختار الصحاح، ص٦٢٦، (وَفَضَ - أوفَض واستَوفض: أَسْرَعَ)، لفظ: و ف ض.

(٢) مختار الصحاح، ص٥٦٦، (نَسَل في العَدو: أَسْرَعَ، يَنسِلُ نَسَلاً وَنَسَلاناً) لفظ: ن س ل.

كما في الآية (٦٩) من (الزمر)، والآية (٤٩) من (الكهف): ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

٩ ـ **محاسبة الإنس والجن كلِّهم، ومساءَلتهم، ومُساءَلة الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إليهم:**

كما في الآيتين (٦، ٧) من (الأعراف).

١٠ ـ **وَزْن أعمال العباد بالموازين العادلة التي تَحْسِب حتى ما هو بقدر حبة الخَرْدَل، بل ما هو بقدر مثقال ذَرّة، من خير أو شرّ:**

كما في الآية (٤٧) من (الأنبياء)، والآيات (٦، ٧، ٨) من (الزلزلة).

١١ ـ **تعيين مصائر العباد إيجاباً أو سَلْباً، حسب ثِقَلِ أَو خِفةِ موازينهم:**

كما في الآيتين (٨، ٩) من (الأعراف)، والآيات (٦ إلى ٩) من (القارعة).

١٢ ـ **الحكم على العباد بالعدل الرباني المطلق وحسب أعمالهم المسجّلة، ووفقاً لشهادة الشهود:**

كما في الآية (١٧) من (غافر) والآية (٥٤) من (يس) والآية (٤٧) من (الأنبياء) والآية (٦٩) من (الزمر).

١٣ ـ **توزيع الكتب والسجّلات التي سُجِّلت فيها الأعمال، لكل شخصٍ كتابه الخاص بِهِ:**

كما في الآية (١٠) من (التكوير) والآيتين (١٣، ١٤) من (الإسراء).

١٤ ـ **إعطاء أهل الإيمان المتقين كتابهم من جهة اليمين، وأهل الكفر المجرمين من جهة اليسار أو الخلف:**

كما في الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) و(٢٥ إلى ٢٩) من (الحاقة)، والآيات (٦ إلى ١٥) من (الإنشقاق).

١٥ - تنوُّر وجوه أهل الإيمان الفائزين وضحكهم واستبشارهم وعودتهم إلى أهليهم مسرورين، واسوداد وجوه أهل الكفر الخاسرين واستيلاء الذل والهَمّ والغَمّ عليهم:

كما في هذه الآيات:

١. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق].

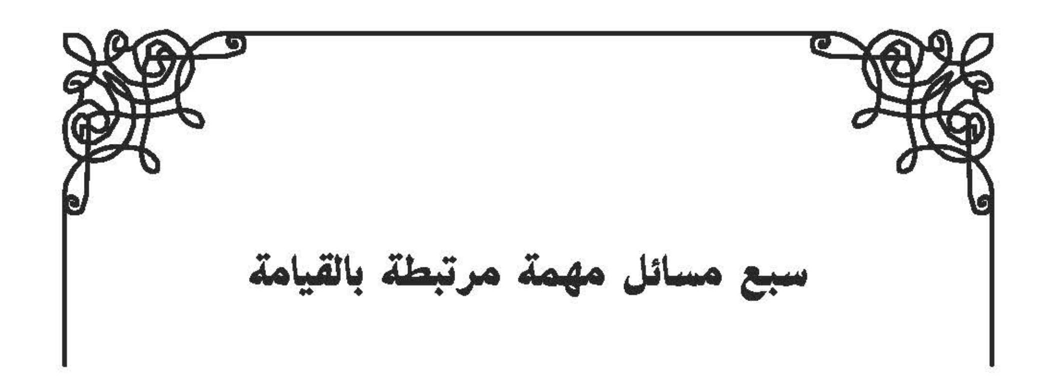
٢. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة].

٣. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس].

٤. ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ... وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية].

٥. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران].

أَجَلْ، هذه هي أَهمُّ الأحداث التي تجري يوم القيامة (المرحلة الثانية من اليوم الآخر) وقد راعينا في ترتيبها التسلسل الزّمني، ولكن هناك سبع مسائل أخرى لها ارتباط بتلك المرحلة الحساسة، نشير إليها باختصار:



سبع مسائل مهمة مرتبطة بالقيامة

الأولى: خوفُ المجرمين وَوَجَلُهُم بمجرَّد وضع سجلات الأعمال وتَعَجُّبهم من دقَّتها البالغة، في تسجيل كبائر الأعمال وصغائرها فيها:

كما قال تعالى:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف].

أما خوف المجرمين ووجلهم فَسَببه واضح، إِذْ كما قيل (الخائن خائفٌ) وقد ذكرنا من قبل أَن كلّ إنسانٍ بَرّ أو فاجرٍ، يَطَّلِعُ على مصيره، وما يؤول إليه حالُهُ، منذ دخوله في مرحلة حياة البرزخ.

وأمّا تعجّبهم من الدقَّة البالغة في تسجيل الأعمال صغيرها وكبيرها، فهو بسبب عدم توقُّعهم لذلك، ثم إن تأكيد ربّ العالمين جلّ وعلا في أكثر من آية، على أن كُلّ الأفعال والأقوال والأحوال، أيّاً كان مقدارُها ونوعها، سَتُسَجَّل وتُضْبَطُ، ليس من دون حكمة، وسيتجلى مِصْدَاقُ هذا يوم القيامة بلا شك.

الثانية: تجسُّم الأعمال وإحضارُها هي بنفسها:

وتدلّ على هذه الحقيقة مجموعة آيات، منها:

١) ﴿... وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف].

٢) ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية].

٣) ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

ودلالة هذه الآيات واضحة على أن الله تعالى سيُري الناسَ كلَّهم نَفْسَ أعمالِهِم التي عملوها، وذلك لأنَّ آية (الكهف) تَنُص على أن المجرمين سيجدون يوم القيامة نَفْسَ أعمالهم التي عَمِلوها حاضرة!

وكذلك تَنُصُّ آية (الجاثية) على أن أعمال الناس (وكذلك الجن) تُسْتَنْسَخُ، ومعلومٌ أن الإستنساخ هو تصوير الشيء والإحتفاظ بصورته التي هي طبق الأصل.

وكذلك آيات (الزلزلة) تبيِّن أن الناس يوم القيامة سيريهم الله تعالى نفس أعمالهم التي عملوها خيراً كانت أو شراً، وإنْ كانت مقدار ذرة، وهي النملة الصغيرة، أو الهباءة التي تُرى عند دخول شعاع الشمس من الشبّاك ونحوه.

ومن الواضح أن تصوّر هذه الحقيقة القرآنية كان صَعْباً قبل صنع المُسَجِّل الذي يضبط الصوت، والكاميرة الڤيديو التي تُسَجِّلُ وتحفظ الصُّوَرَ والأشكال!

وإذا كان البشر بعلمهم القليل الذي أوتوه، تمكّنوا من صنع تلك الآلات، فمن المؤكّد أنَّ الملائكة الحفظة للأعمال، قد جهّزهم ربُّهم الحكيم بما هو أضبط وأتقن!

الثالثة: سرعة الحساب والمحاسبة الربانية للعباد:

وهذه الحقيقة أكّدتها آيات كثيرة، منها:

١) ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

٢) ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر].

ونحن لا ندري كيفية سرعة المحاسبة الربانية العادلة الدقيقة كسائر أمور الآخرة، التي بإمكاننا فهمها إجمالاً، وأما معرفة التفاصيل والكيفيات، فلا نتبيّنها على حقيقتها إلّا عند مشاهدتها، وهذا جزءٌ من الإبتلاء الدنيوي لنا.

الرابعة: شهادة بدن الإنسان الكافر، أو العاصي وأعضائهِ عليه والختم على فمِهِ:

كما قال تعالى:

١) ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس].

٢) ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت].

وما يتحصّل من مجموع هذه الآيات بالنّسبة لشهادة بدن الإنسان الكافر، أو العاصي وجوارحه عليه، هو:

١ - يختم الله تعالى على أفواه الكفّار والمجرمين، كيلا يتمكنوا من الكلام، والمقصود بالختم هو الإغلاق والسدّ.

٢ - ويُنْطِقُ الله تعالى بالشهادة على الإنسان الكافر والمجرم، كلاً من:

أ - يده.

ب ـ رجله.

ج ـ سمعه.

د ـ بصره.

هـ ـ جلده.

٣ ـ وعندما يستغرب الكافِرُ والمجرِمُ ويسأل ـ بعد شَهادة تلك الأعضاء ـ لماذا شهدتم عليَّ؟! تُجيبهُ تلك الأعضاء، بأن الله تعالى هو الذي أمرهم بذلك، وأنطقهم كما يُنْطِقُ أيَّ شيء يريده.

هذا وقد جاء في أَثَرٍ، أن هذا الختم يحدث عندما ينكر الإنسان الكافر أو المجرم، ما سُجِّل عليه من أفعالٍ وأقوالٍ وأحوالٍ، ويُنْكِرُ شهادةَ الملائكة عليه! ويقول لا أقبل إلّا شهادة نفسي عليَّ، هناك يُغْلِقُ الله تعالى فَمَه، ويُنْطِقُ بَدَنَهُ وجوارحَهُ، وبالتالي يُبْهَتُ ويقول لأعضائه موبِّخاً: (أَبْعَدَكُنَّ الله ما خاصَمْتُ إلّا فيكُنَّ)[1].

الخامسة: دِفاع كل شخصٍ عن نفسه وجداله عنها، ولجوء الكفّار إلى الكذب والإنكار:

وهذا ما بيَّنَتْهُ هذه الآيات:

١) ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل].

٢) ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) أورد الطبري بسنده هذا الأثر، وقال: عن الشَّعبي قال: يُقالُ للرَّجُل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عَمِلْتُ، فيُخْتَمُ على فيه وَتَنْطِقُ جَوارِحُهُ فيقول لجوارحه: (أَبعدكنَّ الله ما خاصَمْتُ إلّا فيكُنَّ)، أنظر: (جامع البيان)، ج٢٣، ص٢٦، رقم: ٢٩٢٤٦.

٣) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة].

أجَلْ، في ذلك اليوم العصيب، يَسْعى كل شخص بكلِّ ما أوتي من قوة وحيلة، إلى الدِّفاع عن نفسه والجِدال عنها، سواء أكان بالحق ـ بالنسبة للمتقين ـ أم بالباطل، كما هو الحال بالنسبة للكافرين والمجرمين، وذلك تبرئة للنفس ونجاة من العذاب والعقاب.

وآية (النّحل) عامة في كل المكلَّفين المُحاسبين، بأن الكل يدافعون عن أنفسهم يوم القيامة، وكُلُّهم سَيُجْزَون الجزاء الكامل حسب أعمالهم، ولا يُظْلَمُون أدنى ظلمٍ.

وآيات (الأنعام) خاصة بالمشركين الذين اتخذوا شركاء من دون الله تعالى من الطواغيت والأصنام والأهواء، حيث يبيِّن سبحانه وتعالى أنهم يَحْلِفُون لله تعالى كذباً، وذلك عندما يوبِّخُهم قائلاً: ﴿...وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام]، فيحلفون بأنهم لم يكونوا مشركين! وربما يتصوّرون بأن الحَلِف الكاذب سَيُنْجيهم ممّا هم فيه من البلاء والعناء!

وأما آية (المجادلة) فتَتَحَدَّث عن المنافقين المخادعين ويبيِّن سبحانه أنهم عندما يحييهم الله تعالى، سيحلفون له كذباً كما كانوا يحلفون في الدنيا لأهل الإسلام.

ويبدو أن ختْمَ الله تعالى على أَفْواه الكفّار عموماً ـ لأن الله تعالى ذكرهم عامة في سورة (يس)، وفي سورة (فصِّلت) والتي سمّاهم فيها بـ(أعداءِ الله) ـ يكون بعد شروعهم بالحَلِفِ الكاذب وإنكار الحقائق الدّامِغة، يختم الله الحكيم على أفواههم التي تنطق بالكذب والزور، ويُنْطِقُ أعضاءَهم لِتتَكلَّم بالحق وتُقِرَّ بالحقيقة، ويبدو أنها تتكلّم وتُقِرُّ بالأعمال التي مورست بواسطتها: النياتُ والأقوالُ والأفعالُ.

السادسة: فِرارُ الإنسان يومئذٍ من: أَخيه وأُمهِ وأَبيهِ وزوجته وأولاده:

كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

وفرار المرء وهروبه من هؤلاء الذين هم أقربُ الناس وأحبُّهم إليه، وأكرمهم وأَعزُّهم لَدَيْه، في ذلك اليوم الرهيب، يُعَلِّلُه سبحانه بقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾، أي فلا يَسَعُ الإنسانَ يومئذ أن يفكِّر بأحدٍ سوى نَفْسه!

السابعة: تَمَني المُجْرِم أنْ يجعل أقرب الناس إليه فداءً عنه: أبناءَه، وزوجته، وأخاه، وعشيرتَهُ التي ينتمي إليها، وكل مَن في الأرض جميعاً:

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ...﴾ [المعارج: ٨ ـ ١٤].

إذ يَصِفُ سبحانه يوم القيامة، بعد أن يذكر حدثين من أحداث الساعة، وهما:

صيرورة السماء مثل المعدن المذاب أو دُرديِّ الزيت، وصيرورة الجبال مثل الصُّوف المصبوغ بألوان متعدّدة، بأنه في ذلك اليوم ـ أي يوم القيامة ـ لا يسأل قريبٌ قَريبَهُ، وذلك بسبب انشغال كل إنسان بنفسه، وذلك على الرغم من أن الناس في ذلك اليوم يَرَوْنَ أقاربهم ويشاهدونهم من قربٍ ـ أي إنّ عدم سؤال الأقارب بعضهم بعضاً، لَيْس بسبب عدم رؤيتهم لبعضهم البعض ـ ثم يقول سبحانه: بأن الشخص المجْرِم يودُّ ويَتَمنّى لو

يجعل أبناءَه وزوجته وأخاه وعشيرته، بل وكلَّ من في الأرض، عِوَضاً وفداءً عن نفسه كي ينجو من عذاب ذلك اليوم، ولكن هيهات!

ويلاحَظُ أن ترتيب الأقارب الذين يَتَمنّى المُجْرِمُ لو يفتدي نَفْسَهُ بهم، عكس الترتيب الذي ذكر في الآيات (٣٤ إلى ٣٧) من (عبس) والتي تتحدَّث عن فرار المرءِ من أقاربه، نجاةً بنفسه وانشغالا بها عن غيره، والترتيبان المتعاكسان هما هكذا:

١ ـ الإِفتداء: بالأبناء، والزّوجة، والأخ، والعشيرة، وأهل الأرض كلّهم.

٢ ـ الفرار: من الأخ، والأم، والأب، والزوجة، والأبناء.

والحكمة في ذلك:

أنّ الإنسان الذي يفرّ من أقاربه يوم القيامة، لينجو بنفسه، يُرتِّبُهم حسب درجة تعلُّقه بهم وقربهم منه، من الأدنى إلى الأعلى، حتى يكون أَقرَبُهم وأَحبُّهم إليه، آخرَ منْ يتخلّى عنه ويتركه، إذن: يتخلّى أولا عن أخيه، ثم عن أمّه، ثم عن أبيه، ثم عن زوجته، وأخيراً عن أبنائه!

ولكنَّ الإنسانَ المجرم الذي لا يَهُمُّه إلّا نَفْسُه في الدنيا والآخرة، ويُرِيْدُ أن يتخلَّص من العذاب بأيِّ ثمن، فهو يقدِّمُ طمعاً في النجاة، أقرَبَهُم إليه وأَحبَّهم، فيبدأ بأبنائه أولا، ثم زوجته، ثم أخيه، ثم عشيرته، وأخيراً أهل الأرض جميعاً!

وبهذا نختم الحديث عن المرحلة الثانية لليوم الآخر، وننتقل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة منه:





المبحث الرابع

المرحلة الثالثة: سَوْقُ الكفّار إلى جَهنّم، وإيفادُ المتقين إلى الجنّة، واستقرارهم في الأماكن المُعَدّة لهم، حسب مواقفهم وأعمالهم في الدّنيا

يبدو لنا من آيات كتاب الله الحكيم، أنّه بمجرّد انتهاء المحاسبة، ووزن الأعمال، وتوزيع الكتب (الصحف وسجّلات الأعمال) وتجلية حقيقة كل شخصٍ، تبدأ عملية سوق الكفّار والعصاة إلى جهنّم، وإيفاد أهل الإيمان المتقين إلى الجنّة.

والآن لنتأمّل هذه الآيات لاستجلاء حقيقة هذه المرحلة الثالثة، وما يجري فيها من أحداث ويستجِدُّ فيها من أَحوال:

١. ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا

ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر].

٢. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

٣. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

٤. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

٥. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان].

٦. ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك].

٧. ﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف].

٨. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف].

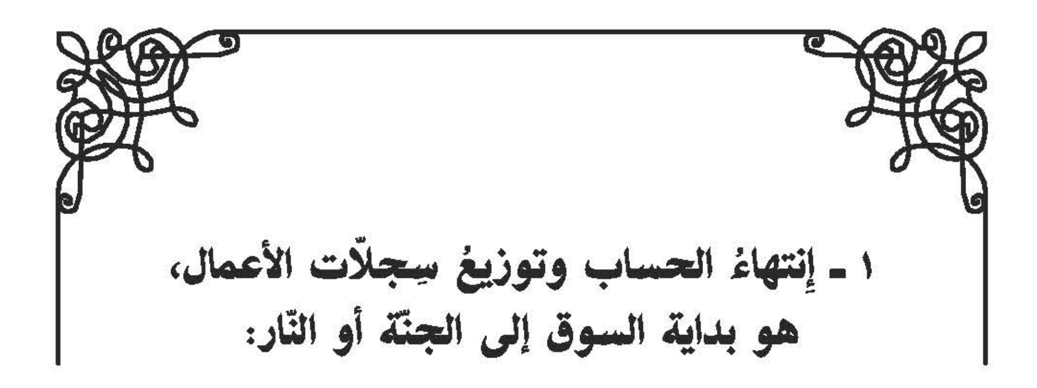
٩. ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

١٠. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

١١. ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

١٢. ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

ونَسْرُدُ ما تدلُّ عليه هذه الآيات من أحداث وأَحوال المرحلة الثالثة والأخيرة منْ مراحل اليوم الآخر، ونُلَخصُهُ في المطالب الأربعة عشر الآتية:



١ ـ إنتهاءُ الحساب وتوزيعُ سِجلاّت الأعمال، هو بداية السوق إلى الجنّة أو النّار:

وهناك آيات كثيرة دالّة على هذه الحقيقة، منها الآيات (٦٩ إلى ٧٥) من (الزمر).

ويدلّ قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر]، على أن الفصل في الحكم بين العباد، يتمُّ بحضور الأنبياء عليهم السّلام وبحضور الملائكة الشاهدين على أعمال الناس، والمسجِّلين لها بِدقة.

ويحضر كلُّ نبيٍّ فَصْلَ القَضاءِ والحكم في أمته وأتباعه، كما قال تعالى:

١) ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء].

٢) ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ...﴾ [النحل: ٨٩].

والخطاب في كل من آيتي (النساء) و(النحل) مع نبيِّ الله الخاتم ﷺ، فالمقصود بال(شهيد) الذي يؤتى بهِ من كل أمة، ويبعث فيها ليشهد عليها

شاهِدٌ من نفسها، إنما هو نبيُّها الذي بعث إليها وبلّغها رسالات الله تعالى، وقد صرّحت بهذه الحقيقة الآية (٤٧) من (يونس): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

وأما الدليل على أن الشهداء الذين يشهدون على العباد، هم الملائكة الكرام، فهو أن الله تعالى وكَلَ الملائِكَةَ بمراقبة أعمال العباد وضبطها وتسجيلها، كما هو واضحٌ وفصَّلْنا فيه القولَ في الفصل الثالث من هذا الباب، ـ أي الكتاب الرابع ـ ومن الجَلِيِّ أن الشاهد الذي يشهد على العبد، يجب أن يكون قد اطَّلع على أعماله وأحواله وشاهَدَ ُ ورآه، لأن مَن لم يشهد ولم ير، لا يَنْطَبِقُ عليه مفهوم كلمة (شاهِد):

كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ [البروج].

إِذ ذكر سبحانه بعد اليوم الموعود الذي هو يوم القيامة، الملائِكَةَ الذين يؤدّون فيه شهادةَ الحق على العباد، وكلٌّ من يُشْهَدُ عليه في ذلك اليوم.

وتسمية كل من الأنبياء والملائكة شهيداً، لا تدل على أنَّ شهادتهم واحدة أو متماثلة، بل الأنبياء يشهدون على أممهم بأنهم قد بلَّغوهم رسالات الله وبشروهم وأنذروهم، وأما شهادة الملائكة، فتتمثَّل في شهادتهم على كل شخصٍ بعينه: بأنه عمل كذا وكذا[١].

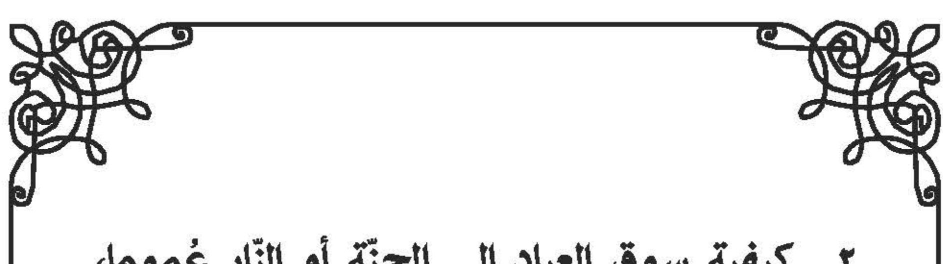
والدليل على أن السوق إلى الجنة أو النار، يبدأ بمجرَّد انتهاء الحساب وتحديد مصائر العباد، هو أن الله تعالى بعد أن قال: ﴿...وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا

(١) ذكرنا سابقاً أن مفهوم (العمل) في كتاب الله يشمل نيات القلب وعَزَماته، وأقوال اللسان وأفعال الجوارح.

يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر]، قال: ﴿...وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.







٢ ـ كيفية سوق العباد إلى الجنّة أو النّار عُموما، هي سوقهم مجموعات مجموعات:

وتدل على هذه الحقيقة آيات بيّنات، منها:

١. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ...﴾ [الزمر].

٢. ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ...﴾ [الصافات: ٢٢].

٣. ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ].

٤. ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ...﴾ [الإسراء].

٥. ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود].

وما يتحصّل من مجموع هذه الآيات وأمثالها، هو:

أن العباد سيُساقون إلى الدارين الخالدتين الأبديتين (جهنّم والجنة) بعد تصنيفهم، حسب أديانهم ومناهجهم التي دانوا بها وانتهجوها في حياتهم الدنيا، وحسب أعمالهم التي عملوها، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى: سَيُحْشَرُ كل إنسانٍ مع من اتّخذه إماماً وقائداً له، في حق أو باطل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ والمقصود بالإمام هنا هو: كل متبوع في طريق الهُدى أو الضلال، بدليل أن الله تعالى قال بعد ذلك:

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء].

وهذا أمرٌ جديرٌ بالتأمّل الطويل، إذْ كم من مُسْلم يعتبر نَفْسه من أُمة (محمّد) ﷺ، ولكن سلَّم زِمامَ أموره لرئيس كافر أو قائدٍ ظالم، أو انخَرَط في سلك حزبٍ أو تنظيم لا ديني (عَلْماني) لا يُقرُّ بحاكمية دِين الله الحق وشريعته العادلة!

ولهذا نَبَّهَنا نبيُّ الله الخاتم ورسولهُ الأعظم (محمّد) ﷺ بهذا الصّدد، إذ قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١٢٠٣٢)، وَالبُخَارِيُّ برقم: (٥٨١٩)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٦٨٨٨)، وَأَبُو دَاوُدَ برقم: (٥١٢٧)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٣٨٥)).

وقال: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظرْ أَحدكمْ مَنْ يُخَالِلْ**» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٨٣٩٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد، وَحَسَّنَهُ الألباني).

وبناءً عليه نقول:

من أراد أن يُحشَر يوم القيامة مع رسول الله ﷺ وتحت ظِلِّ لوائه الرّفيع، فَلْيَتّبِعْ في هذه الحياة الأرضية القصيرة، الصراط المستقيم الذي سار عليه ﷺ، كما قال تعالى:

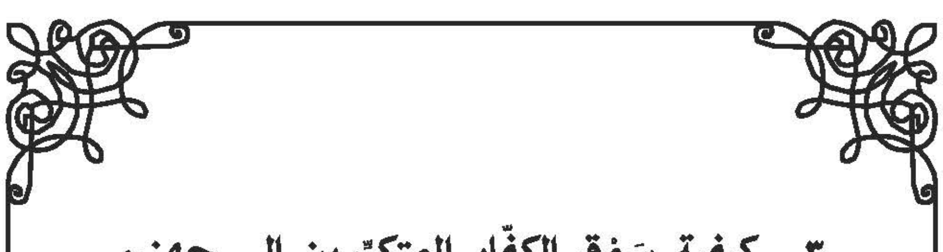
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى]، ولْيَحذَر أن ينحرف عنه في قليل أو كثير، إلى الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والعلمانية والليبرالية والرأسمالية والإشتراكية وغيرها[١].





---

(١) ومن الجليِّ أن تأييد الإسلام لأصل اليهودية والنَّصرانية، كشريعتين ربّانيتين قبل تحريفهما، وكذلك التقاء بعض أحكام وجوانب الإسلام مع بعض ما في الأديان البشرية من الحق، لا يُغَيِّر من حقيقتها الكفرية شيئاً، إذْ غير الإسلام كفر وضلال وباطل عموماً، بغض النظر عن بعض الحق الذي خُلِطَ بِهِ كثيرٌ من الباطل، وقد سَبَق دينُ الله الحق، كُلَّ الأديان والمناهج البشرية، في كلّ ما هو فيها من حق وصواب، بأفضل وجه.



٣ ـ كيفية سَوق الكفّار المتكبّرين إلى جهنم، تَختَلِف عن كيفية سوق المتقين الطيّبين إلى الجنة

كما بَيّنتهُ الآيتان (٨٥، ٨٦) من (مريم):

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾.

و(وَفْد) جمع (وافِد) ويجمع على (وفود)[1] أيضاً، وهذا اسمٌ لجماعة راكبينَ يَفِدُون على الملوك، فَيُرحَّبُ بهم ويُكْرَمون.

وأما (وِرْد) فهو اسمٌ لجماعة عِطاشٍ يستقون الماء، أو تشبيهٌ لهم بماشية ودوابّ تَرِدُ الماء![2].

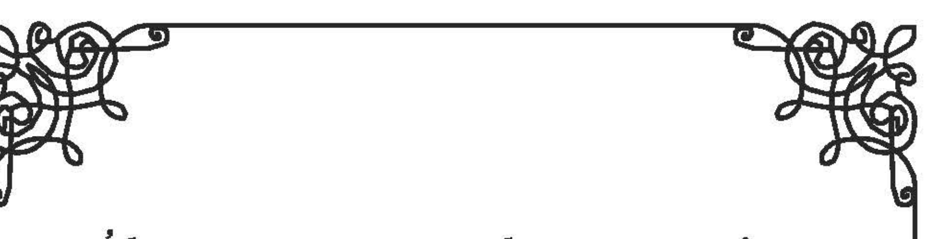
إذن: فالمتقون يُسَفَّرون للجنة، على هيئة وفودٍ مُكرّمين، ولكن المجرمين يساقون إلى النّار، وكأنهم مواشٍ ودواب ظامئة تَرِدُ الماءَ!

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) مختار الصحاح، ص٦٢٦، لفظ: و ف د.

(٢) مختار الصحاح، ص٦١٤، لفظ: و ر د. (الوِرْدُ والورّاد: الذين يَردون الماء).



٤ ـ أهل الإيمان المتّقون يُرَحِّبُ بهم الملائكَةُ، ويستقبلونهم بحفاوة عند ورودهم الجنة، ولكن أهل الكفر المجرمين، يتعرّضون للإهانة والتوبيخ، من قبل الملائكة عند ورودهم النّار:

وهذا جليٌّ في آيات بيّنات من كتاب الله المبين، منها:

١. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر].

٢. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر].

٣. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

وتوبيخ خزنة جهنّم ـ أي الملائكة المشرفين عليها ـ للكفّار المتكبّرين،

بيّنٌ في قولهم: ﴿...أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لأن قصدهم من توجيه هذين السؤالين، هو مجرّد التوبيخ والتبكيت.

وكذلك إهانتهم لهم جليّةٌ، في قولهم لهم: ﴿...ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وأمّا موقف الملائكة الخزنة ـ أي خزنة الجنة ـ تجاه أهل الإيمان الطيّبين، فهو:

١ ـ الإستقبال الحارّ والترحيب والتبشير: كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿...وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

٢ ـ والسلام عليهم: كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿...سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾.

٣ ـ والثناء عليهم: كما هو في قوله تعالى: ﴿...طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

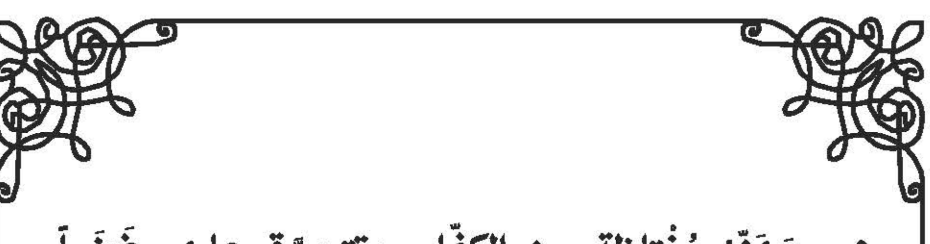
ويفهم من قوله تعالى: ﴿...فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ وقوله: ﴿...طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، أَنَّ التكبُّر هو أسوأُ خَصْلَةٍ في أهل الكفر، وقد عرَّف النبيُّ ﷺ (الكِبرَ) بقوله: «**الكِبْرُ بَطرُ الحق وغَمْطُ النَّاسِ**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٢٧٥)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (١٩٩٩)، وبَطْرُ الحق أي ردّه ورَفْضُه، وغمْطُ الناس أي احتقارهم، وأن الطيِبَ والطّهارة وزكاءَ النفس، و أفضل صفات أهل الإيمان، وإنما يَطيبُ الإنسانُ ويَطْهُرُ، وتتزكّى نفسه بِالإيمان والتقوى.

هذا ويدل قوله تعالى بالنّسبة لمجيء زُمَرِ الكفّار: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ على أن الكفّار تفتح بوجوههم أبوابُ جهنم فَجْأَةً وَفورَ وصولهم إليها، وهذا أخوف لهم وأرهب، وَأَمّا بالنّسبة لمجيء المتقين إلى الجنّة،

فيدلُّ قولُه تعالى: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، على أنهم تفتح لهم أبوابُها، قبل وصولهم إليها، وفي هذا زيادة تكريم لهم.







٥ ـ جَهَنّمُ مُغْتاظة من الكفّار، وتتحرّق عليهم غَضَباً، والجنّةُ تُقَرّبُ للمتقين لِيَفرحوا برؤيتها:

كما قال تعالى:

١. ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك].

٢. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان].

٣. ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق].

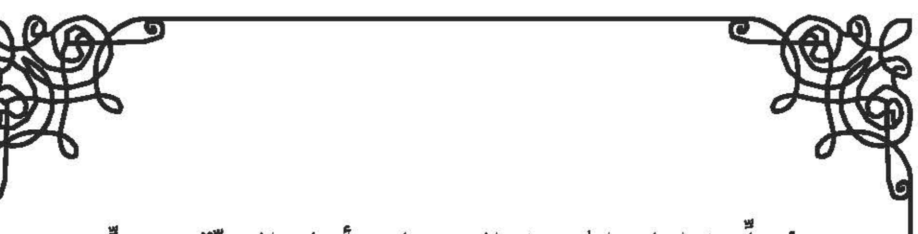
٤. ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق].

٥. ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ [التكوير].

والآيات المباركة بَيِّنةُ الدلالة على أن جهنّم غاضبة أشد الغضب على الكفّار، وتنتظرهم بفارغ الصَّبْر، كي تؤدّي بحقهم وظيفتها الموكولة إليها!

وأمّا المتقون، فالجنة تنتظرهم، وقد قُرِّبَتْ إليهم وهُيِّئَتْ وزُيِّنَتْ لَهُمْ بأتم وجه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



٦ ـ يُسَلِّم تبارك الله وتعالى على أهل الجنّة ويهنِّؤهم، وأما أهل النّار فلا ينظر إليهم ولا يكلِّمهم، بل يزجرهم أشدَّ الزجرِ عن الكلام معه

كما هو واضحٌ في هذه الآيات:

١. ﴿...هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب].

٢. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

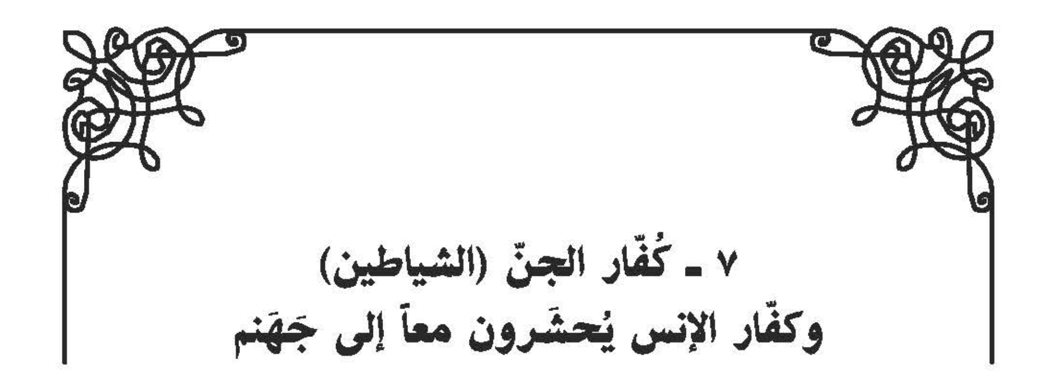
٣. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].

٤. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون].

ووجود بعضِ الآيات التي يُفيدُ ظاهرُها أنّ الله تعالى يكلِّم الكفار ويخاطبهم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ

أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾﴾ [يس]، لا يتنافى مع ما ذكرنا، وذلك لأنه إمّا أن المقصود بمثل هذه الآيات هو مخاطبة الملائكة للكفار، أو أن ذلك النوع من الكلام والذي هو توبيخ وزجر وإهانة، خارج عن مفهوم الكلام الذي يراد بهِ إكرام الله تعالى لعباده وملاطفته معهم.





٧ ـ كُفّار الجنّ (الشياطين) وكفّار الإنس يُحشَرون معاً إلى جَهَنم

وتدل على هذه الحقيقة أكثر من آية، منها:

١. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم].

٢. ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف].

٣. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام].

وهذه الآيات جليَّة الدلالة على أن الله تعالى سيأمر بحشر وسوق الكفّار جميعهم، إنْسِهِمْ وجِنِّهم مَعاً إلى النّار، وأمّا أهل الإيمان من الفريقين، فَلَمْ يُصرِّحْ كتابُ الله هل أنهم سيُوفَدون إلى الجنّة أيضاً معاً، أم لا؟ ولكن دخول الجنّ المؤمنين الجنّة مثل مؤمني الإنس، ممّا لا شك فيه كما ذكرناه سابقاً في الفصل الثالث من هذا الباب ـ أي الكتاب الرابع ـ عند الحديث عن الجنّ، وبيّناه بأدلته، فلا داعي للإعادة هنا، وأوضح دليل عليه

هو سورة: (الرحمٰن) المباركة التي يُعدِّد فيها رب العالمين على الثقلين (الجن والإنس) نعمه الدنيوية والأخروية، ويكرِّر قوله المبارك الذي هو سؤال توبيخيٌّ أو تقريري: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾، إحدى وثلاثين (٣١) مرَّة، وطالما أن الخطاب في السورة كلِّها موجَّهٌ للفريقين كليهما، ثم يذكِّرهم فيها المولى الحكيم تبارك وتعالى بالنِّعم الدنيوية والأخروية، إذن: فالجن مُشارِكون للإنس في كل من نِعَمِ الدنيا والآخرة، وكذلك عقابِهما وعذابِهما.







٨ ـ تَدْخُلُ الكفّار جَهنّم بالترتيب، وحسب سوء صنيعهم وشدّة كفرهم، الأخبث فالخبيث

وهذا ما بيّنته بعضُ الآيات البيّنات، منها:

١. ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم].

٢. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف].

٣. ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام].

والملاحَظُ أن الله تعالى استعمل كلمة (درجات) للكفّار الجهنّميّين في كل من آية (الأحقاف) وآية (الأنعام) وسبب هذا:

إمّا أن كلمة (درجات) ليست خاصة بالأمور الرّفيعة الممدوحة، وإنْ جرى العرف باستعمالها في الخير فحسب، وإمّا أن المقصود بها التّهكُّم بالحالة التعيسة التي يقع فيها الكفّار، كما قال تعالى في مكان آخر: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان].



٩ ـ كل الخَلْقِ سَيَرِدونَ جَهنّم، ثم يَنجو المتقون، ويسقط فيها الكفّار الظالمون

وهذا مصرَّح بهِ في قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

ولَيْسَ المقصود بالورود المذكور في الآية الكريمة، هو الدخول كما قال بعضُ أهل التفسير، لأنَّ دخول جهنّم لا سلامة فيه! بل المقصود بهِ الإقتراب منها والإشراف والعبور عليها مِنْ على (الصِّراط)، وهو الجِسْرُ المضروب على متن جهنّم، كما بَيَّنَتْهُ الأحاديث النَّبوية الشريفة، ومنها الحديث الطويل الذي جاء به البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه، تحت عنوان: (باب الصراط جِسْرُ جهنّم) (صحيح البُخاري برقم: (٦٥٧٣) وقد استعملت كلمة الورود في القرآن بصيغة (وَرَدَ) و(وارِدَهُمْ) بمعنى الإشراف على الماءِ والإِقتراب منه، كما قال تعالى:

أ ـ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

ب ـ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ...﴾ [يوسف].

أما آية (القصص) فوردت في سياق يتحدَّث عن (موسى) عليه السلام وفراره من (مصر) بعد قتله الرجل القِبْطِيَّ، إلى (مَدْين) وذَهابِه إلى حيث أناسٌ مجتمعون على ماء يسقون منه مواشيهم، ويبدو أن الماءَ كان في بئرٍ فيحتاج إلى إخراجه بالدَّلْو، ولهذا عجزت الفتاتان عن مُزاحمة الرجال عليها، ودفعت الشهامة والغيرة (موسى) الفتى الغيور، لنجدتهما وسقى لهما، إِذَن: قولُهُ تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ يقصد به الإِشراف على الماء والإِقتراب منه، وليس دخوله!

وأما آية (يوسف) فواضحة الدلالة على ما نقول، وذلك لأنَّ إدْلاء الدَّلْو لإخراج الماءِ، لا يكون إلّا إذا كان الماء في مكان عميق كبئر ونحوها، وقد أَخْرَجَ الرجلُ المُرْسَلُ لاستقاءِ الماءِ من تلك البئر بالدَّلْو الذي دلّاه فيها، (يوسُفَ) عليه السلام.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





١٠ ـ يَشرَعُ الكفار بعد دخولهم النار، بالتلاعن فيما بينهم، وتَبَرُّؤ بعضهم من بعضٍ:

وتدل على هذا مجموعة آيات مباركات، منها:

١. ﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف].

٢. ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

٣. ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الصافات].

وقد تحدَّثنا في الكتاب السادس عن موضوع ملاسنة وملاعنة الأتباع والمتبوعين من أهل الكفر بعضهم مع بعضٍ، وتبرُّؤ بعضهم من بعضٍ، ثم تسوية الله تعالى بينهم في العذاب والعقاب، من حيث مضاعفته لكلا الطرفين ـ كل بِقَدره ـ، ولِذا نكتفي هنا بتلخيص دلالة هذه الآيات فيما نحن بصدده، في البنود العشرة الآتية:

أولاً: شهادَةُ الجميع على أنفسهم في نهاية المطاف، وإقرارهم بكفرهم في الدنيا.

ثانياً: لَعْنُ بعضهم بعضاً، السابقين واللاّحقين، والأَتباع والمتبوعين.

ثالثاً: طَلَبُ الأَتباع المخدوعين أو المأجورين من ربّ العالمين، أن يضاعف العذاب لرؤسائهم المستكبرين، بحجة أنهم أضلّوهم.

رابعاً: إعلانُ الله الحكيم أن الكل (الأَتباع والمتبوعين) سَيُضاعَفُ لهم العذاب.

خامساً: شماتَة الرؤساء بِأَتباعهم وحواشيهم ومقلّديهم، بسبب تسوية الله تعالى إياهم بهم، في العذاب المضاعف.

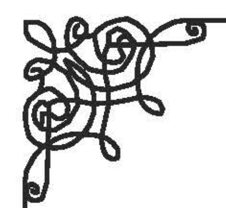
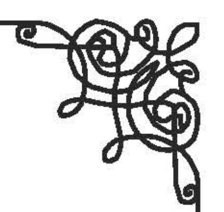
سادساً: تبرُّؤُ المتبوعين من الأَتباع المخدوعين، أو المأجورين وانقطاع الصلات بينهم.

سابعاً: تمنّي الأَتباع أن تكون لهم كرَّةً أخرى، فيُصبِحُوا متبوعين ورؤساء لسادتهم وكبرائهم المتبرِّئين منهم كي يثأروا لأنفسهم، ممّا ألحقوه بهم من الحسرة والفضيحة.

ثامناً: إِنتقادُ المرؤوسين رؤساءَهـ ْ، بأنهم هم السبب في وقوعهم في حالتهم التعيسة.

تاسعاً: ردّ الرؤساء عليهم بأنهم لم يكونوا مُسيطرين عليهم ـ أي على إرادتهم وقلْبهم الذي هو مصدر القرار والتصميم ـ بل هم كانوا راغبين في الطغيان والتجاوز، وإلّا لما كان في مقدورهم إكراههم على ما لا يُريدونه!

عاشراً: إعلانُ الله تعالى بأن جميعهم (الرؤساء والمرؤوسين) مشتركون في العذاب، وتَسْمِيَتُه إيّاهم كلّهم بالمجرمين!

١١ ـ طلب الضعفاء المخدوعين والمأجورين والتماسهم من أسيادهم المستكبرين، أن يُسعِفوهم حتى ولو بشيءٍ يسير، كتخفيف بعض العذاب، وتلقي ردّ باردٍ مُوئِسٍ مُوجِعٍ:

كما هو واضح في هذين المشهدين، من الحوار بين الضعفاء والمستكبرين:

١. ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَٰؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر].

٢. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَٰؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم].

كما نَرى: يقدم الأَتباعُ المخدوعون والمأجورون، طَلَبَهم والتماسَهم لأسيادهم المستكبرين في آيتي (غافر) و(إبراهيم) كلتيهما بصيغة واحدة تقريباً، إذْ يُذكرون المستكبرين: بأنهم كانوا لهم أتباعاً في الدنيا: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، وبعد هذا التذكير الذي هو بمثابة مقدِّمة وتمهيد لتقديم التماسهم، يُفْصِحون بما يريدون منهم، وهو: أن يَدْفعوا عنهم ولو شيئاً قليلاً من عذاب الله العزيز الحكيم، الذي وقعوا فيه من جرّاء اتِّباعهم لهم،

وسَيْرِهم في رِكابهم وائتمارهم بأمرهم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، ولكن لننظر كيف يُجيب الأسيادُ المستكبرون، على هذا الطلب والإلتماس الذي مِلْؤهُ الذلّ والخنوع والهوان!

وسَنُدْرِج جواب المستكبرين على التماس أتباعهم الذّليل زيادة في الإيضاح في البنود الأربعة الآتية:

١) **نحن كلُّنا سواء في العذاب، إذ كلُّنا في جهنَّم:** ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾، أي: قد مَضى عَهْد التابع والمتبوع، فهنا كلّنا سواء ولا امتياز لأحد على آخر، إذاً فلا تتوقّعوا مِنّا شيئاً.

٢) **إنَّ الله قد أبرم حُكمَهُ وأَمضى قضاءَه بين خَلْقه، ولا أَحَدَ يملك حَق الإعتراض والإستئناف، بَلْهَ النَّقْضَ، وذلك لأن حكم الله العدل المَبْني على الحق المطلق، والعدل التام، والعلم الشامل، والحكمة البالغة، والحُجّة الدّامِغَة، لا مجال للأخذ والردِّ حياله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾.

٣) **لو أنّنا كنّا في الدنيا على صراط الله المستقيم، ومهتدين بهداهُ التام لهديناكم معنا:** ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾، وربما يقصد المستكبرون بهذا الكلام، الإحتجاج بالقدر الذي طالما احتجَّ بهِ إبليس والمشركون، كما قال إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ...﴾ [الأعراف]، وقال المشركون: ﴿...لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا...﴾ [الأنعام]، ولكن قد ذَهَبَ أوانُ تلك المماحكات الباطلة التي لا يلجأ إليها إلّا الفاشلون في امتحان الله الحكيم!

٤) **يستوي من حيث عَدَمُ النفع، كلا الحالين: التضرُّع والشكوى، أو الصَّبر والتجلّد:** ﴿...سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ والمحيص هو المهربُ والمَفَرُّ[1]، ويبدو من قول

---

(١) مختار الصحاح، ص١٥٧، لفظ: ح ي ص.

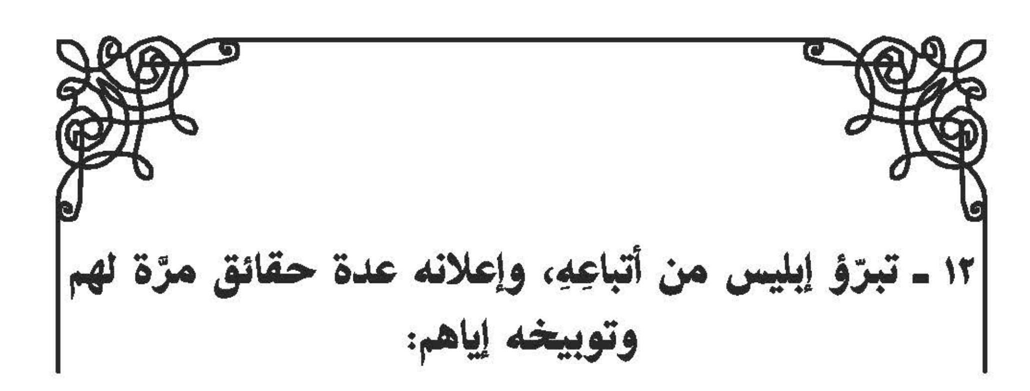
المستكبرين الذين سبقوا الضعفاء إلى النّار، أنهم جَرَّبوا الحالين كِليهما، فَلَمْ يُجْدِيانهم شيئاً، فَأَتْحفوا أتباعَهُم المخدوعين والمأجورين بحصيلة تجربتهم المرّة مع عذاب جهنّم!

وهكذا يتلقى الضّعفاء المُلْتَمِسون ردّاً بارداً مُوئِساً مُوجِعاً من كبرائهم وسادتهم الذين انخدعوا بهم في الدنيا، ويبدو أن الأَتباع بعد تَلَقِّي هذا الجواب السَّلْبيِّ، ويأسهم من نفع المتبوعين لهم، يَطلُبُون من الله تعالى أن يضاعِف لهم العذاب، كما في قوله تعالى:

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





١٢ ـ تبرّؤ إبليس من أتباعِهِ، وإعلانه عدة حقائق مرّة لهم وتوبيخه إياهم:

كما في الآية (٢٢) من (إبراهيم) والتي أَدْرجْناها سابقاً، وسنُرتِّب ما تَشْتَمِلُ عليه من: اعتراف إبليس على نفسه، وتأنيبه وتوبيخه لأتْباعِهِ، وتبرّؤه منهم، وتيئيسه لهم، وشماتته بهم، في البنود الثمانية الآتية:

١) الشيطان يُقِرُّ بالحقيقة ويُدْلي باعترافاته، بعد أن لم يبق أَيُّ مجالٍ أمام أتباعه لتدارك الأمر:

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ...﴾ [إبراهيم]، إذاً: لا يتحدَّث اللَّعين بتلك الحقائق المرّة، ولا يبوح بها لحزبه الهالك، إلا في القيامة، وحين لا يَبْقى أي مجال!

٢) وأول حقيقة يُقِرُّ بها الشيطانُ، هي: أَن وعد الله كان حقاً، عندما وعدكم بالبعث والنشور والحساب والجزاء:

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣) والحقيقة الثانية، هي: أَنَّ وَعدَهُ إياهم، كان وَعْداً كاذباً وخلافاً للحق:

﴿... وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

٤) وثالث الحقائق التي يُقِرُّ بها إبليسُ اللَّعينُ، هي: أنه لم يكن له أي دورٍ في إغوائهم سوى الوسوسة والتزيين:

﴿... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٥) وبعد الإدلاء بهذه الإعترافات الثلاثة، يُوَبِّخُ اللَّعين أتباعَهُ المخدوعين به، وينهاهم عن لَوْمِهم إيّاه، ويأمرهم بِلَوْمِ أنفسهم:

﴿... فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٦) وبعد التوبيخ ينتقل اللَّعين إلى التيئيس، كي يتضاعَفَ الهَمُّ والغَمُّ في قلوب أتباعه، وذلك ببيانه حقيقة: أنه لَيس في وسعه فِعلُ شيء لهم، كما أنه ليس بإمكانهم فعل شيء له:

﴿... مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى في عدم إغناءِ أحد عن غيْره يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار].

٧) ثم ينتقل إبليس إلى إعلان البراءة من حزبه الخاسِر:

﴿... إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾.

---

(١) يقال: صَرَخَ يَصْرُخُ صرخاً وصُراخاً، إذا استغاث، فهو صارخٌ وصريخٌ، أي مُسْتَغيثٌ طالبٌ للنصرة والمعاونة، وذلك مُصْرِخٌ أي مُغيثٌ، واستصرختُهُ فأصرخني، أي استغَثْتُ به فأغاثني، فهو صريخٌ ومُصْرِخٌ أي مُغيثٌ، والصّراخ هو الصياحُ الشديد عند الفزع والمصيبة: (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص٣٣٠، للشيخ حسنين محمد مخلوف.

أي: إنِّي أَستنكِرُ أشدَّ الإستنكار: جعلكم إيّايَ شريكاً لله تعالى، بعبادتكم لي، والتي تمثَّلت في طاعتكم لي، وهذا كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس].

٨) وَأخيراً يَختِمُ إبليسُ خطابَه مع حزبه الهالك بشماتته[١] بهم وتشفِّيه منهم:

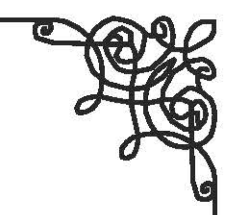
﴿... إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وكأن اللعين يقول في نفسه: لولا أنكم اتَّبعتموني بمجرَّد وسوستي لكم، ولولا أنكم كثَّرتم سواد حِزبي، لما وَصَلْتُ إلى هذا الدَرَكِ الذي أنا فيه!

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



(١) الشماتة هي إظهار الفرح بسبب ما يُصيب عدوّك من بَليَّة، من: (شَمِتَ يَشْمَتُ شَماتاً وشَماتة)، مختار الصحاح، ص٣٠٨، لفظ: ش م ت.



١٣ ـ أهلُ الإيمان والتقوى يَحْمدون الله تعالى على هدايته لهم، ويُطهر الله قلوبَهم من الأحقادِ تجاه بعضهم البعض، وتستمرُّ أُخوّتهم، وتزداد المودّة بينهم

كما تدلّ عليه هذه الآيات البيّنات:

١. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف].

٢. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر].

٣. ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

٤. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

ونُلَخِّصُ ما تدلّ عليه هذه الآيات من شؤون وأحوال أهل الإيمان والتقوى، بعد سَوْقهم إلى الجنة واستقرارهم فيها في البنود السّبعة الآتية:

أولاً: حَمْدهم لله تعالى على هدايته وتوفيقه لهم لسلوك صراطِهِ المستقيم والقيام بطاعته، والذي أورثهم بفضل الله دخولَ الجنة، وتأكيدهم على أن رسل الله الكرام عليهم السلام، قد جاؤوهم في الدنيا بالحق:

كما في الآية (٤٣) من (الأعراف).

ثانياً: حمدهم لله تعالى وثناؤهم عليه، على صِدْق وعده معهم وإيراثِهِ الجنة إيّاهم وتَوْطينه إياهم، فيها:

كما في الآية (٧٤) من (الزمر).

ثالثاً: استمرار الأُخوّة والخُلة والمحبّة بينهم، والتي أَسسوها على عبادة الله وتقواه، عكس الكفّار الذين ينقلبون أعداءً متلاعنين وَتَنْفِصمُ صِلاتُهم وروابِطُهم التي ابتنوها على اتّباع الباطل والمصالح الذاتية:

كما في الآية (٦٧) من (الزخرف).

رابعاً: تطهيرُ الله تعالى قُلوبَهم من شوائب الحقد والبُغْض تجاه بعضهم البعض، وجلوسهم على سررٍ متقابلين متوادّين:

كما في الآية (٤٣) من (الأعراف) والآيات (٤٥، ٤٦، ٤٧) من (الحجر).

خامساً: نِداءُ الله تعالى إيّاهم: أَنما وُهِبوا تلك الجنّة وجُعلت مِلْكاً لهم، بسبب أعمالهم الصّالحة:

كما في الآية (٤٣) من (الأعراف).

سادساً: نداؤهم الكفّارَ وإعلامُهم إيّاهم بأنهم، قد تحقّق لهم وعد الله، واستفسارُهم منهم على سبيل التوبيخ: هل وجدوا هم كذلك وعد الله حقاً؟ وإجابة أصحاب النار بالإيجاب:

كما في الآية (٤٤) من (الأعراف).

سابعاً: إِعْلان عام بين أهل الجنّة وأهل النّار، بأنَّ لعنة الله سَتَحُلُّ بالظالمين الكافرين بالآخرة، والصادّين عن سبيل الله والساعين لإظهار دين الله مشوَّهاً في أنظار الناس:

كما في الآيتين (٤٤، ٤٥) من (الأعراف).

كما رأينا إنَّ في اليوم الآخر، في المرحلة الأخيرة منه، والتي تُخْتَمُ باستقرار أهل الكفر في النّار وأهل الإيمان في الجنّة، فرقاً كبيراً وبَوْناً شاسعاً بين أهل الكفر وأهل الإيمان، كما بين الأرض والسماء، إذ لا يُسْمَعُ لأهل النّار سوى الصّراخ والجدال والتلاعن وتبرُّؤ بعضهم مِنْ بعض، وتمنّي بعضهم زيادة العذاب والبلاءِ لبعض، وشماتة بعضهم ببعض!

ولكن أهل الجنة بعيدون عن كل هذا، إذْ هم مُنشغلون بحمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه، والجلوس معاً على سرُرٍ متقابلين في جوٍّ مُفْعَمٍ بالأخوّة والمودّة، واطمئنان القلب وراحة البال.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





١٤ ـ مجيء الله سبحانه وتعالى وملائكته إلى حيث الحساب والفصل النهائي، وتحسر الكافر على ما فاته، وتبشيرُ الله تعالى أهلَ الإيمان برضوانه وجنّته:

كما قال تبارك وتعالى:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

ونُلَخِّص ما اشتملت عليه هذه الآيات من حقائق مرتبطة بالمرحلة الأخيرة من اليوم الآخر، في البنود الستَّة الآتية، والتي نختم بها هذا المبحث الرابع:

أولاً: النفخة الأولى والثانية تَبدوان كَـ مَدَّتَين متتابعين متقاربين[1]:

والدليل على هذا في هذه الآيات التي نحن بصددها:

أن الله تعالى بعد أن يَرُدّ على الكفار، أقوالَهم التافهة وتصوراتِهم

(١) عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله: «**ما بين النفختين أربعون...**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ: (٤٩٣٥)، ولكنه لم يحدد الأربعين، هل هي أيام، أو شهور، أو سِنون؟!.

الخاطئة، التي يدلّ عليها السياق السابق، يذكر سبحانه حادثة دَكِّ الأرض ـ أي دقِّها وتَفتيتِها وسَحْقها وتسويتها[1] ـ ثم يُتبِعُها بذكر مجيئه ومجيء الملائكة صفوفاً: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾، إذاً:

فالنفخة الأولى التي تُسَبِّبُ دك الأرض، والثانية التي تَعْقُبها القيامة والحشر والحساب ومجيء الله تعالى والملائكة، حدثان متقاربان متلاحقان.

وهناك آيات أخرى كثيرة تدلّ على ما قلناه، منها:

١. ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات].

والمقصود بالراجفة والرادفة النفخة الأولى والثانية، وصرَّح كتاب الله الحكيم بأن النَّفخة الثانية هي تابعة للأولى.

٢. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر].

وهنا كذلك تبدو النفختان الأولى والثانية كحدثين متقاربين متلاحقين.

٣. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة].

وهنا في هذه الآيات طُوي ذكر النفخة الثانية رأساً، وكأن القيامة تبدأ بعد النَّفخة الأولى مباشرة، وهذا دليلٌ على تقارب النفختين وتتابعهما.

---

(١) الدكُّ: الدقُّ، وقد دكهُ: اذا ضَربهُ وكسرَهُ حتّى سوّاه بالأرض. مختار الصحاح، ص(١٩٣، ١٩٤) لفظ: د ك ك.

ثانياً: يأتي سبحانه وتعالى إلى حيث الحشر والحساب، وكذلك يأتي الملائكة الكرام صفوفاً:

كما قال تعالى:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

وممّا يدلّ على هذا الحدث العظيم أو يُشير إليه، قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة].

والمقصود بهذا المجيء لله تبارك وتعالى في ظُلَلٍ[1] من الغمام ومجيء الملائكة هو مجيئه يوم القيامة، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿...وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ ومن المعلوم أنه لا يُقضى الأمرُ، ولا يُحسَمُ أَمرُ الحكم والقضاء بين الخلق، إلّا يوم القيامة.

وقوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ...﴾ [الزمر: ٦٨ ـ ٦٩].

إذْ لا يَخفَى أن المقصود بالأرض في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ هو أرض المحشر والحساب، وإنما تُشرِق الأرض بنور ربِّها، بعد مجيئه سبحانه وتعالى.

هذا بالنسبة لأصل مجيء الله تعالى إلى حيث الحشر والحساب، وأما كيفية ذلك المجيء والإتيان الرّباني، فهي مجهولة لنا، مثلها في ذلك مثل سائر صفات الله تعالى العُلى وشؤونه المثلى، إذْ هو سبحانه كما أخبرنا عن

---

(١) (ظلَل) جمع (ظُلّة) والظُّلّة هي كلّ ما يُظِلُّك، كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف]، وذلك بعد قلع الجبل ورفعه على رؤوس بني إسرائيل كي يُقِرُّوا بالإلتزام بدين الله، و(الغمام) جمع (غمامة) وهي السحابة الرقيقة البيضاء. مختار الصحاح، ص٣٥٧، لفظ: ظ ل ل، وص٤٢١، لفظ: غ م م.

نفسه: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد تحدثنا عن موضوع أسماء الله الحُسْنى، وصفاته العُلى، وشؤونه المُثلى، في الفصل الثاني من هذا الباب ـ أي الكتاب الثالث ـ، وخلاصة القول في أسماء الله تعالى وصفاته وشؤونه:

أننا يجب أن نُثْبِتَ لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان نَبِيّه ﷺ، ثم نُنز ِهُ سبحانه عن مشابهة مخلوقاته في شيء من أسمائه وصفاته وشؤونه، وأن نتجنَّب في إثباتنا التشبيه والتمثيل، وفي تنزيهنا التعطيل والتأويل ـ أي التأويل الذي لا يضطرّنا إليه الدليل ـ.

ثالِثاً: ويومئذٍ تُحْضَرُ جهنَّم ويتبيَّن للإنسان الكافر كُلُّ شيء، ويطَّلع على الحقائق التي كان ينكرها، في الدنيا، ولكن بعد فوات الأوان:

كما قال تعالى:

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر].

رابعاً: ويَتَحَسَّرُ الكافِرُ ويتمنَّى أن لو كان قَدْ قدَّم الإيمان والعملَ الصالح في حياته الدنيا لحياته الأخرى:

كما قال تعالى:

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر].

واللام في قوله تعالى: (لحياتي) يحتمل أن تكون توقيتية أو تعليلية.

خامساً: ولا يستطيع أحدٌ أن يُعَذِّب أحداً ويُكَبِّلَه، كما يُعَذِّب الله تعالى ويُقَيِّدُ الإنسانَ الكافر:

كما قال تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر].

ومعلومٌ أن الملائكة المختصِّين هم الذين يتولّون أمور التعذيب والتكبيل، ولكنه بما أنه يتم ككل شيء آخر ـ يومئذٍ ـ بأمر الله تعالى، أضافه سبحانه إلى نفسه.

هذا بالنسبة للإنسان الكافر الغافل عن ربِّه، والغارق في الكفر والفسوق والعصيان، وأمّا المؤمن المطمئن قلبه بذكر الله، فله شأن آخر وحديث آخر:

سادساً: ويخاطب الله الكريم، المؤمِنَ العابِدَ لربِّه والمطمئن قَلْبُهُ بذكره، بغاية اللُّطف والإكرام:

كما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

ونُجَزِّىءُ هذا القولَ الكريم المبارك الذي يَنْضَحُ كرماً وبركة ولُطْفاً، لغرض إيضاح معناه، إلى المقاطع الخمسة الآتية:

١) ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾.

وربما كانت حكمة تخصيص النَّفس بالخطاب هي: أَن حقيقةَ الإنسان ولُبَّه إنما هو روحه التي نَفَخَها الله تعالى في جسده، وما الجسد الترابِيُّ لها، سوى غلاف مؤقت، ووسيلة تُحَقِّقُ بها أغراضها.

٢) ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

والإِطمئنان هو السكون[1] والثَّبات والوقار والرَّوْحُ الذي يَحْصُلُ في النفس، بسبب الإيمان بالله تعالى وعبادته وتقواه والتوكل عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وهذه الآية تشير إلى أن القلب لا يطمئن إلّا بذكر الله، وجديرٌ بالذكر أن المقصود بـ(ذِكْرِ الله) ليس مفهومه العرفي الضيّق، بل يقصد به كل ما يرتبط بما بين العبد وربِّه، من إيمان وعبادة وتقوى وتوكل وذكر الله بالقلب واللسان... إلخ.

---

(١) مختار الصحاح، ٣٥٢، لفظ: ط م ن.

وهذا الخطاب الربّاني للنفس المؤمنة المطمئنّة، يُفهَمُ منه أن الإنسان المؤمن سيكون له حَظٌّ ونَصيبٌ في هذا الخطاب، ويكون مشمولاً به، بِقَدَر ما يتَّصِف به من الطَمأنينة، التي يُثمِرُها الإيمانُ والإرتباطُ بالله تعالى.

٣) ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾.

أي: عُودي إلى ربك، وهذا يُفْهم منه أن النَّفس البشرية لها ارتباط خاصّ بالربِّ جلّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى...﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ...﴾ [السجدة: ٩]، وذلك لأن الرجوع هو العودة إلى الحالة السابقة والشأن السابق[1]، يقال: فلان رجع من السفر، أي عاد إلى المكان الذي انطلق منه وخرج منه، كما قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ...﴾ [طه: ٨٦].

فرجوع النفس إلى ربها، عبارةٌ عن عودتها إلى المصدر الذي جاءت منه، إذْ هي ليست من جنس هذه الأرض التي ابتليتْ فيها بالإختبار، بَل هي غريبة عنها، ولهذا فهي كطائر جيء به إلى مكان غريب أو عُشّ غير عُشِّهِ، فهو يَتَطلَّعُ دَوْماً للعودة إلى عالَمِهِ، وموطنه الأصلي الذي جاء منه.

ولكن لا يَظُنَنّ ظانٌّ أن المقصود بالإرتباط الخاص الذي للروح بالله تعالى، هو رابطة غير رابطة المخلوق بخالقِهِ، إذ كل ما سواه سبحانه مخلوق له ومربوب ومملوك، ولكن للمخلوقات بالنسبة لارتباطها بخالقها وربها، حالات ودرجات، وللروح البشرية في هذا المجال حالة ودرجة خاصة، من بين المخلوقات كلها، كما تدل عليه الآيات التي أشرنا إليها آنفاً.

وللنفس البشرية ظمَأٌ شديد واشتياق عجيب نحو الله تبارك وتعالى حيث تتطَّلع دَوْماً إلى المَزيد مِن معرفته والقرب منه، وكلما تزكت النفس وصفت من الأوشاب والكدورات، ازداد فيها ذلك الظمأ والإشتياق.

---

(١) مختار الصحاح، ص٢١٥، لفظ: ر ج ع.

٤) ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

أي: أنت راضية عن ربك أيتها النفس المطمئنّة الراجعة إليه بعد نجاحك وثباتك أمامَ نوازع الجسد وجواذب الأرض، لأنه هو ربُّك وَوَليّك أولاً، ثم لما يُكرمكِ به من جزيل ثوابه وعظيم عطائه، وكذلك هو راضٍ عنك بما أدّيتِ من حق العبودية له، والشكر على نعمه.

ولا شك أنه ليس هناك نعمة أشهى للنفس المؤمنة المطمئنة في الجنة، وأعظمَ وَأَجَلَّ من شعوره ويقينه: بأن الله تعالى راض عنها، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

٥) ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

وقدّم سبحانه الإنخراط في سلك عباده المرضيين، وفي مقدّمتهم: رسله وأنبياؤه الكرام عليهم الصلاة والسّلام، على ذكر دخول الجنّة، لأن الإنسان المؤمن أشوقُ إلى لقاء عباد الله الصالحين، وفي مقدّمتهم الرسل والأنبياء وعلى رأسهم خاتمهم وسيدهم (محمّد) سيّدُنا وحبيبنا وقرة أعيننا، عليه وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليمات وأكمل البركات، من التمتّع بما في الجنّة من أنواع النّعم والملذّات، وقدْ قيل: (الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدّار).

وعلى هذا الأساس نفسه: قدّمَتِ المرأة الصالحة التي ابتُليتْ بِفرعون، رضي الله عنها، ذِكرَ جِوارِ الله تعالى والقُرْبِ منه، على ذكر الجنّة نفسها، حيث قالت:

﴿... رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم].

وهنا نختم المبحث الرابع من الفصل الرّابع، ونتنقل بتوفيق الله إلى الفصل الخامس.




لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
AliBapir/عەلی باپیر
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



الفصل الخامس

جَهَنَّمُ وما فيها من صُنوف العذاب


لە تۆڕە كۆمەڵایەتییەكان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
كوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەكتەبی ئەمیر



ذكر الله الحكيم الجبّار تبارك وتعالى، أوصاف جهنّم، وما أعدّ فيها من صنوف العذاب الروحي والجسدي، في سور وآيات كثيرة، ومن الصَّعب سَرْد تلك الآيات كلّها، لِذا اكتفينا ـ كعادتنا ـ باختيار أمثلة منها فقط، وهي:

١. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر].

٢. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

٣. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف].

٤. ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس].

٥. ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

٦. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء].

٧. ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

٨. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

٩. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة].

١٠. ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات].

١١. ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان].

١٢. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة].

١٣. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

١٤. ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المرسلات].

١٥. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

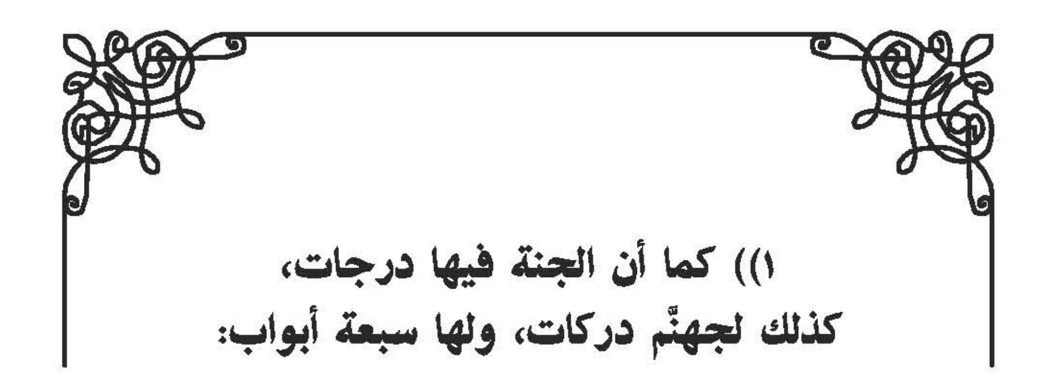
١٦. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة].

١٧. ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين].

١٨. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ۝٦٨﴾ [الأحزاب].

ونُلخِّصُ ما تَدلُّ عليه هذه الآيات البيِّنات، من صنوف العذاب وأشكاله في جهنَّم، في المباحث الواحد والعشرين الآتية:





١)) كما أن الجنة فيها درجات، كذلك لجهنّم دركات، ولها سبعة أبواب:

أما دركات[١] جهنّم، فيدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ....﴾ [النساء: ١٤٥] إذْ كون المنافقين في دركها الأسفل، دليلٌ على أن فيها دركات أخرى أيضاً.

وأما أن لجهنّم أبواباً سبعة، فَمصرَّحٌ به في الآية (٤٤) من (الحجر): ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾، وواضح ـن الآية المباركة: أن كل بابٍ من أبواب جهنّم السبعة، حُددَ له ـ أي للدخول منه إلى النّار ـ نوع وصنفٌ مخصوص من الكفّار، أو عَدَدٌ معيَّن منهم، ولكن الظاهر أن الكفّار سَيُصَنَّفون إلى سبعة أصناف، حسب غلظتهم ورسوخهم في الكفر، أو حسب أعمالهم، ويَلِجُ كلُّ صنفٍ منهم من باب محدّد، كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) مختار الصحاح، ص١٩٠، لفظ: درك، (دَرَكات النار: منازل أهلها، والنار دَرَكَات والجَنَّة دَرَجات، والقَعْرُ الآخر: دَرَكٌ ودَرْكٌ).



٢)) إن أبواب السماء مَسْدودة أمام أرواح الكفّار فلا تَصْعَدُ إليها

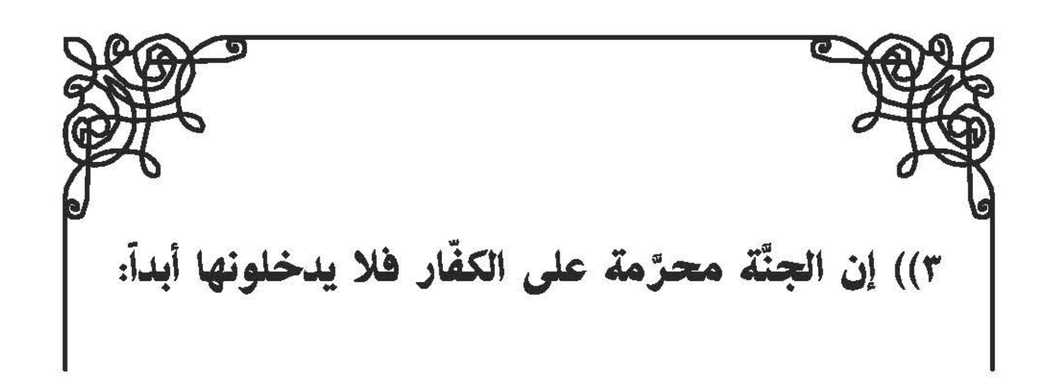
كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف].

وقد بيّن رسولُ الله ﷺ أن المقصود بهذه الآية هو عَدَمُ السّماح بعروج أرواح الكفّار إلى السماء، عندما تُقْبَض من أجسادهم[١].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) كما جاءَ في الحديث الطويل الذي رواه أبو داود والحاكم والطيالسيُّ وأحمد والآجرّي في (الشريعة)، وقال الحاكم صحيح على شرط الشّيخين وأقرَّهُ الذهبي، وصحّحه ابن القيّم في: (إعلام الموقّعين) و(تهذيب السنن) وانظر: (أحكام الجنائز وبِدَعها) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ص (١٩٨ إلى ٢٠٢).



٣)) إن الجنّة محرّمة على الكفّار فلا يدخلونها أبداً:

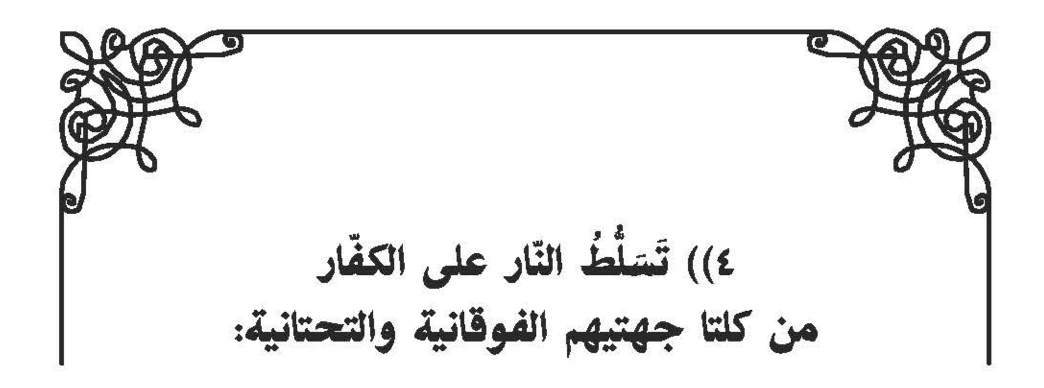
كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف].

وبديهيٌّ أن تعليقَ دخولِ الكفّار الجنّة، بدخول الجَمَلِ (البعير)[١] ثقب الإبرة، يقصد به عدم دخولهم إياها أبداً، وتعليق وجود شيء بشيء محالٍ، أحَدُ أساليب النّفي في اللغة العربية وغيرها من اللغات، فيقول أحدُهم يريدُ التأكيدَ على عدمِ فعله عملاً معيّناً: أنا لا أفعل كذا حتى يَسْودَّ اللَّبَنُ، أو حتى يبيضَّ القارُ، أو حتى يعود اللَّبَنُ في الضَّرْعِ..

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) لكلمة الجمل في الآية معنيان: البعير والحبلُ الغليظ، ولكن الأول هو الرّاجح المتبادِرُ إلى الذهن. المعجم الوسيط: ص١٣٦



٤)) تَسَلُّطُ النّار على الكفّار من كلتا جهتيهم الفوقانية والتحتانية:

كما قال تعالى:

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف].

والمِهاد جَمْعُه (مُهُد)، ككتاب وكُتُب، وهو المكان الذي يُمهَّد ليجلِسَ عليه الإنسان[1].

والمقصود بالآية:

أن الكفّار لا يجدون مكاناً للراحة ولا غطاءً يتغطون به، سوى النّار.

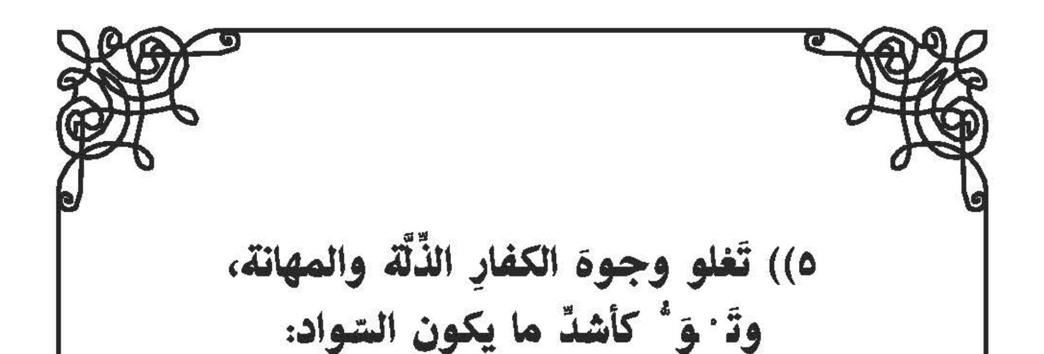
وقد ذكر هذا المعنى في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى أيضاً، منها:

١. ﴿...وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة].

٢. ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

---

(١) المعجم الوسيط، ص٨٨٩.



٥)) تَغلو وجوهَ الكفارِ الذِّلّة والمهانة، وتَ٠وَ ٌ كأشدّ ما يكون السّواد:

كما قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس].

يبيِّن سبحانه أن الكفّار المكتسبين للسيئات، سَيُجْزَوْن حسب أعمالهم السيئة، وستَغلو وتغشى وجوهَهُم المَهانَةُ، ولا يوجد من يحفظهم من عذاب الله وعقابه، وتسوَدُّ وجوهُهُم، حتّى كأنّها أُلبِسَت قِطعاً من اللّيل الحالك المظلم، أي أجزاءً منه.

وقد ذكر سبحانه أن وجوهَ الكفار الجهنّميين، يَعتَريها الذلُّ والخِزْيُ والسواد في أكثر من آية، منها:

١. ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران].

٢. ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾ [الغاشية].

٣. ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥﴾ [القيامة].

٤. ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشورى].

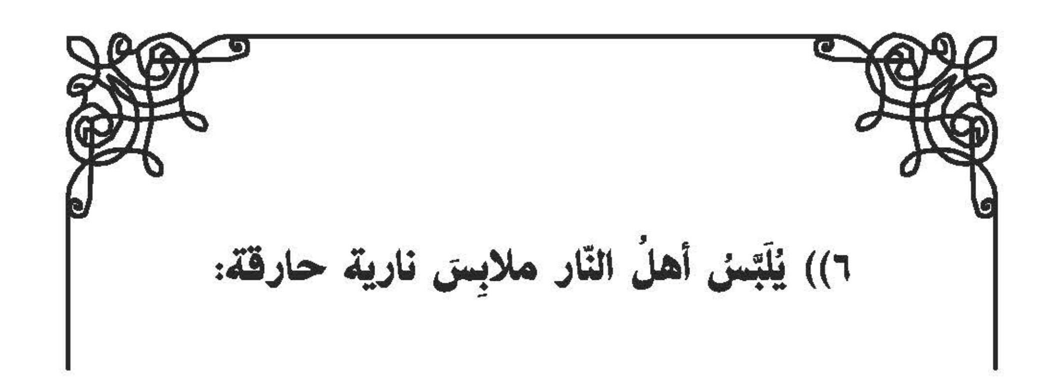
٥. ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس].

وبَسْرُ الوجه هو تعبيسُهُ وتقطيبه(١)، والغَبَرة(٢): الغُبار، والقَتَرة(٣): شِبْهُ دخان، والإنسان المُغْتَمُّ الحزين الخائف اليائس، هكذا يَغْبَرُّ ويسودّ وجهه، لأنَّ ما في قلبه ينعكس على وجهه.





(١) مختار الصحاح، ص٥٨، لفظ: ب س ر.
(٢) المصدر السابق، ص٤٠٩، لفظ: غ ب ر.
(٣) المعجم الوسيط، ص٧١٤.



٦)) يُلبّسُ أهلُ النّار ملابِسَ نارية حارقة:

كما قال تعالى:

١. ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج].

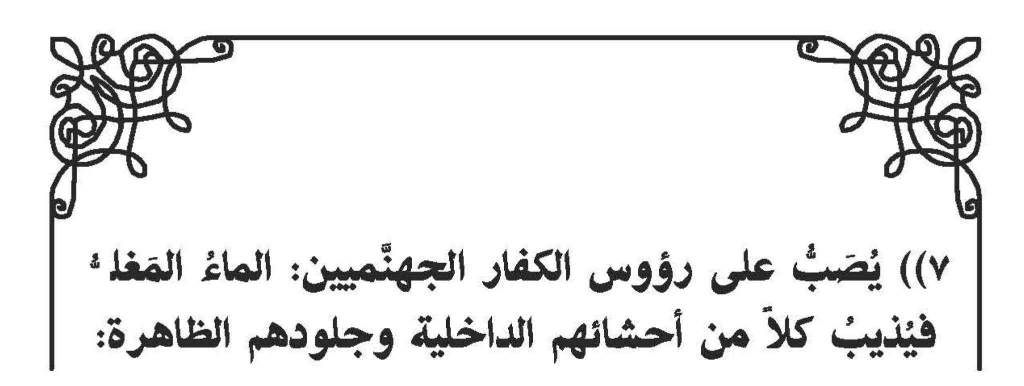
٢. ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم].

قوله تعالى: ﴿... قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي فُصِّلَتْ وقُدَّتْ ثيابٌ وملابِسٌ نارية على قدر أجسامهم، والسرابيل جمع (سِرْبال) وهو كل ما يُلْبَسُ ممّا يُغَطّى به الجسم[1]، سواء أكان للحرّ، أم البرد، أم الحرب، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل].

والقَطِرانُ[2] مادة حارقة معروفة شديدة الإشتعال، تُطْلى بها الإبل الجَرْبى، فَتَسْكُنُ.

(١) مختار الصحاح، ص٢٦٤، لفظ: س ر ب ل.

(٢) (القَطِرَان: مادة سوداء لَزِجة تستَخرجُ من الخَشَب والفحم ونحوهما بالتقطير الجاف وتُستَعملُ لحفظ الخشب من التسُوس والحديد من الصَّداءِ)، (والقطران: عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثُمّ تُطْلَى بها الإبل) المعجم الوسيط: ص٧٤٤.



٧)) يُصَبُّ على رؤوس الكفار الجهنّميين: الماءُ المَغلُ فيُذيبُ كلاً من أحشائهم الداخلية وجلودهم الظاهرة:

كما قال تعالى:

﴿... ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج].

وسنتحدّث فيما بعد عن طعام الجهنّميين وشرابهم، واللّذَيْن يكون الزَّقُّوم والماء المَغْلي، هما مُكوِّناهما الأساسيين.



٨)) يُضْرَبُ الكفار بمقامع حديدية، كلّما حاولوا الخروج من النار ويُعادون إليها مُغْتمّين:

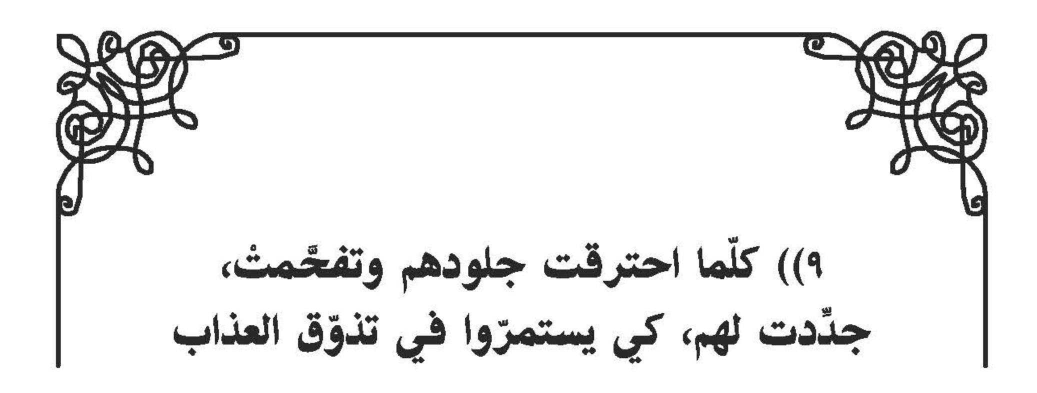
كما قال تعالى:

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

والمقامع جمع (مِقْمَعة) وهي المطرقة الحديدية، فيُضرَب بها رأس الكافر الساعي للخروج[1]، فيرتدع ويزدجر ويرجع خائباً.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) مختار الصحاح، ص٤٧٨، لفظ: ق م ع.



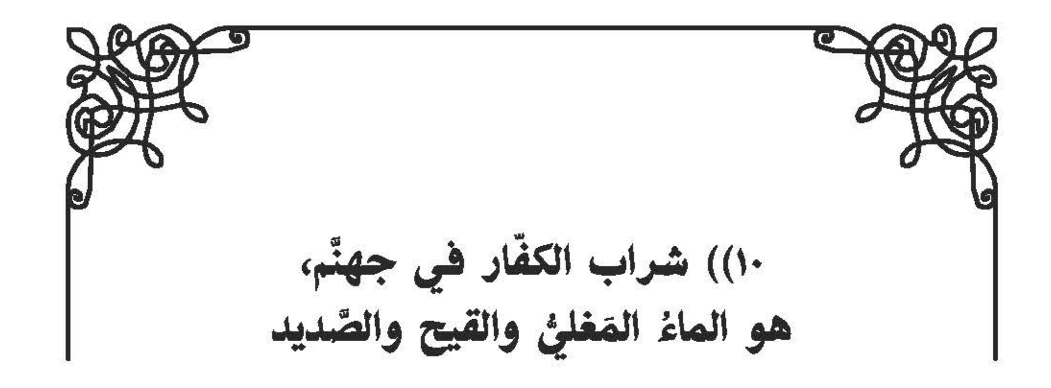
٩)) كلّما احترقت جلودهم وتفحّمت، جدّدت لهم، كي يستمرّوا في تذوّق العذاب

كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [النساء].

وقد ذكرنا سابقاً حكمةَ تجديد الله تعالى جُلودَ الكفّار، عند الحديث عن موضوع بعض وجوه إعجاز كتاب الله العزيز، في الفصل الرابع من هذا الباب ـ أي الكتاب الخامس ـ.





١٠)) شراب الكفّار في جهنّم، هو الماءُ المَغليُّ والقيح والصّديد

كما قال تعالى:

١. ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

٢. ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

٣. ﴿... كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

(الحميم) هو الماء البالغ نهاية الحرارة[١]، والغسّاق[٢] والصديد، هو القَيح وهو الماء الأصفر المنتن، الذي يَسيلُ من الجروح والدمامل ونحوها.

وجليٌّ أنه لا يتصوّر شرابٌ أسوءَ وأخبثَ من الماء الحارّ، وخُراج الجروح والدمامل!

(١) مختار الصحاح، ص١٤٩، لفظ: ح م م.

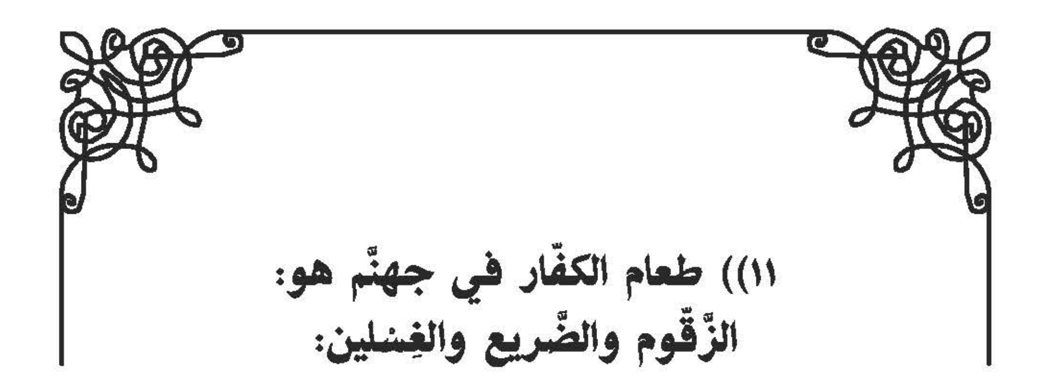
(٢) مختار الصحاح، ص٤١٥، لفظ: غ س ق.

وقد ذكر سبحانه أن الكافر يتجرَّع ذلك الشراب ـ أي يشربه بصعوبة بالغة وجُرعةً جُرعةً ـ وأنَّه لا يكاد يُسيغُهُ، أي إن انسياغه في حَلْقِهِ بعيد جدّاً، لِذا يتجشَّمُ العناء في بَلْعِه إيّاه.

وكذلك بيَّن سبحانه أن ذلك الشراب (الماء الحارّ) يُقَطِّعُ أمعاءَ وأحشاءَ شاربيه الكفرة.







١١)) طعام الكفّار في جهنّم هو: الزّقّوم والضّريع والغِسلين:

كما قال تعالى:

١) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ (٥٢) فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ (٥٣) فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٥٦)﴾ [الواقعة].

٢) ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ (٦٤) طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ (٦٨)﴾ [الصافات].

٣) ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ (٤٤) كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ (٤٥) كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ (٤٨) ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ (٤٩)﴾ [الدخان].

٤) ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ (٣) تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ (٤) تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ (٥) لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ (٦) لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ (٧)﴾ [الغاشية].

٥) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة]

(الزّقوم) قال بعض المفسرين: إنه اسم شجرة خاصة بجهنّم، ولَيس له مصداق في الدُنيا، وقال بعض آخر منهم، الزّقوم شجرة تنبت في (تهامة) أوراقها صغيرة ومُرّة جداً[١].

أما (الضريع) فَعرّفهُ (البخاري) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (الضَّريعُ: نَبْتٌ يقال له (الشِّبْرِق) يُسمِّيه أهل الحجاز (الضّريع) إذا يَبِسَ وهو سُمٌّ، و(الغِسْلين) هو القيح والصَّديد، وما يخرج من الثوب ونحوه بالغَسْل[٢] (صحيح البخاري برقم: (٨٨)).

والآن لنتأمّل السياقات التي ورد فيها الحديث، عن كل من الزّقوم والضّريع والغِسْلين:

١ ـ الزقّوم:

إذا كان الضّريع والغِسْلين ورد ذكر كلّ منهما مرة واحدة في كلّ القرآن، فالزقّوم له شأن آخر، إذْ ورد ذكره في أكثر من آية، ويبدو من السياقات التي ورد فيها ذكره، أنه يشكل الغِذاءَ الرئيسي لأهل النّار، والآن لننظر إلى السياقات الثلاثة التي أوردناها بشأنه:

أ ـ الآيات (٥٢ إلى ٥٦) من (الواقعة):

في هذه الآيات يخاطب، ربُّ العِزّة عزّ وجلّ الكفّارَ الجهنّميين ويُسمِّيهم: الضالّين المكذّبين، مؤكّداً لهم بأنهم سيأكلون ـ في جهنّم ـ من شجرة الزقّوم، فَيَمْلؤون من ثمرها بطونهم، ثم يشربون عليه الماء الحارّ،

(١) الزقّوم شجرة مُرّةٌ كريهة الرائحة، ثمرها طعام أهل النار، وهو طعامٌ يَقْتُلُ والزّقمةُ: الطاعون، المعجم الوسيط: ص٣٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٥٢، ٦٥٣.

ويَشْرَبونه بنهم، كالبعير الذي يُصاب بداء الهيام[1] الذي لا يرتوي أبدا، ثم يقول سبحانه مُعقباً على ما مرّ ذكره: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ والنُزُل هو الطعام والشراب والمكان الذي يُحَضَّرُ للضيف[2] أول ما ينزل!

و(الهيم) جمع (أهيم) و(هَيْماء) الأول للمذكر والثاني للمؤنث[3]، أي الجَمَل والنّاقة، وذلك عندما يصاب أحدهما بداء الهيام الذي هو نوع من الإستسقاء.

ب ـ الآيات (٦٢ إلى ٦٨) من (الصّافات):

وفي هذه الآيات بعد أن يذكر سبحانه طرفاً من حال أهل التقوى في الجنّة، يقول:

أذلك التكريم المعنوي والمادّي، خير من حيث الضيافة، أم شجرة الزقوم ـ التي يُجعل ثمرها: أَوّل طعام للضيوف الثقلاء النازلين على جهنّم! ـ؟!

ثم يقول سبحانه مُعرِّفاً بالزقوم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ أي: إنّا جعلنا شجرة الزقوم ـ التي يُنْبِتُها الله في وسط جهنّم ـ ابتلاءً للظالمين، هل يؤمنون بها أم لا؟! ويقولون: كيف تنبت الشجرة وسط النار؟!، أو المقصود بالآية: إنا جعلنا ثمرة شجرة الزقوم، وسيلة محنة وعذاب وتعذيب للكفرة الظالمين.

ثم يوضح جلّ شأنه بعضَ أحوال شجرة الزقوم، بأنها شجرة تَنْبُتُ في قعر الجحيم، وأنّ ثمرها يشبه في البشاعة والقبح، رؤوسَ الشياطين ـ التي يتخيّلها الناسُ بأقبح الصور ـ.

---

(١) الهُيام: أَشدُّ العطش، وهيم: قومٌ عِطاش، والهيام الإبل العِطاش، الواحد هَيْمان والواحدة: هيمى، مختار الصحاح ص٦٠٥.

(٢) المعجم الوسيط، ص٩١٥.

(٣) وهذا ما يقوله (المعجم الوسيط) ص١٠٠٤.

ـم يذكر سبحانه أن الكفّار سيأكلون منها حتى التُّخْمة وامتلاء البطون ـ وذلك من جرّاء شدّة الجوع، وليس بسبب اشتهائهم لها! ـ

ثم يبيِّن سبحانه أن الكفّار بعد أن يملؤون بطونَهم، من ثمر تلك الشجرة النارية المرّة الخبيثة، ويُحَشُّوها منه، يشربون بعد ذلك شراباً يمزج به الماء المَغْليُّ ـ والظاهر أن الشراب هو القَيْحُ والصّديد ـ، وبعد ذلك كله وفي نهاية المطاف، وتناول الطعام والشراب! يُعادون إلى وسط النار المتأجِّجة، وهكذا دواليك!

ج ـ الآيات (٣٩ إلى ٤٣) من (الدخان):

وفي هذه الآيات يبيِّن الله تعالى بعض أوصاف أخرى لشجرة الزقوم التي سماها سبحانه بـ(الشجرة الملعونة) وربما سبب هذه التسمية، هو أنه لا يأكل منها إلّا الكَفَرةُ الملاعين من الجن والإنس، فيقول سبحانه:

إنَّ شجرة الزقوم (أي ثمرها) طعام كل إنسانٍ، أَو جِنِّي كثير الإثم، لأنَّ (أثيم) صيغة مبالغة من (آثِمْ).

ـم يُشَبِّهُ سبحانه ثَمَرَها في حرارته البالغة بالمَعْدِن المذاب، خصوصاً النُّحاس، ويقول بأنّه حتى بعد ازدراد آكـهِ لَهُ، يَغْلي في بطنه، كغليان الماء الحارّ!

هذا بالنسبة للنّوع الأول من طعام أهل النّار (الزقّوم).

٢ ـ الضريع:

لم يذكر سبحانه (الضَّريع) إلّا في موضعٍ واحد من كتابِهِ الحكيم، وذلك في الآيتين (٦، ٧) من (الغاشية)، ووصفَه الجبّار الحكيم جلَّ وعلا بقوله: ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾، إذن: فهو ليس طعاماً بمعناه الحقيقي، وأي طعامٍ هذا الذي لا يُنْبِت اللّحم، بل ولا يدفع حتّى حرَّ الجوع؟!

٣ ـ الغِسْلين:

وكذلك (الغسلين) لم يذكر إلّا في موضع واحدٍ في كتاب الله، وهو الآيتان (٣٦، ٣٧) من (الحاقة) ووصفه سبحانه بأنه: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

والغسلين وإن كان سائلاً، ولكن استعمل له لفظ الأكل، باعتبار المفهوم العام للأكل الشامل، لكل ما يُدْخِلُه الإنسانُ في معدته سائلاً أو جامداً.

والملاحظ أن الله تعالى حصر طعام الكفّار وأكلهم، في كل من الآية (٦) من (الغاشية)، والآية (٣٦) من (الحاقة) في (الضّريع) و(الغسلين) مع أنه ذكر في آيات أخرى: أنهم يتزقّمون الزقّوم أيضاً!

وتفسير هذا هو ـ حسبما أرى والله هو العليم الحكيم ـ:

أنَّ المقصود بالطّعام المستَثْنى منه المذكور في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ هو الطعام الحقيقي المفيد للجسم، ويكون الإستثناء حينئذٍ، من نوع الإستثناءِ المنقطع الذي يتغاير فيه (المُسْتَثْنَى) و(المستثنى منه)، وبالتالي يكون المقصود في الآيتين الكريمتين: نفي تناولِ الكفّار طعاماً مفيداً، ولَيْس نفي أكل غير (الضّريع) أو غير (غسلين)، لِذا لا يمكن أن يفهم من الآيتين، بأن الكفّار لا يأكلون الزقّوم وغيره.

وزيادة في الإيضاح نقول:

تكونُ مُحَصِّلةُ معنى الآيتين، هكذا:

لا يأكل الكفّار الجهنّميّون أيَّ طعامٍ يفيدهم، بحيث يُنْبِتُ فيهم اللّحْم ويدفع عنهم سَوْرَةَ الجوع، بل يأكلون ما يضرّهم ويؤذيهم فحسب، ومنه الضّريع وغسلين.

ثم بما أن الزقّوم، أو أيَّ أكْلٍ وشربٍ جهنّميّ آخر، مثله كمثل الضّريع وغِسْلين، يَضُرُّ الجسم ولا يفيده، لِذا لا يتنافى وجوده مع وجودهما، لأن الكلّ من جنسٍ واحد، والكل خارجٌ عن دائرة مفهوم (الطّعام).



١٢)) أهل النّار توضع الأغلال في أعناقهم، والأنكال في أرجلهم يُقَيّدون بالسّلاسِل:

كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان].

٢. ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل].

٣. ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة].

(الأغْلال) جمع (غُلّ)[١]، وهو القيد العظيم الذي يوضع في العنق وتجمع معه فيه اليدان، بحيث لا يتمكن الإنسان معه من تحريك يديه، أو رأسه نحو الأسفل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس]، يقال أَقْمَحَهُ الغُلُّ، أي: جعل رأسه مرفوعاً لا يستطيع أن يُطأطِئَهُ[٢].

و(الأنكال) جمع (نِكْل) وهو القيد[٣] الذي تُكَبّل به الرِّجلان.

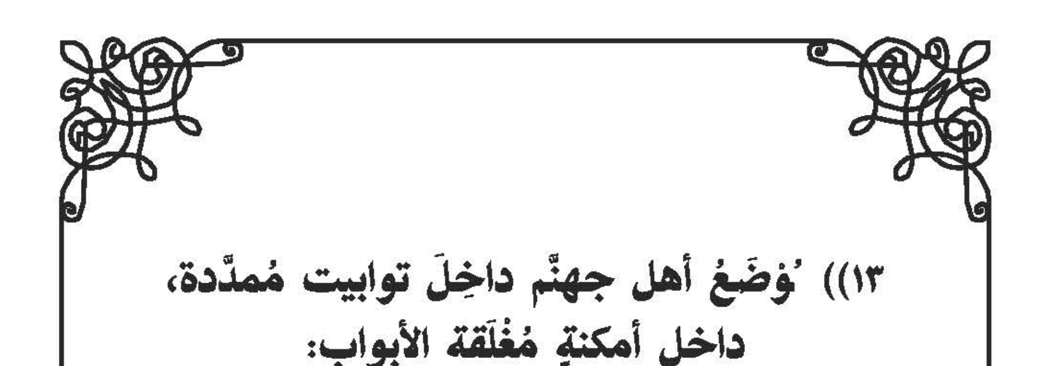
(١) مختار الصحاح ص ٤١٩، لفظ: غ ل ل.
(٢) مختار الصحاح ص ٤٧٧، لفظ: ق م ح.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٨٤، لفظ: ن ك ل.

و(السلاسل) جمع (سلسلة) وهي سلسلة الحديد المكوَّنة من حلقات مشدودة بعضها إلى بعضٍ.

والكفّار الجهنّميّون، تُغَلُّ أيدهم إلى أَعناقهم بالأغلال، وتكبَّل أرجلهم بالأنكال، ثم تُلَفُّ حولهم السلاسل الطويلة، كما قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة]، والمقصود بالآية الأخيرة هو: لُفّوا حوله سلسلةً، طولُها سبعون ذراعاً، وإنما قال تعالى: فاَسلكوه، أي أَدخلوا الكافر في السِّلسلة، لأن السلسلة تُلَفُّ عليه بشِدَّة، ثم هي طويلة تشتمل على جسمه كلِّه، وبالتالي يُصْبِح الكافر وكأنه أُقْحِم إقحاماً في قالبِ حديدي، أو كأنه سِلْك وخَيْطٌ أُدْخِلَ في ثقب الخرزات بقوّة وعُسْرٍ.







١٣)) وُضَعُ أهل جهنّم داخِلَ توابيت مُمدّدة، داخل أمكنةٍ مُغلَقة الأبواب:

كما قال تعالى:

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة].

﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي مُغْلقة ومُطْبَقة[1]، يقال أوصدت الباب أي: أَغْلَقْتُه، والظاهر أنَّ الضَّمير في (إنها) راجع إلى الأمكنة والغرف التي توضع فيها التوابيت (العَمَد)، وهذا معلومٌ من السياق، وإنْ لم تكن تلك الأماكن والغرف مذكورة من قبل، كما قال تعالى: في موضع آخر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل]، والضمير راجع إلى الأرض، مع أنها لَمْ تذكر من قبل.

و﴿عَمَدٍ﴾ جمع (عمود) أو (عماد)، والظاهر أن المقصود بها التوابيت الحديدية، والتي يُجْعَل في كل منها أحد الكفّار، ويكون المَعنى هكذا:

إن الأماكن التي يُحْبَس فيها أولئك الكفّار، أبوابها مُغْلَقةٌ عليهم، وهم يكونون داخل توابيت مُمَدَّدة.

وقد فسَّر بعض المفسِّرين (العَمَد الممدَّدة) هنا بأنَّ المقصود بها الأوتاد

---

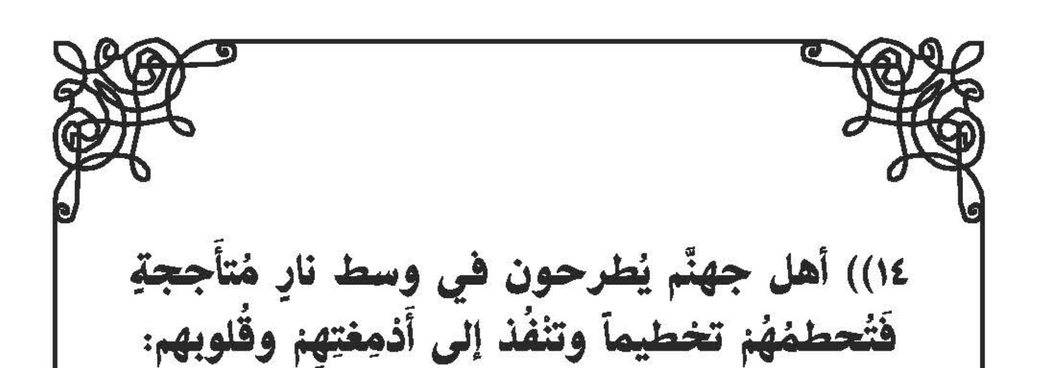
(١) مختار الصحاح، ص٦٢١، لفظ: و ص د.

التي تُغْلَق وتُسْنَدُ بها الأبواب[1]، ولكن أرى هذا المعنى غير مستقيم، إلّا إذا قلنا بأن ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ هو بمعنى (بـ)! وهذا بعيدٌ ومخالِفٌ للظاهر المعروف في معناه.





(١) أنظر مثلاً: (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص٨٢٤.



١٤)) أهل جهنّم يُطرحون في وسط نارٍ مُتأَججةٍ فَتُحطمُهُمْ تخطيماً وتنفُذ إلى أَدمِغتِهِمْ وقُلوبهم:

كما قال تعالى:

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة].

﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ صيغة مبالغة على وزن (فُعَلة) كَصُرَعَة، من الحَطْم وهو الكَسْر والهَشْمُ الشديد، و﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾) جمع (فؤاد) وهو اسم للعقل في غالب استعمالاته في كتاب الله، وقد يستعمل بمعنى القلب، ومن الواضح أن الدماغ الذي هو مركز العقل، والقَلْبَ الذي هو مركز الإرادة، هما ألطف ما في الجسم البشري وأكثرهما تأثيراً في إيذائه، ومن ثَمَّ فوصول النار المحطِّمة ونفوذها إليهما، يجعل الإنسان في أشد الآلام.

والظاهر أن المقصود بقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ هو: أن نار جهنّم نارٌ مخصوصةٌ، وليست مثل نار الدنيا، بل يُوقِدُها الله تعالى خِصِّيصاً لتعذيب الكفّار بها، وقد بيَّن لنا نبيُّنا ﷺ بأنها أَحرُّ من نار الدنيا بِتسع وستين ضِعْفاً، كما رواه البخاري رحمه الله (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ناركم جُزءٌ من سبعين جُزءاً من نار جهنَّم...»** (رواه البخاري، برقم: (٣٢٦٥)).

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



١٥)) يعيش أهل جهنّم وَسط ريحٍ شديدةِ الحرارة، وماءٍ مَغْليّ، وظِلّ من دُخانٍ كثيف خانِقٍ حارّ:

كما قال تعالى:

١. ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة].

٢. ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المرسلات].

إذْ يبيِّن سبحانه في آيات (الواقعة) بأن الكفّار الّذين يُعْطَوْن كُتُبَهم بيدهم اليُسْرى (الشمال) يكونون وسط سموم وحميم وظلّ من يحموم، والسّموم هو الريح الحارّة[1] التي تدخل مَسامَّ الجلد وتؤثر فيه تأثير السُّمّ، والحميم هو الماء المَغْلِيُّ الذي بلغ أقصى حرارته[2]، والمقصود بـ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾﴾ أي ظِلّ من دخانٍ أسود كثيف، لأن يحموم، هو الأسود الشديد السواد، وهو من (أحمّ) أو (حَمَمْ) وهما الأسود من كل شيء[3].

ثم يصف سبحانه ذلك الدُّخان الأسود الذي بسبب كثافته وشدَّة سواده

(١) مختار الصحاح، ص ٢٨٢، لفظ: س م م.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩، لفظ: ح م م.
(٣) المصدر نفسه ص١٥٠، لفظ: ح م ي.

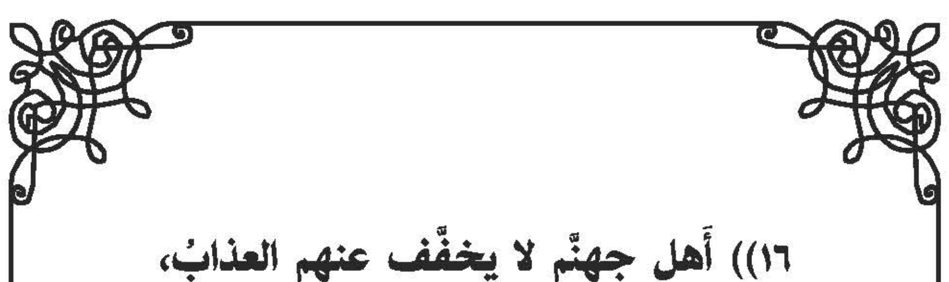
وتراكمه يشبه الظلّ، بأنه: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ فينفي عنه سبحانه كلا الخيرين: المادّي والمعنوي، إذ إنما يَسْتَظِلُّ الإنسان بالظل، راحةً لبدنه وكرامةً لنفسه، وذلك الدخان الأسود المتراكم خالٍ من كليهما!

وفي آيات (المرسلات) يخاطب الله العزيز الحكيم سبحانه وتعالى الكفّار النازلين في جهنّم، بقوله: إذهبوا بسرعة إلى العذاب الذي كنتم تكذِّبون به في الدنيا، إسْرعوا إلى ظِل مُتشعِّبٍ إلى ثلاثة أقسام، ولكن هذا الظل بخلاف كل الظلال، لَيْس مُظَلِّلاً وكذلك لا يُجْدي المُسْتظِلَّ به من لهب النار وألسنتها! ثم يصف سبحانه نارَ جهنَّم التي يتصاعد منها ذلك الدخان الذي يشبه الظلّ لسواده وكثافته وتراكمه، بقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾، أي: إنها تَقْذِفُ بِقطعٍ من النار ـ لأنَّ (شرَرَ)[1] جمع (شرَرة) وهي قطعة النار المنفصلة عنها ـ كل منها كالقصر والبناء العالي في الضَّخامة، وأما من حيث تتابعها وسرعة حركتها، فهي تُشْبِهُ قطيع الإبل السُّود.

و﴿جِمَٰلَتٌ﴾ جمع (جَمَل)[2] و﴿صُفْرٌ﴾ جمع (أصفر) لكن هنا يقصد به (السُّود) لأن الإبل السُّود يميل سوادها إلى الصفرة، أو هكذا جرت عادَةُ العرب في وصفها.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص٢٩٨، لفظ: ش ر ر.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٠، لفظ: ج م ل.



١٦)) أَهل جهنَّم لا يخفَّف عنهم العذابُ، لَيس هذا فَحَسبُ، بَل ويَشتدُّ عليهم باستمرار:

كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف].

٢. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

٣. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

٤. ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

٥. ﴿... مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

دلالة هذه الآيات على عدم تخفيف العذاب عن الكفّار في جهنَّم بل زيادته باستمرار، جليَّة وغنية عن الإيضاح، إذ يُعْلِنُ فيها ربّ العزة سبحانه:

١ ـ أنهم لا يسكن عذابهم أبداً، إذ الفُتُور هو السكون بعد الحدّة والتخفيف بعد الشدّة.

٢ ـ وأنهم لا يخفَّفُ عنهم ولو قليلاً منه.

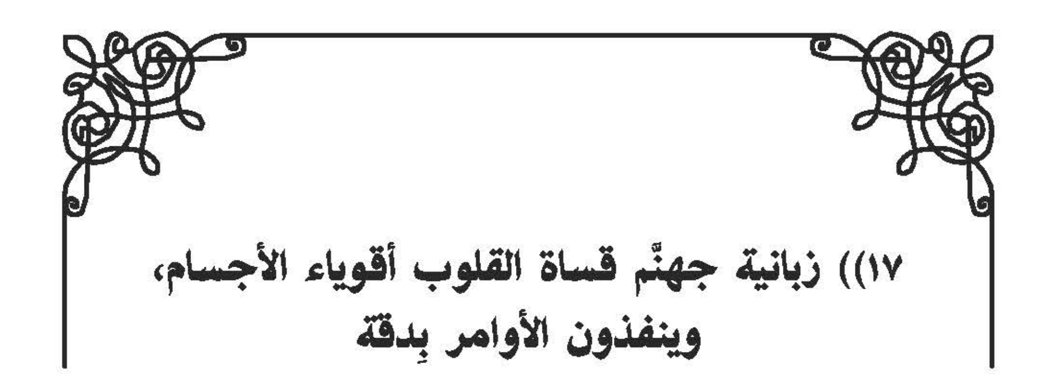
٣ ـ وأنهم لا يقطع عنهم العذاب، حتى ولو ليوم واحد.

٤ ـ وأن الله تعالى ـ أو ملائكته ـ يقول لهم وهم في جهنَّم: ذوقوه وإنْ زِدْناكم شيئاً، فهو المزيد من العذاب لا غير.

٥ ـ وأنهم كلّما سكنتِ النارُ التي تُسَلَّطُ عليهم، أُججَتْ ثانيةً وثالثةً...إلِخ، حتى لا تزالَ مُشْتَعِلةً ومتأجِّجةً بتصاعد مطَّرد.







١٧)) زبانية جهنّم قساة القلوب أقوياء الأجسام، وينفذون الأوامر بِدقة

كما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

والملائكة المشرفون على التعذيب في جهنّم يُسمون (زبانية) بدليل قوله تعالى:

﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق]، وعددهم تسعة عشر ملكاً، كما قال تعالى:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ [المدثر].

وأما كيف يتمكن أولئك التسعة عشر، من الإشراف على كل الكفّار والعصاة المعذّبين الذين لا يعلم عددهم إلّا الله؟!

فالجواب:

إنّ أمور الآخرة، مما لا نتمكّن من تصوّرها في هذه النشأة، وهي من

الأمور الغيبية المتشابهة التي لا تعرف على حقيقتها إلّا بعد مجيء تأويلها أي تَحَقُّقِها.

وقد يكون أولئك التسعة عشر، مسؤولي إدارة أمور جهنّم وتعذيب الكافرين فيها، ويكون تحت إمرتهم جنود من الملائكة الآخرين.

وكلمة ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ إمّا اسم جمع، أو جَمْعُ (زَبْنَة) من (زَبَنَ) أي دَفعَ، لأنهم يدفعون الجهنّميين بِشدة[1]، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور]، أي: يُدْفعون دَفعاً شديداً وبِجَفوةٍ، من (دَعَّ يَدُع دعّاً)[2].

وإنما علمنا قَسْوَة قلوبِ زبانية جَهنّم، وشدّة أجسامهم وقُوَّتَها، من قوله تعالى: ﴿...عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: لأن ﴿غِلَاظٌ﴾ جمع (غليظ) وهو ذو القلب القاسي، و﴿شِدَادٌ﴾ جمع (شديد) وهو القويّ المتين البنية.

وأما دقتهم في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهم، فَمُصرَّح بها في قوله تعالى: ﴿...لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

ومن الجليّ أنه كلّما كان المعذِّب والجلّاد، أقسى قَلْباً، وأبلد شعوراً، وأقوى بنيةً، كان التعذيب أدهى وأفظع، ومَن ابتُلي بِشيء من تعذيب ذلك النوع من الجلّادين، يعرف ذلك حق اليقين، ولكن شتّان بين إيذاء المخلوقين وفتنتهم، وعذاب ربّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) مختار الصحاح ص٢٤٤، لفظ: ز ب ن.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩١، لفظ: د ع ع.



١٨)) أهل جهنّم يأتيهم الموت من كل الجهات، ولكنهم لا يموتون، ويتمنّونه ويُطالِبون به بإلحاحٍ، ولكنهم لا يَحظَوْن به:

كما قال تعالى:

١. ﴿... وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

٢. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

٣. ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ].

٤. ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

٥. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

أما أنَّ الكافر الجهنَّميَّ، يَهْجُمُ عليه الموتُ من كل الجهات، فمصرَّح به في الآية (١٧) من (إبراهيم) وقد يكون المقصود بكون الكافر يأتيه الموت من كل مكانٍ، هو: أن كل عضوٍ من أعضائه يكون

فيه من الألم والأذى، ما يكفي لموته، لو كان ثمة موت، فكيف بجميعها!

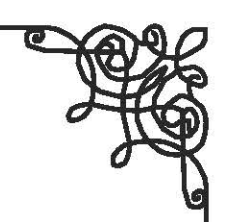
وأما عدم نيل الكافرِ المُعَذَّبِ، الموتَ في جهنَّم، فمصرَّحٌ به في كل من الآية (٣٦) من (فاطر) والآية (٧٤) من (طه)، وكذلك الآية (١٣) من (الأعلى): ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى].

وأمّا تَمَنّي الكافر الموت، فَبيَّنته الآية (٤٠) من (النّبأ)، وكذلك مطالبته به بإلحاحٍ، بيَّنَتْها الآية (٧٧) من (الزخرف) إذ يَلْتمسون من (مالك) مسؤول خزنة جهنّم، أن يطلب من ربِّه عزَّ وجلّ كي يُميتهم ويُريحهم من العذاب، ولكنه يجيبهم ببرودة وإيجاز بقوله: ﴿... إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]!

هذا وقد يتعرَّض الإنسان لبعض أنواع الأذى والتعذيب بيد المخلوقين، فيتمنّى معه الموتَ، ويطلبه من صميم قَلْبه! إذاً: فما بال مَنْ يُعَرِّض نَفْسَه لعذاب الله الجبّار الحكيم القائل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ [الفجر]!!.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





١٩)) أهل النّار يسألون الله تعالى أن يُعيدهم إلى الدنيا، أو حياة إبتلائية أُخرى كي يتداركوا ما فاتهم، ولكنهم لا يُجابون إلى طلبهم، ويُوَبّخون أشدَّ التوبيخ:

كما قال تعالى:

١. ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر].

٢. ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام].

٣. ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ [الأعراف].

٤. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون].

ونُلَخِّصُ ما تدلّ عليه هذه الآيات حول موقف الكفّار المذكور، في البنود الخمسة الآتية:

١ ـ الصُّراخ والصِّياح، عند تقديم وعرض مطالبتهم بالخروج من النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ والإصطراخ افتعالٌ من الصّراخ، وهو الصياح والعياط الشديد في حالة الإستغاثة[1].

٢ ـ الوعد مع الله تعالى، بأن يعملوا صالحاً إذا ما ردَّهم إلى الحياة الدنيا مرة أخرى: ﴿...نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

٣ ـ الإعتراف بِشقائهم وضلالهم: ﴿...رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ والشّقوة مصدر مثل الشقاء، من: (شَقِيَ يَشْقى شقاءً وشِقْوة)[2]، ومقصودهم: قهرتنا شهواتنا وأهواؤنا التي أَدَّت بنا إلى الشقاء.

٤ ـ الإقرار بأن رُسُل الله الكرام عليهم السّلام، قد كانوا جاؤوهم بالحق في الدنيا: ﴿...قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

٥ ـ تمنّي العودة إلى الدنيا، والوعد بعدم التكذيب بآيات الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾، وهذا المعنى للآية إنما يستقيم، إذا قرئت كلٌّ من: (نُكذِّبُ) (نكونُ) بالضمِّ وهي قراءة سبعية صحيحة.

---

(١) مختار الصحاح، ص٣٢٠، لفظ: ص ر خ.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠٦، ش ق ا، والشقاوة ضدّ السّعادة.

ونُلخِّصُ الإجابة الربانية الحكيمة على طلب الكفّار المذكور، في البنود التسعة الآتية أيضاً:

١) أولم نُعْطِكم من الحياة مدةً يمكنكم التذكّر فيها؟! ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ...﴾.

ومعنى هذه الجملة المباركة: أَنّنا قد امتحنّاكم ومكنّاكم من الإجابة، وقد ذهب الوقتُ المقرَّرُ المحدَّدُ للإمتحان، لِذا فطلبكم غيْر معقولٍ.

٢) أولم يَجِئكُمْ نذيرٌ ينذركم من هذه العاقبة؟! ﴿... وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ والهمزة للإستفهام الإنكاري، وبنا عليه: فالكلام المبارك يَحْمِلُ جوابَهُ في طيّاته.

٣) لِذا فلم يكن لكُفركُمْ أيُّ مبرِّر أو عذر، بل كنتم ظالمين، فذوقوا ما تَستحقّونه: ﴿... فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

٤و٥و٦) بيان: أن الكفّار في الآخرة تجلّت لهم الحقائق التي كانوا يتعمّدون إخفاءها في الدنيا، وأَنّهم لو أعيدوا - على سبيل الفرض - إلى الحياة الدنيا ثانية، لكرّروا تجربَتَهُم السابقة نفسها، وأنهم كاذبون في وعدهم: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٧و٨) إعلانٌ: أن الكفّار قد أضاعوا أنفسَهُم، بإضاعَتهم فرصة الحياة الدنيا، وأنهم قدْ فقدوا ما كانوا يتوهّمونهم شركاءَ لله تعالى: ﴿... قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

٩) توبيخُ الله تعالى وزَجْرُه الكفّار، توبيخاً شديداً مَشْفوعاً بالإهانة، بسبب طلبهم المذكور: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾، وجديرٌ بالذكر أن كلمة (إِخْسَأْ) تستعمل لزجر الكلب[1]، لِذا فهي تتضمّن

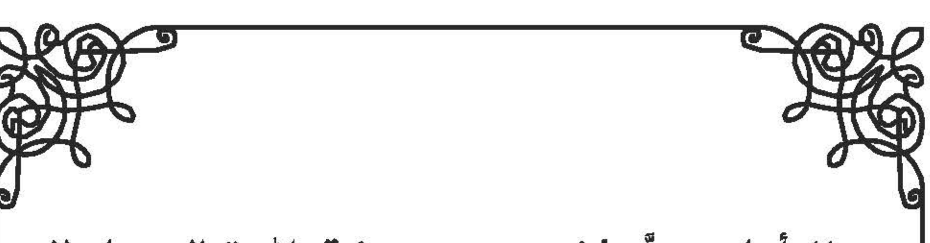
---

(١) المصدر السابق، ص١٦٥، لفظ: خ س أ، ويأتي (خَسَأَ) بمعنى: بَعُدَ وذَلَّ، وكلَّ وأعيا، كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك].

أشدَّ أنواع الإهانة، وهي الكلمة الوحيدة من نوعها، ولم ترِدْ إلّا في هذا الموضع من كتاب الله الكريم.







٢٠)) أهل جهنّم يُحجَبون من رؤية الله تعالى، بل لا ينظر الله تعالى إليهم أصلاً، ولا يكلمهم ولا يزكيهم:

كما قال تعالى:

١. ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦﴾ [المطففين].

٢. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ [آل عمران].

وحَجْبُ الكفّار الجهنّميين عن النظر إلى وجه رَبِّهم الكريم العظيم تبارك وتعالى، مُصَرَّحٌ به في الآية (١٥) من (المطففين)، والملاحظ أن الله تعالى ذكر صَليهم في الجحيم، بعد ذكر كونهم مَحجوبين عن لقاء الله ورؤيته، للتنبيه على أن عذاب حِرْمانهم من لقاء الله، وحَجْبِهم عن رؤيته، أَشَدُّ وأقسى عليهم من دخولهم النّار وشيِّهم فيها!

وعدم كلامه سبحانه معهم وعدم نظره إليهم ـ نظر رحمةٍ ولطفٍ وعدم تزكيته إيّاهم ـ كلّها مصرّح بها في الآية (٧٧) من (آل عمران).





٢١) يَلْعَنُ الله الكُفار ويُخلِّدهم في جهنم، ويُظْهرون الندَمَ على عدم طاعتهم لله، وعلى طاعتهم لسادتهم السياسيِّين وكبرائهم الإجتماعيين، وتقليدهم لهم:

كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

بيَّن الله الحكيم جلّ شأنه في هذه الآيات الحقائق الثماني الآتية:

١ ـ أنه سبحانه أبعد الكفّار من رحمته، ساخطاً عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

٢ ـ وأنه هيّأ لهم نارَ جهنّم المُتأجّجة المُستَعِرَة: ﴿... وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾.

٣ ـ وأن الكفّار سيَبقون ويمكثون في جهنّم أبداً سَرْمداً: ﴿... خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

والملاحظ أن الله تعالى قلّما ذكر دخول الكفّار نار جهنّم، إلّا وذكر معه (الخلود)، والخلودُ هو المكث الطويل من دون تحديد[1]، ولم يُذَيِّلِ

(١) المصدر السابق، ص١٧٣، لفظ: خ ل د.

خلود الكفّار في جهنّم بِكلمة (أبداً) الدالّة على المكث والبقاء اللاّنهائي، إلّا في هذه الآية (٦٣)، والآية (٢٣) من (الجن): ﴿...وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

٤ ـ وأن الكفّار المخلَّدين في نار جهنم، لا يَجدون أيَّ وَليّ يتولّاهم، وأيَّ ناصرٍ ينصرهم: ﴿... لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

٥ ـ وأنهم تُحَرَّفُ وجوهُهم في النّار، كي تحترق من جميع جوانبها: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾.

٦ ـ وأنهم يتأسّفون ويتحسّرون بسبب عدم إطاعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ ويتمنّون أن لو أطاعوهما: ﴿...يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

٧ ـ وأن الكفّار يُقِرُّون بأن سبب ضلالهم هو إطاعتهم لسادتهم وكبرائهم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

والظاهر أن المقصود بـ(سادتنا) وهو جمع (سيِّد)، هو قادتهم ومسؤولوهم السياسيون، كما أن المقصود بـ(كبرائنا) وهو جمع (كبير)، هو الوجهاء والرؤساء الإجتماعيون والفكريون والروحيون، وبما أن كلَّ (مُطاع) في غير طريق الله وعلى غير شرعه، يشمله مفهوم كلمة (الطاغوت)، لِذا نقول: المقصود بالسادة والكبراء هنا، هو الطواغيت.

٨ ـ وأخيراً يطلب الكفّار المخدوعون أو المأجورون، من الله تعالى أن يُضاعِف عذابَ رؤسائهم وطواغيتهم، وأن يَلْعَنهم لَعْناً كبيراً: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

والضِّعف هو المِثْل أو أكثر، والضِّعْفان هو المثلان أو أكثر[1]، إذا:

(١) مختار الصحاح، ص٣٣٨، لفظ: ض ع ف.

يُطالِبُ الأَتْباعُ المخدوعون والمأجورون، أن يُعذَّب سادَتُهم وكبراؤهم بمثْليْ عذابهم، أو أكثر!

هذا ويدلّ قول الكفّار: ﴿...رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ بعد قولهم: ﴿...يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، على أن إطاعة الله وإطاعة الرسول ﷺ تَتناقَضُ وتَتصادم مع إطاعة الطواغيت (وهم كلّ من لا يحكم بما أنزل الله تعالى، ويُلْزِمُ الناسَ بالأفكار والعادات والقيم والأنظمة الجاهلية)، إذن:

من أراد أن يطيع الله تعالى ويَتّبعَ رسوله ﷺ، فلا بُدّ له أولاً وقبل كل شيء، من أن يرفض الطاغوت ويَنْبُذَ أفكارَه وعاداته وقِيَمَهُ وأَنظمته، كما قال تعالى:

١. ﴿...فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٢. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

٣. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر].

أَجَلْ، لا يُعدُّ الإنسانُ مؤمناً، إلّا بعد كفره بالطاغوت ورَفضِه إيّاهُ، ولا يستطيع أن يعبد الله تعالى كما يُريدُهُ وأمر به سبحانه، حتى يجتنب الطاغوت ويبتعد عنه، وعن كل ما له به علاقة، وكذلك لا يستحق بشارة الله تعالى له، ولا يُحْسَبُ في عِدادِ المُنيبين إلى الله، حتى يتجنّب طاعة الطاغوت والخضوع له ـ لأن العبادة في أصل معناها هي: الخضوع والطاعة والإنقياد ـ.

وبناءً على ما مرَّ ذكره، نقول:

كل من شرَّع للناس نظاماً أو فكرةً أو مَسْلكاً، من غير أن يَسْتَنِدَ فيه

إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فهو معدوٌ من أولئك (السادة والكبراء) الذين يُضِلّون الناسَ عن سبيل الله، ويتسبَّبون في دخولهم جهنَّم!

وأختم الحديث عن جهنَّم وأهل جهنَّم بقولي:

١) إن من يتأمَّل ما ذكره الله الحكيم الجبّار جلّ شأنه، عن جهنَّم وما فيها من صنوف العذاب في كتابه المبين، ثم يملك ولو شيئاً من الإيمان، لا جَرَمَ أن إيمانَه هذا سَيَحْجِزُهُ عن محارم الله تعالى وسَيَزَعُه عن معاصيه ومَساخِطِه، وسيجعله مطيعاً قانتاً خاشعاً له سبحانه، ومُلْتزِماً بشرعه، على قَدَر إيمانه وبحسب درجته فيه.

٢) وقد يثور تساؤل في ذهن بعض النّاس، بعد تأمُّلهم في تلك الآيات التي تذكر كلَّ تلك الأساليب والأشكال المتعدّدة المُرْعِبة المُرْهِبة التي أعدَّها الله العزيز الحكيم من العذاب في جهنَّم لكفّار، والتي تَقْشَعِرُ الجلودُ وتهتزُّ الأبدانُ لمجرّد سماعها! ومَفادُ ذلك التساؤل:

هل يتناسب ذلك العذابُ اللاّنهائي المُتَعَدِّدُ الضروب والأشكال، مع كفر الكافرين ومَعاصيهم التي لم تستغرِقْ إلّا مدة قصيرة من الزمن، وهي سِني حياتهم الدنيوية؟!

والجواب:

نعم هو مُتَناسِبٌ ومتوافِقٌ تماماً، وكل من يُدْرِكُ عِظَمَ جريمةِ الكفر وشَناعَتَها، يستيقن أنَّ الله العزيز الحكيم حدَّد لها عقوبةً متكافئة متماثلة، وإدراك عِظَم الجريمة يجعل عِظَمَ عقوبتها مفهوماً.

وذلك لأن الله تعالى مطلق وغير متناهٍ في كل صفاته وشؤونه، فهو سبحانه له الحياة المطلقة، والعلم المطلق، والقدرة المطلقة، والرحمة اللاّمتناهية والحكمة اللاّمتناهية، والعلوّ والعظمة اللاّمتناهيان. . .إلخ.

إذن:

فالذي يكفر بالله سبحانه، يستحق من العقوبة والعذاب ما لا يتناهى،

ولَيْس له حدٌّ ولا غاية! وما ذكرناه من الجواب، أخذناه من منطوق هذه الآيات أو مفهومها:

١. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

٢. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء].

٣. ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء].

٤. ﴿. . .وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر].

٥. ﴿. . .وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام].

١ ـ ففي الآية (٢٦) من (النبأ) يبيِّن الله تعالى أنَّ العذاب الذي يُعذَّب به الكفّار، هو متوافق مع ما ارتكبوه من كفرٍ ومعاصٍ.

٢ ـ وفي الآية (٤٠) من (النِّساء) يُعْلِنُ الله تبارك وتعالى أنه لا يَظْلِم ـ في العقوبة ـ حتى مقدارَ ثِقَلِ نملةٍ صغيرة، أو هباءة حقيرة، وفي الإثابة يُضاعف الأجر أضعافاً كثيرة.

٣ ـ وفي الآية (١٤٧) من (النِّساء) يخاطب الله الكريم الناسَ جميعاً أو الكفّار منهم خصوصاً، فيقول مُسْتَفْهِماً مُسْتنكِراً: ما الذي يريده الله بعذابكم إذا ما شكرتموه وآمنتم به، والله تعالى شاكرٌ لمساعي عباده وعليم بهم؟! إذن: فتعذيب الله الكفّار في جهنَّم، إنما هو عقوبة عادلةٌ، وجزاءٌ وفاق اقتضاه كفرانهم وكفرُهم.

٤ ـ وفي الآيتين (٦٩، ٧٠) من (الزمر) يخبر سبحانه وتعالى بأنه سَيَقْضي ويَحْكُم[١] بين العباد بالحق الربّاني المطلق ولا يُظْلَمُ أحدٌ شيئاً، وبأنه يُعْطى كلٌّ منهم كامِلَ حقِّه، وجزائه العدل حسب عمله، ثم يُعْلِنُ سُبْحانه بأنه هو أعلم من العباد أنفسهم بأعمالهم.

٥ ـ وفي الآية (٢٨) من (الأنعام) يُبيِّن الله تعالى بأن الكفّار لو أنهم ـ على سبيل الفرض ـ رُدُّوا من الآخرة إلى الدنيا وامْتُحِنوا مَرة أخرى، لكرَّروا تجربتهم السابقة نفسها، فهم كاذبون في وعدهم مع الله تعالى، بأنه لو أعادهم إلى الدنيا لغَيّروا حالَهم، ولاتَّجهوا اتجاهاً آخر، ولآمنوا بالله تعالى وأطاعوه!

وأقول:

لو سئل أي كافرٍ مُجْرِم عمّا هو عاقدٌ عليه عَزْمَهُ، فيما لو عاش أبداً، وهل سيَظلُّ مُتَمسّكاً بكفره أم لا؟! لقال: نعم سأظلّ متمسّكاً بِهِ ولا أَدَعُه أبداً، لِذا يُعاقبه الله العزيز الحكيم حسب عمله، ومن المعلوم أن عَزْم القلب وتصميمَهُ، هو أساس العمل الظاهري، إذْ أعمال القلب هي جذور أعمال الجوارح.

وبهذا نختم هذا الفصل الخامس، وننتقل إلى الفصل السادس بتوفيق الله الوهاب.



(١) وإنما ذكره سبحانه بصيغة الماضي لكون تحقُّقِهِ مُتيَقَّناً.


MediaAmeerOffice
AliBapirw/عەلی باپیر
archive.org/details/@alibapir
AliBapir
Google Play
App Store
لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir1
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir / عەلی باپیر
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



الفصل السادس

الجنَّة وما فيها من النَّعيم المقيم


لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
English - عربي - کوردی
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



وَصَفَ الله تبارك وتعالى الجنَّة وما فيها من التكريم والنَّعيم، في آيات كثيرة جداً، يَصْعُبُ الإستشهاد بها كلِّها، لِذا نكتفي منها بالأمثلة الآتية التي سَنُورِدُها حسب ترتيب السّور المباركة الواردة فيها:

١. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

٢. ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

٣. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء].

٤. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

٥. ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد].

٦. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

٧. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

٨. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج].

٩. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

١٠. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

١١. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر].

١٢. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ

(٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ [الزخرف].

١٣. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤)﴾ [الطور].

١٤. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ [الرحمن].

١٥. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (٤٠)﴾ [الواقعة].

١٦. ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣)﴾ [القيامة].

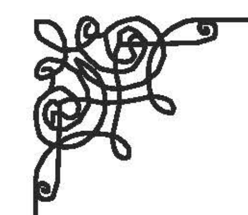
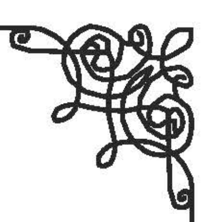
١٧. ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) . . . فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥) قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)﴾ [الإنسان].

١٨. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٨)﴾ [البينة].

ونحاول استعراضَ ما تدلُّ عليه هذه الآيات، من أوصاف الجنَّة وأحوال أهلها المُتَنَعِّمين فيها، في المباحث الخمسة والعشرين الآتية، متوخِّين الإِختصار:





المبحث الأول

الجنة واسعة كأوسع ما يُتَصوّر، ومكوّناتها الأساسية: البساتين الوارفة، والأنهار الجارية، والقصور العوالي

كما قال تعالى:

١. ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

٢. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

٣. ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر].

١ ـ أما كون الجنة واسعة كأوسع ما يكون، وكأوسع ما يتصور، فتدلّ عليه الآية (٢١) من (الحديد)، وكذلك الآية (١٣٣) من (آل عمران) حيث يبيِّن الله تعالى فيهما أن عرض الجنّة ـ والعَرْض والعُرْض ما يقابل الطُّول في المِساحات[١] ـ مثل عرض السموات والأرض

(١) أنظر: مختار الصحاح، ص٣٧٤، لفظ: ع ر ض.

كليهما، وإنما ذكر سبحانه العَرْضَ، لأنه عادة يكون عرض الشيء أقَل من طوله، لِذا: فإذا كان عرض الجنة يبلغ عرض السماء والأرض، فما بالك بطولها؟!

٢ ـ وأما أن المكونات الأساسية للجنّة، هي:

أ) البساتين الوارفة.

ب) والأنهار الجارية.

ج) والقصور العَوالي والغُرَف العلالي[١].

فلأنه قلّما ذكر الله تعالى الجنّة إلّا بتعبير: ﴿...جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾) والجنّة هي البستان والحديقة الكثيفة الأشجار، والمُلْتَفَّةُ الأغصان، والوارفة الظِلال، وإنما سُمِّيت الجنةُ جنّةً، لأنها تَجُنُّ وتستر ما تحتها بسبب تكاثف أشجارها، والتفاف بعضها ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾ [النبأ].

والأنهار جمع (نهر)، وذكر الأنهار وصفٌ ملازم للجنة والجنات، قَلَّما انفك عنها في كتاب الله الحكيم.

والقصور العوالي ـ المكوّن الأساسيّ الثالث للجنة ـ كذلك تكرّر ذكرها في كتاب الله، ولكن ليس بهذا اللّفظ، بل بالألفاظ الآتية التي تؤدّي المعنى نفسه:

أ ـ (غرف مبنية من فوقها غرف): الآية (٢٠) من (الزّمر).

ب ـ (الغرفة): الآية (٧٥) من (الفرقان).

ج ـ (غُرَفاً): الآية (٥٨) من (العنكبوت).

د ـ (قصوراً): الآية (١٠) من (الفرقان).

---

(١) العَلاليُّ جمع العُلّيَّة: الغرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها. المعجم الوسيط، ص٦٢٥.

هـ ـ (مساكن طيِّبة): الآية (٧٢) من (التوبة)، والآية (١٢) من (الصف).

والغرفة وجمعها (غُرُفات) و(غُرَف)، هي المنزلُ الرَّفيع العالي[١].

وقد ذكر الله تعالى المكوِّنات الثلاثة الأساسية للجنّة، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

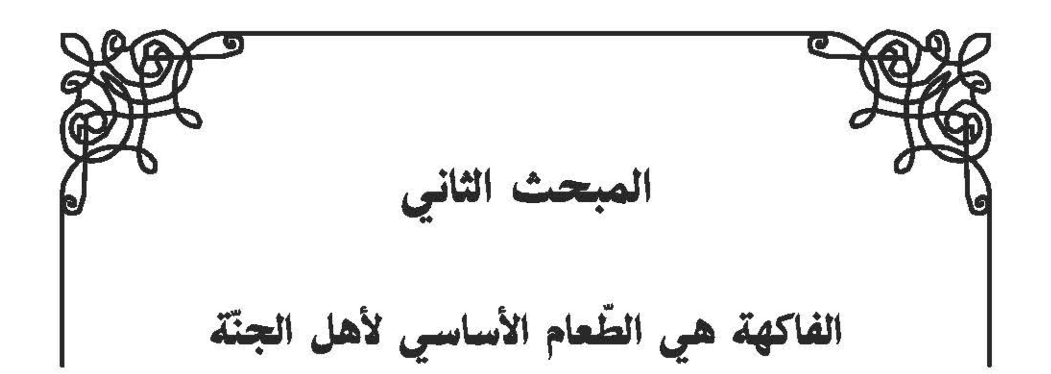
وجَليٌّ أنه لا تبتهج النفسُ وتفرَحُ بشيء، كما تبتهج وتفرح برؤية الماء والخضراء، وقد قيل في ذلك: ثلاث إنْ اجتمَعْنَ يُذْهِبْنَ الحَزَن: الماءُ والخضراءُ والوَجْهُ الحَسَن.

هذا وقد ذكر النبيُّ الخاتم ﷺ أن الجنّة لها ثمانية أبوابٍ، كما رواه البخاري وهذا هو نص الحديث: «**في الجنّة ثمانية أبواب فيها بابٌ يُسَمَّى الريّان، لا يَدخلُهُ إلّا الصّائمون**»، (صحيح البخاري)، رقم: ٣٢٥٧.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



(١) مختار الصحاح، ص٤١٣، لفظ: غ ر ف.



المبحث الثاني

الفاكهة هي الطّعام الأساسي لأهل الجنّة

والدليل على هذا، هو أن الله تعالى أَكثَرَ من ذكر الفاكهة بوصفه طعاماً لأهل الجنة، وقلّما ذكر معها شيئاً آخر، كما نراه في هذه الآيات:

١. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

٢. ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف].

٣. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس].

٤. ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمٰن].

٥. ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمٰن].

٦. ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة].

٧. ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة].

٨. ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة].

٩. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان].

١٠. ﴿...وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وليس طعام أهل الجنّة مُنحصراً في الفاكهة، كما سنذكر لاحقاً، ولكن الفاكهة المُتَعدِّدة الأنواع، هي الطعامُ الأساسُ، كما هو واضح في الآيات التي استشهدنا بها.

والحكمة في هذا ـ كما أرى والله تعالى هو العليم الحكيم ـ هي:

أن الفاكهة إنما تُؤكَلُ بعد الشِّبَعِ، تَلَذُّذاً وليس لدفع الجوع، وبما أن الجنّة ليس فيها جوعٌ، لِذا جعل الطعامَ الأساسي فيها هو الفاكهة.

ثمانية أوصاف لفاكهة الجنة

وقد وصفت فاكهةُ الجنّة في كتاب الله بأوصاف كثيرة، وهذه ثمانية منها على سبيل المثال لا الحَصر:

١) **<u>إنها تُشبه فاكهة الدنيا:</u>**

كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿...وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة]، والدليل على أن المقصود بالتشابه هنا هو التشابه بين فاكهة الجنّة وفاكهة الدنيا، هو قول الله تعالى، قبل هذه الجملة في الآية نفسها:

﴿...كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة]، أي: هذا الرزق (والمقصود به الفاكهة) هو نفس ما أُعْطيناهُ في الدنيا.

ولعلّ الحكمة في تشابه فاكهتي الدنيا والآخرة، هي أن البشر بطبعهم ينفرون عمّا لم يألفوه، ولم يُجرِّبوه من الطعام أو الشراب.

ولكن هذا لا يعني أن الفاكهتين متشابهتان من حيث الطَّعم والنكهة، بَلْ كما قال: (عبد الله بن عباس) ﵄: **(لَيسَ فِي الجَنَّة شَيء مِمّا فِي الدّنيا إلاّ الأَسماء)** (أَخْرَجَهُ الضياء برقم: (٦)، والطبريُّ والترمذيُّ وَغيرهما عَنِ ابنِ عبّاسٍ مَوْقُوفاً، وَصَحَّحَهُ الألباني في (صحيح الجامع) برقم: (٥٤١٠)).

إذْ نِعَمُ الجنّة على قدر الجنّة، ونعيم الدنيا على قَدْرها وبِحَسْبها، وشتان بين الدنيا التي خلقها الله تعالى داراً مؤقتة للإبتلاء، ولم يفرّقْ فيها بين أوليائه وأعدائه، بل سَوّاهم فيها، وبين جنّة خلقها الله خِصِّيصاً لأوليائه، وداراً أبدية خالدة.

٢) إنها كثيرة وفيرة:

كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف]، وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الواقعة].

٣و٤) إنها دائمة في كل الأوقات، ومتوفِرةٌ في جميع الأحيان، وليست مثل فاكهة الدنيا التي تتْبَعُ فصول السنة، ولا تُحْجَزُ وتمنع من أهل الجنّة في أي وقت، بلْ هي في متناولهم دَوْماً:

كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة].

٥) وأهل الجنّة يتخيّرون منها حسب رغبتهم:

كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة].

٦) وهي قريبة التناول وسهلة المنال:

كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة]، وقال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤].

و(قُطوف) جمع (قِطْف) بمعنى المقطوف، وهو ما يَجنْيه الجاني من الثمار[١]، و(جَنى) هو ما يُجْنى ويقطف من ثمار[٢]، و(دانية) و(دانٍ) كلاهما اسم فاعلٍ من (الدنّو) وهو القرب[٣].

---

(١) أنظر: مختار الصحاح، ص٤٧١، لفظ: ق ط ف.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٢، ١١٣، لفظ: ج ن ا.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٧، لفظ: د ن ا.

٧) ويوجد من كل نوعٍ من أنواع الفاكهة، صِنفان:

كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمٰن]، وقد فسَّر بعض المفسرين كلمة (زوجان) بـ(معروف وغير معروف) و(مألوف وغير مألوف)، ولكنها تحتمل معاني أخرى أيضاً.

٨) ويوجد في الجنة كل أنواع الفواكه:

كما قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [الدخان].

وممّا يلاحظ أن الله تعالى ـ بعد أن أطلق اسم (الفاكهة) و(الثمرات) و(قطوف) و(جَنى) ومعلوم أن كلاًّ منها يَشْتَمِلُ مفهومُهُ على كل ما يعتبر فاكهةً وثمراً يُقْطَفُ ويُجْنى ـ خَصَّ بالذكر ـ أي بذكر اسمها الخاص ـ أربعة أنواعٍ منها، سواء بذكر اسم الشجرة أو الفاكهة نفسها، وهي:

١ ـ التمر.

٢ ـ العنب.

٣ ـ الموز (الطَّلْح).

٤ ـ الرمّان.

كما قال تعالى:

١ ـ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمٰن]، هذا بالنسبة للتمر والرمّان.

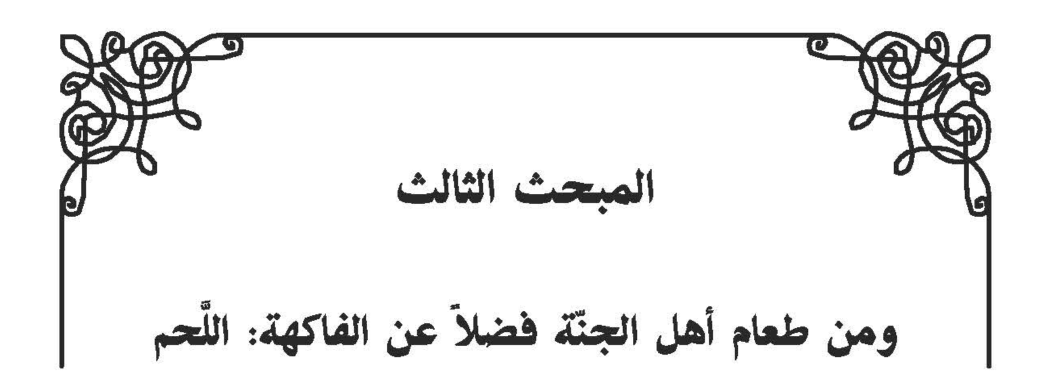
٢ ـ ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ۝٣٢﴾ [الواقعة]، وهذا بالنسبة للعنب.

٣ ـ ﴿وَطَلۡحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ الواقعة، وهذا بالنِّسبة للموز.

وربما الحكمة في تخصيص هذه الأنواع بذكر أسمائها هي: أنها أَلَذُّ وأشهى من غيرها عند أكثر الناس، وأعظَمُها فائدة للجسم، وأكثرُها أصنافاً[1]، وأعجَبُها خَلْقاً، وكلُّ خلق الله عجيبٌ!.

---

(١) أخبرني من له خبرة بأنواع التمر، بأنّها أكثر من مئتي (٢٠٠) نوع! هذا في الدنيا، وأما في الجنّة!!



المبحث الثالث

ومن طعام أهل الجنّة فضلاً عن الفاكهة: اللَّحم

كما قال الله تبارك وتعالى:

١. ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور].

٢. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة].

والملاحَظ أن الله تعالى قيّد لَفظ (لَحم) في آية (الواقعة) بالطَّير، ولكن في آية (الطّور) ذكره مُطْلقاً، ليشمل الطير وغيره، وقوله تعالى في كلتا الآيتين: ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ بعد ذكر اللَّحم المطلق ولحم الطَّير، دليلٌ على أن أهل الجنّة يختارون بين اللّحوم الحيوانية عامة، حسب رغبتهم واشتهائهم الحرّ الذي لا [illegible] رَ عليه مطلقاً.





المبحث الرابع

وشراب أهل الجنّة هو أنواع الأشربة اللّذيذة ومنها: الماءُ واللّبن والخَمر والعسَل

ذكر سبحانه شرابَ أهل الجنّة في آيات كثيرة، وبيَّن فيها كثيراً من أوصافه، ومنها:

١. ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد].

٢. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة].

٣. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات].

٤. ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

٥. ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان].

٦. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات].

٧. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

وحكمة إكثار كتاب الله من ذكر الشراب وأنواع الأشربة في الجنّة، هي نفس الحكمة التي ذكرناها بالنسبة للفاكهة، فأهل الجنّة لا يعرفون الجوع والظمأ، لِذا أكثرَ كتابُ الله الحكيم من ذكر الأطعمة والأشربة التي تؤكل وتشرب على الشبع والرّي، أي: للتلذّذ فحسب، وليس لكسر سورَةِ الجوع، وإسكان لهيب الظمأ، كما هو الشأن في الدنيا.

أوصاف أشربة الجنة:

وهذه هي الأوصاف التي وصفت بها أشربة الجنّة عامة، وقد يختَصُّ بعضُها ببعض أهل الجنّة الّذين ينالون مقاماً أرفع من غيرهم فيها، وهذا عام في كل شؤون الجنّة، وليس خاصاً بشرابها، ولكنا نتحدّث هنا عن الجنّة ونعيمها، وأهلها المتنعّمين فيها، بصورة عامة، ولَسْنا في مقام التفصيل وتصنيف أهل الجنّة، وسنشير إلى هذا الموضوع لاحقاً بإذن الله تعالى:

١) ذكر الله تعالى أسماء أربعة من أشربة الجنّة، وهي: الماء واللّبن والخمر والعسل:

كما في الآية (١٥) من (محمّد).

وقد وصف سبحانه كلاًّ من: (ماء) الجنّة، و(لبن)ها، و(خَمْر)ها، و(عَسَل)ها، ـ والّتي تَجري والذي تجري من كل منها أنهارٌ في الجنّة ـ بوصفٍ يميّزه عمّا في الدنيا:

١) الماء:

وُصِفَ بأنه غير آسن: ﴿...أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أَسِنَ وأَسَنَ يأسِنُ أو يأسُنُ، أي: تَغَيَّر طَعْمُه ولونه ورائحته[1]، بسبب طول المكثِ، فماءُ الجنّة لا يَتَغيرُ، كما يَتَغيَّر الماء العذب في الدنيا ويَنْتُنُ[2] بطول المكث.

٢) اللبن:

وصف بأنه لم يتغير طَعْمُهُ: ﴿...وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾، ولكن اللَّبن الدنيوي يتغيَّرُ طَعْمُهُ سريعاً.

٣) الخمر:

وصفت بأنها لذيذة للشاربين: ﴿...وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، لكن خمر الدنيا ـ كما يقولون ـ مُرَّة الطعم، وكريهة المذاق.

٤) العَسَل:

وصف بأنه قد صُفيَ: ﴿...وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لكن عَسَلَ الدنيا تُخالِطُهُ الشوائِبُ.

٢) الشراب الأساسيُ في الجنّة هو الخمر:

وهذا واضح في الآيات التي تتحدّث عن شراب أهل الجنّة.

ثلاثة عشر وصفاً لخمر الجنّة

وهناك مجموعة أوصاف متعلّقة بخمر الجنّة في كتاب الله:

١ ـ إن الولدان المخلّدين، هم الذين يُديرون كؤوسها عليهم:

كما في الآية (١٩) من (الإنسان) والآية (١٧) من (الواقعة)، وستَتحدّث عن الولدان المخلّدين لاحقاً.

---

(١) أنظر: مختار الصحاح، ص٢٩، لفظ: أ س ن، ولفظ: أ ج ن.

(٢) نَتَن يَنْتُنُ نَتْناً، وأَنْتَنَ يُنْتِنُ فهو مُنْتِنٌ، النَّتْنُ: الرائحة الكريهة. المصدر السابق، ص٥٥٦، لفظ: ن ت ن.

٢ - إن الخمر تكون في أباريق وآنية، وتُصَبُّ لشاربيها في الأكواب والأقداح:

كما في الآية (١٨) من (الواقعة) والآية (١٥) من (الإنسان).

والأباريق جمع إبريق[١]، والآنية جمع إناء[٢]، والمقصود بهما - أي الإبريق والإناء - هو ما تجعل فيه الخمر لكي تُصَبَّ منه في الأكواب.

والأكواب جمع (كوب) وهو القدح الذي يشرب[٣] فيه، والكأس هو الكوب المملوء بالخَمْرَة، وقد تُسمّى نفس الخمر المشروب كأساً، تسمية لها باسم محلّها.

٣ - والخمر تُسْتَقى وتؤخذ من نَهرٍ جارٍ أو عينٍ ظاهِرٍ:

كما يدلّ عليه قوله تعالى:

(كأسٍ من مَّعين) في كل من الآية (١٨) من (الواقعة)، والآية (٤٥) من (الصافات).

وكلمة ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: من نهرٍ أو شرب معين، وهو الخارج من العيون والينابيع، يقال: عانَ الماءُ، أي نَبَع، أو المراد: ظاهرٌ للعيون وجارٍ على وجه الأرض، من (عان الماءُ) إذا ظهر[٤].

٤ - وخَمر الجنّة ليس فيها أيُّ أذىً، أو ضررٍ، لا للجسم ولا للعقل:

كما صرَّحت بذلك الآية (٤٧) من (الصافات) حيث يصف الله تعالى خَمْر الجنّة بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾، وكذلك الآية (١٩) من (الواقعة)، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) الإبريق: وعاءٌ لَهُ أُذنٌ وَخُرطوم يَنصَبُّ منه السائِل، ج: أباريق، المعجم الوسيط، ص٢.

(٢) الإناء: الوعاءُ للطعام والشراب، ج: آنية، ج: أوانٍ، المعجم الوسيط، ص٣١.

(٣) الكوبُ: كوزٌ لا عروة لَهُ جمعه: أكواب، مختار الصحاح، ص٥٨١، لفظ: ك و ب.

(٤) مختار الصِّحاح، ص٤٦٦، ٤٦٧، والمعجم الوسيط، ص٨٧٨.

إذ قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: ليس فيها ضررٌ وأذىً، لأن الغَوْلَ هو إهلاك الشيء من حيث لا يُحَسُّ به، يقال: غالَه يغولُهُ غَوْلاً، واغتاله اغتيالاً: أي أهلكه وأخذه من حيث لم يَدْرِ[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي لا يأخذهم الصُداع بسببها، و(عن) هنا بمعنى الباءِ السببيّة.

وأما قوله تعالى: ﴿... وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ و ﴿...وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يَسْكرون ولا تذهَبُ بسببها عقولُهم، كما هو الحال في خمر الدنيا.

والنَّزف في الأصل: نَزْع الشيء وإذْهابُهُ بِالتدريج، يقال: نَزَف ماءَ البِئر يَنْزِفُهُ، إذا نَزَحَهُ وَنَزَعَهُ كُلَّهُ منها، شيئاً فشيئاً، ونُزِفَ الرجُلُ كَعُني: سكر أو ذهب عقلُهُ، فكأن الشارب ظرفٌ للعقل فَنُزِعَ منه وأُخْرِجَ، و(عن) بمعنى باء السببية، كما في قوله تعالى: ﴿...وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف][2].

إذن: فقوله تعالى: ﴿... وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون ولا تذهب عقولهم بسببها، من (نُزِفَ الشاربُ) فهو (مُنْزَفٌ) إذا ذهب عقله، وقوله: ﴿...وَلَا يُنزِفُونَ﴾كذلك يعني: لا يسكرون ولا تَغيبُ عنهم عقولهم، من (أنزف الشاربُ) أي: ذهب عَقْلُهُ وسَكِرَ.

٥ ـ وهي بيضاء صافية ولذيذة لشاربها:

كما في قوله تعالى: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات].

إذن: فخمر الجنّة لونها أبيض صافٍ، ولا كدورة فيها أصلاً، ثم هي لذيذة الطعم طيِّبة النَّكْهَة.

٦ ـ وقد يُمْزَج بها الكافُور أو الزَّنجبيل، أو شراب عين التسنيم:

كما في قوله تعالى:

---

(١) المعجم الوسيط، ص ٥٦٧، مختار الصحاح، ص٤٢٣، لفظ: غ و ل.

(٢) المعجم الوسيط ص٩١٤، ومختار الصحاح، ص٥٦٣، ٥٦٤، لفظ: ن ز ف.

١. ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان].

وقوله:

٢. ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ [الإنسان].

وقوله تعالى:

٣. ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧﴾ [المطففين].

و(الكافور) طيبٌ أبيض فيه برودة وهو طيّب الرائحة[1]، وكذلك (الزنجبيل) طيِّب الرائحة[2].

وأما (التسنيم) فقد عرَّفه سبحانه بقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين].

إذن: فهي عين رفيعة القدر وشرابها أشرف أشْربة الجنّة، وهي خاصة بالمقرَّبين، فهم يشربون منها صَفْواً خالِصاً، ولكن غيرهم يُمْزَجُ لهم منها مَزْجاً.

٧ ـ وخمرُ الجنة هي خالصة صافية، وظروفها مسدودة بالمسك:

كما قال تعالى:

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين].

وذلك لأن (رَحيقَ) كل شيء هو خلاصَتُهُ التي لا شوب فيها، ورحيق الخمر هو صفيُّها وخُلاصتها[3]، والـ(مختوم) هو المسدود من كل شيء،

---

(١) (الكافور): شجر من الفصيلة الغارية، يُتّخذ منه مادة شفّافة بلُّورية الشكل يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية وطعمها مُرٌّ، والجمع: كوافير، المعجم الوسيط، ص٧٩٢.

(٢) (الزَّنْجَبِيل): نبات من الفصيلة الزنجبارية له عروق غلاظ تضرب في الأرض حريف الطعم، المصدر نفسه، ص٤٠٢.

(٣) المعجم الوسيط: ص٣٣٤.

والمقصود بالمختوم هنا، هو آنية الخمر وظروفها التي تجعل وتحفظ فيها، وقد ذكر سبحانه أن آنية خمر الجنّة وظروفها تسد وتختم بالمسك، أي بدل الطين وغيره، من المواد التي تستعمل لهذا الغرض.

٨ وأهل الجنّة يتصرّفون في عين الخمر التي يشربون منها فيُجْرونها حيثما يريدون:

كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

وتفجير الماء هو إجراؤه والتصرّف فيه بالنقل حيثما يرادُ به أن يَنْبُعَ ويتفجّر.

٩ ـ والعين التي تَنْبُعُ منها خَمرُ أهل الجنّة (الأبرار) تسمّى (سَلْسَبيل):

كما في قوله تعالى:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان].

(السلسبيل) اسمٌ للشراب العَذْب السَّلِسِ الذي يَنساغُ ويَنْحَدِرُ من الحَلْقِ بسرعةٍ[1]، عكس الشراب المرِّ الذي يُغَصُّ به شاربُهُ.

١٠ ـ والآنية والأكواب التي تدارُ وتُشْرَب فيها الخمر، لونها في صفاءِ الزّجاج وبياض الفِضّة:

كما قال تعالى:

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان].

والقوارير جمع قارورة: إناءٌ صاف من الزجاج، ومنه قارورة الدواء،

(١) المعجم الوسيط، ص٤٤٢.

والأكواب جمع كوب، وهو قَدَحٌ لا عروة له، ومعنى قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي قوارير زجاجية في بياض الفضة، أو: قوارير مصنوعة من الفِضّة، ومن الواضح أن الزجاج المصنوع من الفضة لا وجود له في الدنيا، ولهذا قال (عبدالله بن عبّاس) ﷺ: (ليس في الجنة شيء إلا أعطيتم في الدنيا شبهه، إلا قوارير من فضة)[١].

١١ ـ ويُقَدِّر الولدان الطائفون بالخمر مقادير الخمر التي يجعلونها في الأكواب على قدر ريِّ شاربيها، من غير زيادة أو نقصٍ:

كما في قوله تعالى:

﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان].

١٢و١٣ ـ ويتجاذَبُ الشاربون كأس الخمر بينهم مداعبةً وتفكّهاً، ولكن لا يَصْدُرُ منهم أيُّ كلامٍ مما يُعَد ـ في الدنيا ـ لَغواً وإثماً:

كما قال تعالى:

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور].

والمقصود بالتنازع في الكأس، هو التجاذبُ فيها على سبيل المزاح والمداعبة والفكاهة، وليس بسبب شُحّتِها وقلّتِها.

واللّغو هو كل قول أو فِعْلٍ لا يُعتدُّ به[٢]، والتأثيم تفعيل من الإثم، وهو جعل الإنسان يقع في الإثم، والمعنى:

إنَّ أهل الجنّة وإنْ كانوا فَرِحين مَرِحين، يُداعِبُ ويُمازِحُ بَعْضهم بَعْضاً عند شربهم الخمر، ولكنهم لا يصدر منهم ما يعتبر لغواً وإثماً في الدنيا.

وهذا دفعٌ لتوهُّم بعض الناس، بأنّه رُبّما يحدث بين شاربي خمر الجنّة، ما يحدث بين شاربي خمر الدنيا من الفحش والنزاع والشجار!

(١) (صفوة البيان لمعاني القرآن، ٧٦٩).
(٢) مختار الصحاح، ص٥١٨، لفظ: ل غ ا.

٣) **<u>وأما أعلى أنواع شراب الجنّة فهو الشراب الطهور الذي يسقيهم ربُّهم إيّاهُ:</u>**

كما قال تعالى:

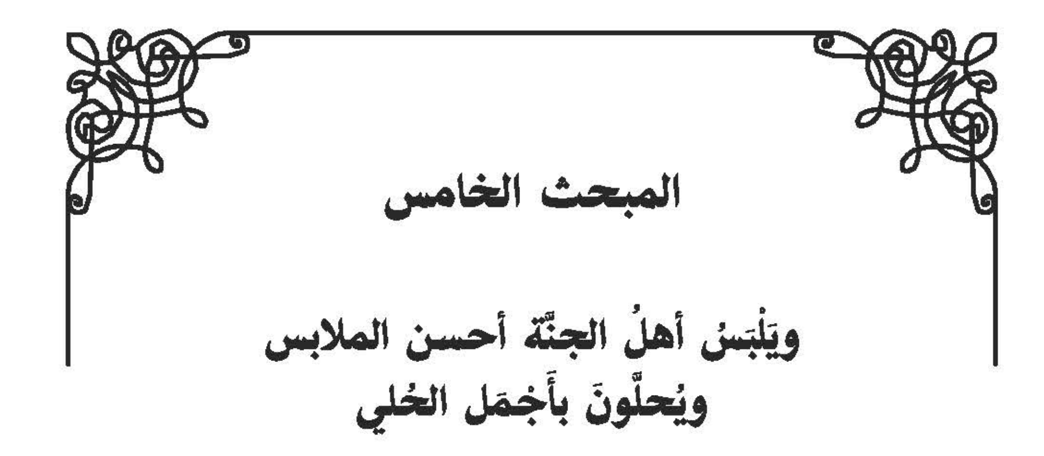
﴿...وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

والطهور هو ما كان بالغ الطهارة، أو طاهراً في ذاته ُ َهِّراً لغيره[١].





(١) المصباح المنير، ص١٩٦، (الطَهُور في اللغة، هو الطّاهرُ المُطهِّرُ).



المبحث الخامس

ويَلْبَسُ أهلُ الجنّة أحسن الملابس ويُحلّونَ بأَجْمَل الحُلي

كما قال تعالى:

١. ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان].

٢. ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر].

٣. ﴿... يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف].

٤. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج].

وما يتحصَّل من هذه الآيات من أوصاف ملابس أهل الجنَّة وحُليِّهم، هو:

١ ـ يلبسون ملابس مصنوعة من الحرير.

٢ ـ وذلك الحرير نوعان: رقيق (سندس) وغليظ (إستبرق).

٣ ـ ولون ثيابهم هو الأخضر.

٤ ـ وحُليّي أهل الجنَّة عبارة عن الأساور، وهي ثلاثة أنواع: ذهبية وفضيّة ولُؤْلؤية.

والأساور جمع (سوار) وهو ما يجعل في اليد[1] من الحُلِيِّ.

والتحلّي بالحُلِيِّ عامة وخاصة الأساور، خاصّ بالنِّساءِ في الدنيا، ولكن للجنّة أحوالُها وشؤونها الخاصة بها.

إذاً: فأهل الجنَّة يَلْبسون أرقى أنواع الثياب المصنوعة من الحرير الذي هو أرفع ما يعرفه البشر من القماش!

وكذلك يتحلّون ـ رجالاً ونساءً ـ بأغْلى وأنفس المعادن، وهي الذهب والفضّة واللؤلؤ.

ولكن هنا يجب التنبُّه إلى حقيقة، نبَّهنا عليها في السابق وهي: أن كل ما في الجنَّة من النَّعيم، يختلف من حيث الجوهر والمحتوى عما في الدنيا وان اشتركا في الإسم والعنوان، كما قال ابن عبّاس ﷺ والذي نقلْنا قولَهُ وخرَّجناهُ في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(١) مختار الصحاح، ص٢٨٧، لفظ: س و ر.



المبحث السادس

مساكن أهل الجنّة الطيّبة وقصورُهم العلاليُّ، مُؤَثَّثةٌ بأرقى أنواع الأثاث

كما قال تعالى:

١. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية].

٢. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الإنسان].

٣. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور].

٤. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمٰن].

٥. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمٰن].

٦. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة].

٧. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

وما يتحصّل من الأثاث الفاخر في الجنّة في ضوء الآيات المدرجة أعلاه، هو ما ندرجه في البنود الخمسة الآتية:

١ - **الأرائك والسُرُر:**

والأرائك جمع (أريكة)[١] والسُّرر جمع (سرير)، وبما أنَّ الله تعالى وصف كليهما بأنّهُ يتّكيءُ عليهما أهلُ الجنة، أي يَسْتَلْقون أو يستريحون عليهما، فهما قريبا المعنى والمضمون، وقال بعض المفسّرين بأن (الأريكة) هي السرير في الحَجَلَة، ثم فسرّوا الحجلة بقولهم:

(وهي بيت كالقُبَّة يُزَيَّنُ للعروس بالثياب والستور والأسِرَّة، ويكون له أزرار كِبارٍ)[٢].

وقد نعت الله تعالى السُّررَ التي يَتّكيءُ عليها أهل الجنّة، بثلاثة أوصاف:

أ - مرفوعة أي: رفيعة الثمن، أو عالية مرتفعة من حيث سَمْكها.

ب - مصفوفة أي: مرتبة بعضها بجنب بعضٍ.

ج - موضونة أي: منسوجة بالذهب، أو منسوجَةٌ بإتقان وإحكام، من (وَضَنَ الغَزْلَ يَضِنُهُ) أي: نسجه[٣].

٢ - **الفرش أو الرَّفرف:**

وفُرُش جمع (فراش) وهو كل ما يفترش للجلوس أو الإتّكاءِ عليه.

وقد وصف سبحانه (فرش) الجنّة، بكونها (مرفوعة) كما في الآية (٣٤) من (الواقعة)، وبكونها (بطائنها من إستبرق) والبطائن جمع بطانة، وهي ما يقابل الظِّهارة من الثياب وغيرها، والإستبرق هو غليظ الديباج (أي الحرير).

والظاهر أن المراد بـ(رَفرف خضْرٍ) في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمٰن]، أيضاً هو الفرُش، والرَّفرف اشتقاقُهُ

(١) مختار الصحاح، ص٢٦، لفظ: أ ر ك.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص٣٨٠.

(٣) مختار الصحاح، ص٦٢٤، لفظ: و ض ن.

من: (رَفّ) إذا ارتَفَع، وهو إمّا اسم جمعٍ واحِدُه (رَفْرَفة)[1]، أو أنه اسم جمع لا واحِدَ له من لفظه.

وبناءً عليه: تكون أوصاف الفرش المفروشة في الجنّة ثلاثة:

مرفوعة، وبطائنها من حرير غليظ، ولونها أخضر.

٣ ـ **البُسُط أو الزرابيّ:**

وقد وصَفَ الله سبحانه البُسُطَ (جمع بِساط) بعبارتين:

أ ـ ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية].

ب ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمٰن].

أما (الزَّرابيُّ) فَجَمْعُ (زَرْبيّ) و(زَرْبيّ) كلمة فارسية معرَّبة، وأصلها (زير بي) في الفارسية و(ژێرپێ) في الكردية، ومعناها ما يجعل تحت القَدَم، كما هو شأن الأغنياء المُرَفَّهين، وكما هو معهود الآن في الفنادق الرّاقية، حيث يفرشون البُسُطَ الفاخرة في الغُرَفِ والقاعات.

وقد جُمِعَتْ (زربي) على (زرابي) في اللغة العربية.

وأما (عَبْقريّ) فهو إمّا اسم جمعٍ، أو جمع واحده (عَبْقرية)، ولهذا وصِفَ بالحسان، إذْ لولا أنه جمع أو يدل على الجمع، لما كان وصفه جمعاً، و(حسان) جمع (حُسْنى) التي هي مؤنث (أحسن) والعبقري، في الأصل: الكامل من كل شيء: أو الجليل النفيس الفاخر من الناس والأشياء[2].

وبناءً عليه:

فقد وصف كتاب الله بُسُط الجنّة الفاخرة بثلاثة أوصاف:

---

(١) أنظر: مختار الصحاح، ص٢٢٩، لفظ: ر ف ف.

(٢) أنظر: مختار الصحاح، ٣٦١، لفظ: ع ب ق ر.

أ ـ مبثوثة أي: هي منتشرة في كل أماكن أهل الجنّة ومنازلهم، شأن الأغنياء المُرفّهين.

ب ـ عبقريّ أي: هي كاملة في أوصافها ونفيسة وفاخرة، لم يُنْسَجْ على مِنْوالها.

ج ـ حسان أي: هي في أحسن ما يكون في كل الجوانب.

٤ ـ **النمارق أو الوسائد:**

كما قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [الغاشية].

والنمارق جمع (نُمْرُقة) وهي الوسادة التي يُتّكَأُ عليها، وَوصِفَتْ بأنها (مَصْفوفة)، أَي: صُف بعضُها إلى جانب بعضٍ، والوسائد تُوضَعُ وتُصَفُّ عادة على البُسُط والطّنافس[1].

٥ ـ **الصِّحاف والأباريق والأكواب:**

الصِّحاف جمع (صَحْفَة) وهي إناء الأكل[2]، والأباريق جمع (إبريق) وهو ظرف الشراب وإناؤه، والآنية جمع (إناء) وهو ظَرْف الأكل والشراب، والأكواب جمع (كوب) وهو ما لا عروة له ولا خرطوم، فإذا صُبّتْ فيه الخَمْرُ سمي كأساً، ويُسمّى الكوبُ (القَدَحَ)، جمعه (أقداح).

نعم، ذكر كتاب الله تعريفاً بظروف الطّعام والشراب في الجنّة، أَربعةَ ألفاظ:

أ ـ الصِّحاف.

ب ـ الآنية.

ج ـ الأباريق.

---

(١) الطنافس جمع: طُنفسة، وهي بِساطٌ لَه خَمْلٌ أي أهدابٌ وفضولٌ تَفْضُل منه في جانبيه الطوليين غالباً، وانظر: المعجم الوسيط، ص٥٦٨ والمنجد، ص٤٧٤، وتلفّظ (طنفسة): طُنْفُسَة، طِنْفِسَة، طَنْفَسة.

(٢) المعجم الوسيط، ص٥٠٨.

د - الأكواب.

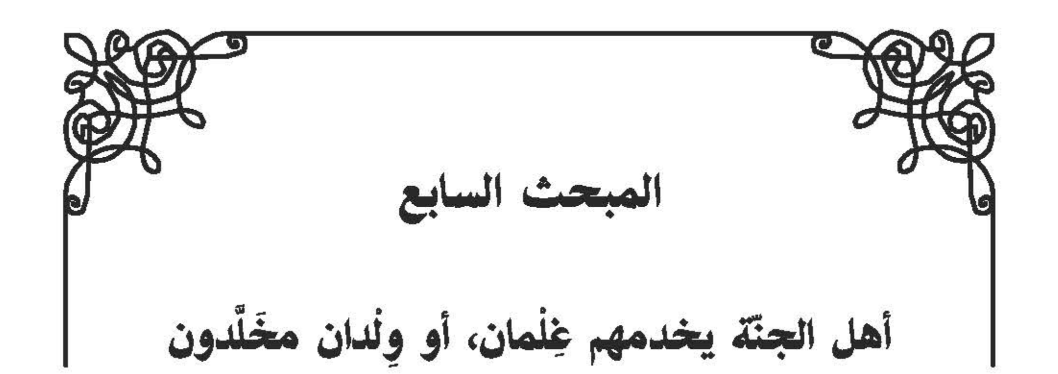
وقد بيَّن سبحانه أنَّ الصِّحاف مصنوعة من الذهب: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف]، وكذلك بيَّن أن الآنية مصنوعة من فضّة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾ [الإنسان].

وأما الأكواب فهي مصنوعة بعضها من الذهب: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف]، وبعضها من زجاج كالفضة في بياضها، أو من زجاج فِضّي: ﴿مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان].

وأما الأباريق فلم يذكر في كتاب الله ما هي مادّتها، ولكنها قياساً لها على نظائرها، فهي إما من ذهبٍ، أو زجاجٍ، أو فضّةٍ، أو زجاج فِضّـ".

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث السابع

أهل الجنّة يخدمهم غِلْمان، أو وِلْدان مخَلَّدون

كما قال تعالى:

١. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة].

٢. ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان].

٣. ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور].

والوِلْدان جمع (ولد) والغِلْمان جمع (غُلام)، والمراد بهما خدّامهم الذين يَخْدِمونهم وهم صبيانٌ صغارُ السن، وقد وصفهم الله تعالى بعدة أوصاف.

١ - إنهم مخلَّدون: أي يُبَقُّون في سنِّهم الَّتي هم فيها أبداً.

٢ - وإنهم يطوفون عليهم: أي: يدورون عليهم دَوْماً للخدمة والإتيان بالأطعمة والأشربة.

٣ - وإنهم يتراؤون للناظر كاللآلِيء المنتشرة: أي من حسن منظرهم وصفائهم ونظافتهم وأناقتهم.

٤ - وإنهم يشبهون اللؤلؤ المستور في صَدَفِهِ: أي من حيث صفاء بشرتهم وطهارتهم.

وإذا علمنا أن أَطعمة الجنّة وأشربتها كلّها سهلة المنال، وفي متناول اليد، نعلم أن وجود هؤلاء الغِلْمان، ليس إلّا زيادة في التكريم الربّانيِّ لضيُوفه وأوليائه.

وجديرٌ بالذكر أن الولدان المخلَّدين، ممّا يخلقه الله تعالى في الآخرة لأهل الجنَّة، ومثلهم في ذلك كالحور العين، إذن: فهم ليسوا من أهل الدنيا، لا من الإنس ولا من الجنِّ، هذا هو الذي يُفيدهُ ظاهِرُ الآيات المباركات، والله هو العليم الحكيم.





المبحث الثامن

أهل الجنّة أهل راحةٍ، ولا ينشغلون إلّا بالتنعُّم والتلَذُّذِ والعيش السّعيد الرّغيد

كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس].

٢. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة].

٣. ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الصافات].

٤. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

وتُجلّي هذه الآيات تَنعُّمَ أهل الجنّة وراحَتَهُم وعَيشهم السَّعيد الرَّغيد، في الحقائق الخمسة الآتية:

١) **إنهم في راحة وتَنعُّمٍ عظيم، يَشغلهم عن سواه:**

كما في الآية (١٥) من (يس).

وال(شُغُل) هو كل ما يَ غْلُك عَنْ غيره، بسبب جَذبهِ لك وانغماسك فيه.

و(فاكهون) أي مُتَلَذِّذون، مُتَنَعِّمون، مُرفَّهون، يقال: فِكِهَ الرجُل فكهاً وفكاهةً فهو فَكِهٌ وفاكِهٌ، إذا كان طيِّب العَيْش فرِحاً ذا نشاطٍ من التنعّمِ[1].

٢) إنهم يُكْرَمون ويُعامَلون باحترام:

كما في الآية (٤٢) من (الصافات).

٣) وهم مُستريحون على الأرائك مع أزواجهم في ظلال الجنّة الوارفة:

كما في الآية (١٦) من (يس).

٤) وكذلك يجلسون مع بعضهم البعض على السُّرر متقابلين:

كما في الآيتين (١٥، ١٦) من (الواقعة)، والآية (٤٤) من (الصافات).

٥) وهم بعيدون كل البعد عن كلِّ نوع من أنواع التَّعب والمشقة والإعياء والفتور:

كما في الآية (٣٥) من (فاطر).

و(النَّصَبُ) هو التَّعب والمشقة[2]، و(اللّغوب) هو الفتور والإعياء الذي ينتج عن التعب، و(نَصِبَ) كَفَرِح، أي تَعِبَ، و(لَغَبَ) و(لَغِبَ) كمنَع وسمِعَ، أي فَتَر وأعيا[3].

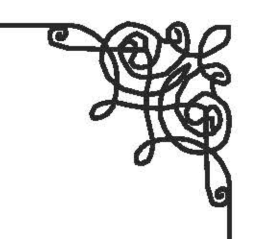
❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) (صفوة البيان...)، ص٢٦٢.

(٢) مختار الصحاح، ص٥٦٩ ـ لفظ: ن ص ب.

(٣) المصدر السابق، ص٥١٨، لفظ: ل غ ب.



المبحث التاسع

أهل الجنّة بعيدون عن الغَمّ والهَمّ والحزن، ومسرورون غاية السرور، وتَتَلألأُ وجوههم بِشراً وسعادة

كما قال ربُّنا الرحمٰن تبارك وتعالى:

١. ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر].

٢. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين].

٣. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية].

٤. ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان].

٥. ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

٦. ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف].

٧. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

ونُدْرِجُ ما تدل عليه هذه الآيات فيما يتعلّق بانتفاءِ الهمّ والغَم والحزن عن أهل الجنّة، وسرورهم وحبورهم وإشراق وجوههم، في البنود الستة الآتية:

١و٢) أَهلُ الجنَّة أَذهَبَ الله تعالى عنهم كلَّ الأَحزان، وأبعد عنهم كلَّ المخاوف:

كما في الآية (٣٤) من (فاطر)، والآية (١٧٠) من (آل عمران)، والآية (٦٨) من (الزخرف).

و(الحُزْن) و(الحَزَن) ضِدُّ الفرح والسرور[1]، فيشمل مفهومُهُ الهمَّ والغمَّ أيضاً، والهَمُّ يتعلّق بالمستقبل، والغَمُّ بالماضي والحزن بالحاضر، ولكن ـ كما يبدو ـ استعمل (الحزن) في كتاب الله بمعنى شاملٍ للأزمنة الثلاثة.

و(الخوف) توقُّعُ مكروه في المستقبل.

وبما أن أهلَ الجنّة يحمدون الله تعالى على إذهابه عنهم جِنْس الحَزَنِ: ﴿...ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، إذن: فكل الأحزان والهموم والغموم والمخاوف منتفية عنهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿...أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقوله: ﴿...لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فيهما نفي أي نوع من أنواع الخوف عن أهل الجنّة، وأنهم لا يحزنون أدنى حَزنٍ.

٣و٤و٥) وأهل الجنّة مُبْتَهجون، مشرِقوا الوجوه ومسرورون وراضون:

كما في الآية (٢٤) من (المطففين)، والآية (١١) من (الإنسان)، والآيتين (٨، ٩) من (الغاشية) والآية (١٧٠) من (آل عمران) والآية (٧٠) من (الزخرف).

(النَّضرة) هي البهجة وتنوّر الوجه وإشراقه من الفرح[2].

و(ناعمة) إمّا من النّعومة، أي غضّة طريّة من أثر التنعّم، أو من

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٠، لفظ: ح ز ن، (الحُزْنُ والحَزَن: ضِدُّ السُّرور، وأَحْزَنَهُ غيره وحزَنَهُ، فهو حَزِنٌ وحَزين).

(٢) المصدر السابق، ص٥٧٢، لفظ: ن ض ر.

النّعيم، أي مُتَنعِّمةٌ مترفِّهة[1].

و(تُحْبَرون) أي تُسَرُّون سروراً يظهر أَثَرُهُ على وجوهكم، لأن (الحَبْرَ) هو السرور وَأَثَر النعمة[2]، والإِسم منه حِبار وحَبار.

٦) وأهل الجنة سعَداء قد أسعدهم الله سعادةً، لا شقاءَ بعدها أبداً:

كما في الآية (٨٠) من (هود).

و(السعادة) مفهومها شامل لمفردات كثيرة وهي: الفَرَح والسرور والرضى والنضارة والبهجة والتنعُّم ورغد العيش والحياة الطيِّبة وغيرها.

والملاحَظ أن الله تعالى ذكر شقاء الأشقياء بصيغة المعلوم، ولكن ذكر سعادة السعداء بصيغة المجهول:

﴿...يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾... وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ... ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

والحكمة في ذلك:

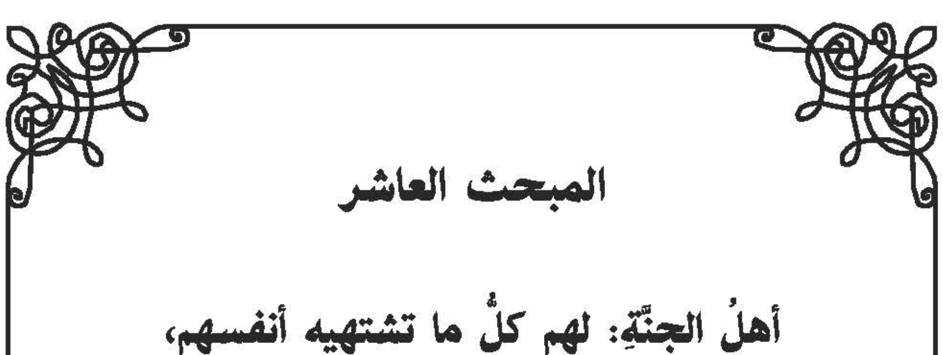
أنَّ شَقاءَ أهل الكفر، هو نتيجة كفرهم وأعمالهم السيِّئة التي اكتسبوها بأنفسهم، ولكن سعادة السُّعداء، إنما هي نتيجة هداية الله وتوفيقه أولاً، ثم تَفَضُّلِهِ عليهم وتَغَمُّده برحمته إيّاهم ثانياً، وهذا كقوله تعالى:

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء]، إذ المراد بالحسنة والسيئة هنا هو الطاعة والمعصية، وأما في الآية (٧٨) والتي هي في السياق نفسه، فالمقصود بهما هو: النعمة والمصيبة، ولهذا نسبهما الله تعالى إلى نفسه: ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء].

---

(١) المصدر السابق، ص٥٧٥، لفظ: ن ع م.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٧، لفظ: ح ب ر.



المبحث العاشر

أهلُ الجنَّةِ: لهم كلُّ ما تشتهيه أنفسهم، وكلُّ ما يطالبون به، وكلُّ ما تلَتذُّ أعينهم برؤيته

كما قال ربُّنا الوهاب الكريم تبارك وتعالى:

١. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

٢. ﴿...نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

٣. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس].

١) **أمّا أنَّ الجنة فيها كلُّ ما تشتهيه الأنفس وترغب فيه وتتشوَّق إليه:**

فهو مصرَّح به في كل من الآية (٧١) من (الزُّخرف)، والآية (٣١) من (فصلت).

٢) **وأمّا كونها فيها كلُّ ما تَلتذُّ الأعين برؤيته وتبتهج به النفس:**

فيدلُّ عليه قوله تعالى في الآية (٧١) من (الزخرف): ﴿...وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٣) **<u>وأمّا كونها فيها كل ما يطالب به أهلُها وساكنوها:</u>**

فهو ما بيّنَتْهُ كل من الآية (٣١) من (فصلت)، والآية (٥٧) من (يس).

٤) **<u>وبما أنَّ الجنّة هي مَحَلُّ ضيافة الله الكريم الرحمٰن جلّ وعلا، فحري بها أن تتحقق فيها كلُّ الأماني، وتُشْبَعَ فيها كُلُّ الرَّغَبات:</u>**

وقد بيَّن كتاب الله المبين في أكثر من آية، أن الجنّة هي محلُّ ضيافة الله تعالى لعباده، ومنها الآية (٣٢) من (فصِّلت)، والآية (١٩٨) من (آل عمران).







المبحث الحادي عشر

الجنّة لا يُسمعُ فيها أَيُّ كلامٍ مُؤذٍ أو مُزعجٍ، كاللّغو والفُحشِ، وأهلُها مشغولون بتسبيح الله وحمده وتسليم بعضهم على بعض

كما قال تعالى:

١. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية].

٢. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة].

٣. ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور].

٤. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

٥. ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ].

إذن:

فاللّغو والتأثيم والتكذيب مُنتَفيةٌ عن أهل الجنّة، ولا يسمع فيها غير السّلام المتكرِّر،، وكذلك تحيّتهم التي يُحيِّي بها بعضُهم بَعْضاً، هي السلام، ودعاؤهم الذي يدعون الله تعالى به، هو: (سبُحْانَكَ اللّهُمّ)، وآخر

ما يدعون الله تعالى به هو (الحمد لله رب العالمين).

واللّغو هو سَقَط الكلام وما لا يُعتد به منه، أو الباطل والقبيح منه[1]، والمراد بـ(لاغية) هو النفس اللاّغية التي تَلْغو، أو كلمة ذات لَغْوٍ.

والتأثيم هو نسبة بعضهم بعضاً إلى الإثم، أو أي كلام يُؤْثِمُ قائِلَهُ.

و(كِذّاباً) أي تكذيباً[2]، فلا يكذّب بعضهم بَعْضاً.

ومن الواضح أن تجنّب أهل الجنّة اللَّغوَ والتأْثيمَ والتكذيبَ، شيءٌ فطريٌّ وجِبلِّيٌّ، حسب نشأتهم الأخروية التي يُنْشئهم الله تعالى عليها، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة].

والسلام المتكرّر الذي لا يسمع في الجنّة سواه، هو سلامُ الملائكة لأهل الجنّة، كما قال تعالى: ﴿... جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]، وكذلك هو سلام أهل الجنّة بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿...وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

ثم فوق ذلك كله، هو سلام الله السلام جلّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

وتسبيح الله تعالى، هو تنزيهه وإبعادُه عمّا لا يليق به، وحمده هو الثناء عليه، تبارك وتعالى.

وبناءً عليه:

فأهل الجنّة لا يسمعون إلّا طيّباً من القول، ولا يتكلّمون إلّا بالطَّيِّب، إذْ هُمْ:

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٧٤٢، راغب الأصفهاني.

(٢) مختار الصحاح، ص٤٩٠، لفظ: ك ذ ب.

أ ـ يسلِّم الله تعالى عليهم.

ب ـ ويُسلِّمُ الملائكةُ عليهم.

ج ـ ويسلِّم بعضُهم على بعض.

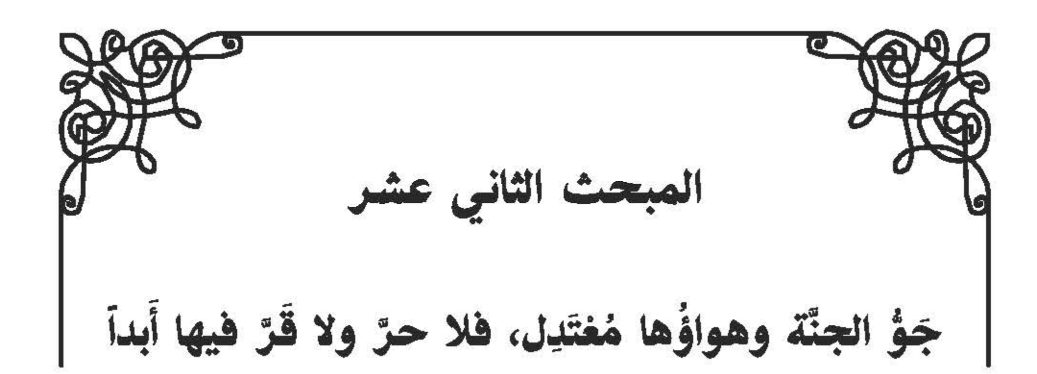
د ـ ويُسبِّحون الله تعالى ويحمدونه.

هـ ـ ويَجتَنِبون ـ حسب مقتضى نشأتهم الأخروية ـ كل ما هو غير لائقٍ.

ولكن هذا لا يَعني أنه لَيس لأهل الجنّة كلام آخر غير هذا، بل لهم أنواعٌ من الكلام فيما بينهم، بَل وفيما بينهم وبين أهل النّار أيضاً، كما سنذكرُهُ لاحقاً، ولكن كلُّ كلامهم من الكلام الطيِّب اللائق بهم كضيوفِ لله جل وعلا والجدير بمقامهم، كما قال تعالى بالنسبة لنوعية كلامهم عامة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج].





المبحث الثاني عشر

جَوُّ الجنَّة وهواؤُها مُعْتَدِل، فلا حرّ ولا قَرّ فيها أَبداً

كما قال تعالى:

١. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان].

٢. ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد].

٣. ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة].

٤. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات].

ونُدْرِجُ ما تَدلُّ عليه هذه الآيات، بالنسبة لجوِّ الجنَّة وهوائها، في هذه البنود الثلاثة:

١) أهل الجنّة لا يحسّون لا بالحرارة ولا بالبرودة:

كما في الآية (١٣) من (الإنسان).

والشمس هي مصدر الحرارة، والزَّمهرير[1] هو البرد المفرط، يقال: زمهر اليوم إذا اشتدَّ بَرْدُهُ.

---

(١) انظر: مختار الصحاح، ص٢٤٩، لفظ: ز م هـ ر.

٢) **وأهل الجنّة يكونون وسط أشجار ظليلة، طيّبة الرائحة مخضودة الشوك، وأشجار مثمرة، وأنهارٍ وعيون، وشلّالات:**

كما في الآيات (٢٧ إلى ٣١) من (الواقعة)، والآية (٣٥) من (الرّعد)، والآيات (٤١ إلى ٤٤) من (المرسلات).

والسِّدْرُ شجر (النّبق) واحده (سِدْرة)، وهي شجرة طيّبة الرائحة، وبما أنها ذات شوك، فقد وصف الله تعالى سدر الجنّة بِكونه مخضود الشوك، أي مكسور الشوك، والمراد به أنه بلا شوك، و(الطَّلح)(١) شجر الموز واحده (طَلْحة)، والمنضود هو المتركِّبُ بعضه على بعض، يقال: نَضَّد مَتاعَه أي: رتَّبه ونظَّمه(٢).

والماء المسكوب، هو الماء المُنْصَبُّ من مكان مُرتفع إلى أسفل، وأهل العصر اصطلحوا على تسمية هذا بالشلّال والجمع شلّالاتَ.

ومن الواضح أن البيئة التي تتواجد فيها هذه الأشياء:

الأنهار، العيون، الظلال، الأشجار المثمرة وغيرها، الشلّالات..

ثم تنتفي فيها الحرارة والبرودة المفرطَتان، هي البيئة المثالية لحياة الإنسان.

٣) **وأهل الجنّة يعيشون في ظلال الجنّة، التي هي: قريبة ودائمة وممتدّة:**

كما في الآيات: (١٤) من (الإنسان)، و(٣٠) من (الواقعة) و(٣٥) من (الرّعد).

إذْ وَصف سبحانه وتعالى، ظلال الجنّة بثلاثة أوصاف:

أ ـ أنها قريبة ﴿...وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

---

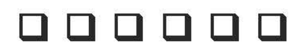
(١) المصدر نفسه، ص ٣٤٩، لفظ: ط ل ح.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٧١، لفظ: ن ض د.

ب - وأنها دائمة ﴿...أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

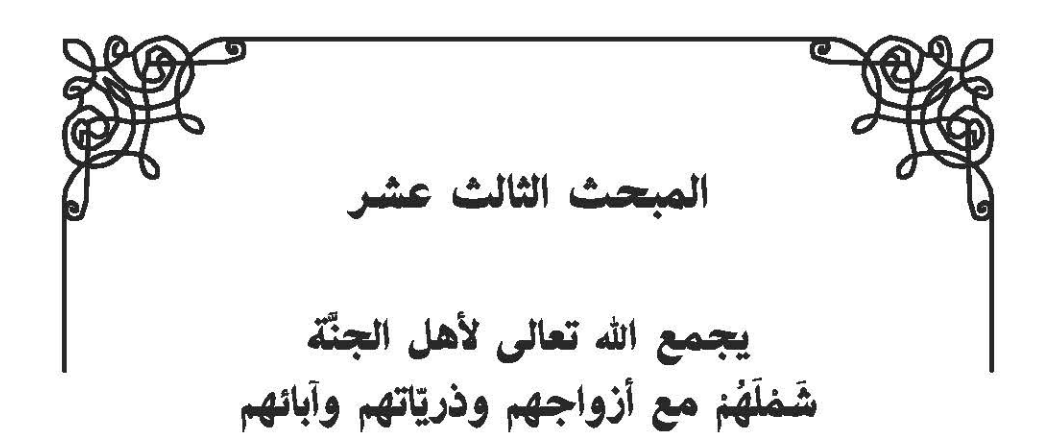
ج - وأنها ممتدة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾.

هذا وجاء في حديث : (إن هواء الجنة سجسج، لا حر ولا برد) (رَوَاهُ ابْنُ أَبي شيبة برقم: (٣٥١٠٣) موقوفاً)[1].





(١) صفوة البيان، ص٧٦٩، والسَّجسج اسمٌ للظلِّ الممتد ما بين الفجر إلى طلوع الشمس، وهو أطيب الأوقات وأصفاها، لِذا شبّه به النبيُّ ظِل الجنّة الوارف الطيّب، مختار الصحاح، ص٢٥٩، لفظ: س ج س ج.



المبحث الثالث عشر

يجمع الله تعالى لأهل الجنّة شَمْلَهُمْ مع أزواجهم وذريّاتهم وآبائهم

كما قال الله سبحانه وتعالى:

١. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾ [الطور].

٢. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣)﴾ [الرعد].

٣. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)﴾ [غافر].

وكل من هذه الآيات الثلاث، تبيِّن أن الله تعالى سيجمع لأهل الإيمان شملهم مع أقاربهم في الجنّة:

١) **أما الآية (٢١) من (الطّور):**

فيبيِّن فيها رب العزّة سبحانه، أنَّ المؤمنين الذين تتَّبعهم ذُرِّيَّتُهم في الإيمان والإسلام، سَيُلْحِقُ بهم ذريَّتهم من دون أن ينقص من أجر أعمالهم ـ أي المتبوعين ـ شيئاً، أي: سيرفع للمؤمن ذريَّته الذين هم دونه في الدرجة إلى درجته، ولا يُنزِّله هو، كي يجتمع بهم في درجة أسفل!

قوله تعالى: ﴿... وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ...﴾ أي وما نقصْنا

من أجر المتبوعين الذين يُلْحَقُ بِهم مَنْ ذُكِرَ شيئاً، بل يرفعهم إليه فَضْلا منه وإحساناً، و(أَلَت يأْلِتُ) أي نقص يَنْقُص، يقال: أَلَتَهُ حقَّه، أي نَقَصَه[1].

وقد روى (ابن عباس) رضي الله عنهما بهذا الصّدد هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**إِذا دخل الرَّجُل الجنة، سأل أبويه وزوجته وولده، فيقال له: إنهم لَمْ يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا ربّ! قد عمِلْتُ لي ولهم، فيؤمَرُ بِإلحاقهم به**» (أَخْرَجَهُ البَزّار والطَّبَرَانِيُّ برقم: (٦٤٠)، وقال الشيخ الألباني: (موضوع) انظر ضعيف الجامع برقم: (٤٨٥).

٢) وأما الآية (٢٣) من (الرّعد):

فهي آية في سياق يتحدّث عن أهل الإيمان في أوصافهم الأساسية، ثم يختم الحديث ببيان عاقبتهم الحميدة، ويبيِّن فيها سبحانه أن أهل الإيمان سيدخلون الجنّة مع الصالحين من أقاربهم الأقربين، كالزوجات والآباء والأولاد.

ومن المعلوم أن لفظ (الآباء) يشمل الأب والأم والجدّة، وكذلك يشمل لفظ (الذريّات) الأولاد والأحفاد، ذكوراً وإناثاً.

وإنما يتم دخول هؤلاء الجنّة معاً، إذا ما رفع الله الكريم الذين هم أدنى درجة إلى مستوى الذين هم أرفع درجةً ومقاماً، كما بُيِّن هذا في آية (الطور).

٣) وأما الآية (٨) من (غافر):

فَكُرِّرَ فيها تعبير آية (الرّعد) نَفْسُهُ، ولكن هنا على لسان الملائكة الكرام الحاملين للعرش والملتفِّين حوله، الدّاعين لأهل الإيمان.

وجديرٌ بالذكر أنه إذا كانت الزوجَةُ بالنِّسبة لزوجها، أو الأُمُّ بالنِّسبة لأولادها، أو البِنْتُ بالنِّسبة لأبويها، أرفَعَ درجة وأعلى مقاماً من زوجها، أو أولادها، أو أبويها، فَسَيُلْحِقهم الله تعالى ويرفعهم إليها من فضله، مثل

---

(١) انظر مختار الصحاح، ص٣٢، لفظ: أ ل ت.

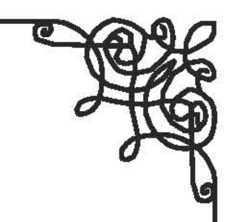
المرأة في هذا مثل الرجل سواء بسواء، وهذا يعرف من أدلة كثيرة، أحدها: أن الله تعالى سوّى بين الذكور والإناث، في مجال الإيمان والعمل والعاقبة الأخروية، في كل الآيات التي تحدثت في هذا الموضوع، ونكتفي هنا بالإشارة إلى هاتين الآيتين:

١. ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

٢. ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث الرابع عشر

أهلُ الجنّة يُطهِّر الله تعالى قلوبهم من كدورات البغض والحقد والحسد، التي وقعت فيها في الدنيا تجاه بعضهم البعض، ويُصبحون إخوة متوادّين ويجلسون متقابلين

كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر].

٢. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾ [الأعراف].

٣. ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وهذا تعليق موجز على هذه الآيات:

١) يُخبِرُ سبحانه في كل من الآية (٤٧) من (الحجر)، والآية (٤٣) من (الأعراف) بأنه سيَنْزِع ويَسْتَلُ أيَّ حقدٍ وضغينة في صدور المتقين، بعد أن يدخلوا الجنّة سالمين آمنين، وعبَّر سبحانه عنه بصيغة الماضي، لأنَّ تحقُّقَهُ مُتَيَقَّنٌ ثابت، ولأن الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) إنما لها وجودٌ ذهنيٌّ نِسبيٌّ، حسب شعورنا نحن بالزمن، وإلّا فهي في الحقيقة شيء واحد.

والغِل أصله من الغِلالة، وهي ما يُلْبَسُ بين الشِّعار والدثار، أو من الغَللِ وهو الماءُ المُتَخَلِّلُ بين الشجر[1].

٢) وكذلك يخبرُ جل شأنه أَن المتقين يكونون في الجنّة متآخين متوادّين، ويجلسون على السُّررِ متقابلين، في جوّ من الصّفاء والمحبَّة، كما في الآية (٤٧) من (الحجر)، وفي الآية (٤٤) من (الصافات)، والآيتين (١٥، ١٦) من (الواقعة).

٣) ويبيِّن تبارك وتعالى أن كُل الذين تصادقوا فيما بينهم في الدنيا، وتخلَّلت المَحَبَّةُ قلوبَهُمْ، سينقلبون في الآخرة أعداء مُتباغضين، باستثناء المتقين الذين تستمرُّ المودّة والأخوّة بينهم، الأخوّة التي بَنْوها على أساس الإيمان، والمحبَّة التي كانت لله تعالى وفيه، كما في الآية (٦٧) من (الزخرف).





(١) (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص٣٣٨، ومختار الصحاح، ص٤١٩، لفظ: غ ل.



المبحث الخامس عشر

أَهْلُ الجنّة ـ أي الرّجال ـ يُزَوّجون بِالحور العين اللاتي يخلقُهنّ الله تعالى في الجنّة، بالإضافة إلى نساءِ الدنيا المؤمنات

كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور].

٢. ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمٰن].

٣. ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات].

٤. ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص].

٥. ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة].

٦. ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ [الرحمٰن].

٧. ﴿...وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة].

٨. ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة].

٩. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ].

وندرج الأوصاف التي وصف الله تعالى بها الحُورَ العِينَ، في البنود الخمسة عشر الآتية، وذلك في ضوءِ الآيات المدرجة أعلاه:

١ ـ **حور**: جمع (حَوْراء) وهي المرأة الحسناء البيضاء، من (الحَوَر) وهو البياض، أو التي يَحارُ الطَّرْفُ في حُسْنها[١].

٢ ـ **عِين**: جمع (عَيْناء) وهي المرأة النّجلاء الواسعة العين في حُسْن[٢].

٣ ـ **قاصرات الطَّرْف**: أي يركِّزن ويَقْصِرْن أبصارهنَّ على أزواجهن ولا ينظرن إلى سواهم.

٤ ـ **لم يَطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ**: يقال: طَمَثَ الرَّجُل زوجته، إذا افتضَّها وأزالَ بكارتها[٣]، والمقصود بالآية الكريمة: أن تلك الحوريات لم يقربهنَّ أحد، ولم يمسَّهنّ أحدٌ قبل أزواجهن.

٥ ـ **كأمثال اللؤلؤ المكنون**: أي يُشْبِهـ َ في صفاء أَلوانهنَّ اللّآلئ المستورة في أصدافها.

٦ ـ **كأنهنَّ بيض مكنون**: أي يُشْبهنَ في بياضهن وصفاء أَلوانهنَّ، البيض المخفيّ المستور في العُشّ، حيث يبقى على لونه الأصلي الأبيض النقي.

٧ ـ **كأنهنَّ الياقوت والمرجان**: أي يُشْبهن في صفاء أَلوانهـ الياقوت، وفي حمرتها المرجان، وهما من الأحجار الكريمة المعروفة.

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٣، لفظ: ح و ر.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠٩، لفظ: ع ي ن.

(٣) المعجم الوسيط، ص٥٦٥، (الطمث: دم الحيض، طمث المرأة: باشرها).

٨ **خيرات**: خيرات مُخفَّفُ (خَيِّرات) جمع خَيِّرة، أي حسنات الخُلُق، وحائزات على خصال الكمال الأُنثوي.

٩ ـ **حِسان**: جمع (حُسْنى) وهي مؤنث (أحسن)، أي كاملات الخَلْق ورائعات الجمال.

١٠ ـ **أتراب**: جمع (تِرْب) تقول (فلانٌ تِرْبي) أي سنّه مثل سِني[١]، والمراد به هنا، أنّهنّ متماثلات في السن مع أزواجهنّ.

١١ ـ **عُرُباً**: جمع (عَروب)، والعَروب هي المرأة المُتَحبِّبةُ إلى زَوجها، وحسنة التبعُّل[٢].

١٢ ـ **كواعب**: جمع (كاعب) وهي الفتاة الشابّة التي تكعَّبتْ ثِدياها[٣]، وهي غيْر التي تتقدمُ في السنّ وتتدَلّى ثدياها.

١٣ ـ **إنّا أنشأناهنّ إنشاءً**: أي أَبْدَعْناهنَّ إبداعاً خاصاً، والمقصود به: خلق الله تعالى إياهنّ في الجنّة خصّيصاً للمتقين.

١٤ ـ **فجعلناهُنّ أبكاراً**: الأبكار جمع (بِكر) وهي المرأة التي لم تُمَسّ وبقيت بكارتها.

١٥ ـ **أزواج مُطهَّرة**: أي طهّرهنّ الله تعالى وزكّاهُنّ خَلْقاً وخُلُقاً، فهنّ لَسْنَ كنساءِ الدنيا اللاتي تَعْرِض لهنّ العوارضُ النسوية من حيض وغيره، من الناحية الجسدية، وسلاطة لسانٍ وتبرّم وغيرهما، من الناحية الخُلُقية.

---

(١) التِّرْبُ: المُماثِلُ في السِّن، وأكثر ما يستعمل في المؤنث، ج: أتراب، المصدر السابق، ص٨٣.

(٢) مختار الصحاح، ص٣٧٢، لفظ: ع ر ب.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٩٥، لفظ: ك ع ب.

ومعلومٌ أنّه لا يوجد أكمل وأحسن وأَدَق وأرقى من هذه الأوصاف الخمسة عشر، التي وصف الله تعالى بها نساءَ الجنّة اللّاتي يُنشئهنّ إنشاءً للمتقين في الجنّة ـ لكل بحسب إيمانه وتقواه، كسائر نِعَم الجنّة ـ.

وأما بالنِّسبة للنساء المؤمنات، فَلَهُنَّ شأنٌ آخر، إذْ هنَّ قرينات أزواجهنّ في النَّعيم والتكريم، كما هو الظاهر في كثير من الآيات المباركات التي تتحدّث عن ثواب أهل الإيمان ذكوراً وإناثاً ورجالاً ونساءً، كما قال تعالى:

١. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

٢. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

٣. ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

وأما حكمة تخصيص الرِّجال بالحور، فلأنَّ الجنَّة وما فيها من النَّعيم خلقها الله تعالى حَسْبما تقتضيه فطرة البشر رجالاً ونساءً، وإذا كان الرجل بفطرته يُحِبُّ التعدُّدَ، فالمرأة تُحِبُّ أن تكون مختصّة بِرَجُلٍ واحدٍ، وبعكسها تشعر بالمهانة والإحتقار، ونتكلَّم هنا عن الحالة السويّة الفطرية للرجل والمرأة، ولنا عودة لِبَحْث هذا الموضوع عند حديثنا عن المرأة والأسرة في الفصل الثالث من الباب الثالث (أي الكتاب الحادي عشر من هذه الموسوعة)، بإذن الله تعالى.

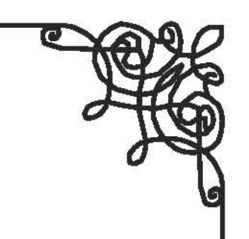
ومع هذه الآيات البيِّنات لا يبقى أي مجالٍ للقول، بأنَّ الجنّة لَيْس

فيها الإتّصال الجنسيّ المعهود في الدنيا بين الرجل والمرأة، كما قاله بعض أهل العلم في الإسلام، وكما جاء في الأناجيل المحرَّفة للنّصارى[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



(١) أُنظر على سبيل المثال (إنجيل مَتّى) الإصحاح (٢٢) الآيتين (٢٩،٣٠): (فَرَدّ عليهم يَسوعُ قائلاً: أنتم في ضلال، لأنكم لا تفهمون الكتاب ولا قدرة الله، فالناس في القيامة لا يتزوّجون ولا يزوَّجون بل يكونون كملائكة الله في السماء) - (التفسير التطبيقي للعهد الجديد)، ص ٨٦، وقد نُسِبَ هذا القول المزوَّر إلى (عيسى) عليه السَّلام في جوابه على سؤال وجّه إليه، يتعلق بموضوع الزّواج في الجنّة.



المبحث السادس عشر

أهل الجنّة يتذكّرون الدُّنيا، ويذكرون ما جرى لهم فيها، ويرون أهل جهنّم، ويجري بين الطرفين حوارٌ وكلام

كما قال سبحانه وتعالى:

١. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨)﴾ [الطور].

٢. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١)﴾ [الصافات].

٣. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ (٤٥)﴾ [الأعراف].

٤. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف].

١ ـ أما الآيات (٢٥ إلى ٢٨) من (الطّور):

فتتحدّث عن محاورة داخلية لأهل الجنّة فيما بينهم، يتذكرون فيها ويذكرون كيف أنهم كانوا في الدنيا خائفين من الله تعالى وعقابه العادل ـ والإشفاق خوف مشفوعٌ بعناية وحَذَر[1] ـ، وكيف أن الله تعالى مَنَّ عليهم وأنعم وتفضَّل فوقاهم النّار السموم ـ أي النار أو الريح التي تنفذ حرارتها في مَسامّ الجسم ـ، ثم يذكرون ويتذكرون أنهم كانوا في الدنيا يدعون الله تعالى ـ فيسألونه فضله ويستعيذون به من عذابه ـ، ثم يصفون الله تعالى بأنه هو البَرُّ الرحيم، والبَرُّ والبارُّ هو المحسن المتفضِّل[2]، والرحيم هو الثابتُ رحمتُهُ.

وبناءً عليه:

فأهل الجنّة يتذكّرون أحوالهم الدنيوية، ويتحدثون فيما بينهم عنها، متذكِّرين فضل الله ورحمته عليهم ومتحدِّثين بنعمته جل وعلا.

٢ ـ وأمّا الآيات (٥٠ إلى ٦١) من (الصافات):

فَيَقُصُّ الله تعالى علينا فيها، محاورة داخلية أخرى لأهل الجنّة فيما بينهم:

حيث يقول أحدهم لجُلسائِهِ الذين يتجاذبون أطراف الحديث بينهم: إني كان لي في الدنيا صاحب ـ بِحُكم الجوار أو المهنة أو ما يُشَابِهُهما ممّا يقتضي المصاحبة ـ وكان يقول لي: أَمُصَدِّق أنت، بأنه إذا ما مِتْنا وصِرْنا

(١) انظر: مختار الصحاح، ص٣٠٥، لفظ: ش ف ق.

(٢) مختار الصحاح، ص٥٥، لفظ: ب ر ر، (جمع البَرّ: أبرار، وجمع بارّ، بَرَرة).

تراباً وعظاماً بالية، سَنُحْيى ونُجزى؟! إذن: كان قَرِينُهُ كافراً ولا يؤمن بيوم البعث والجزاء، ولهذا وجّه ذلك السؤال الإنكاري إلى صاحبه المؤمن.

وهنا يريد ذلك المؤمن المتذكر لأحوال الدنيا، أن يعرف شيئاً عن مصير صاحبِهِ الكافر وحاله، فيقول لِجُلسائه: أَوَ تَبْحَثُون وتنظرون معي كي نعثر عليه؟!

ثم تُطوى صفحة البحث والتنقيب عنه، والذي كما يبدو كان مختصاً بجهنّم وحدها، لأنه لا جَدْوى من البحث في الجنّة عن إنسانٍ كافرٍ لا يؤمن باليوم الآخر! وسُرْعان ما تظهر نتيجة البحث، فإذا يَعثُر عليه وهو في وسط لهيب الجحيم المستعرّ!

وهنا يَشْرَعُ ذلك المؤمن الناظر، بالكلام مع قرينهِ الكافر الساخر، فيوبِّخه قائلاً: قَسَماً بالله اقتربت ـ نتيجة محاولاتك المستمرة معي ـ من إهلاكي، ولولا فضل الله ولطفه، لأصبحتُ مثلك مُحْضَراً في عذاب جهنَّم!

ثم يقول ذلك المؤمن شماتةً بصاحبه الكافر، ومتحدثاً بنعمة الله وفَضْلِهِ، وذلك بصيغة سؤال تعجُّبيّ: أَوَلا نموت موتةً أخرى ما عدا مَوْتَتَنا الأولى التي ذُقْناها، ولا نكون في عداد المعذَّبين؟! وقصده من هذا الكلام هو إظهار فَرَحِه وتَعَجُّبه من تلك الحالة، والتي يسميها بالفوز العظيم.

ثم يُعَقِّبُ سبحانه على كلامه بقوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ أي: إن هذا الفوز العظيم هو الذي يجدر به، كلُّ عَمَل جادّ وكل سعي واهتمام.

٣ ـ وأما الآيات (٤٤، ٤٥، و٥٠، ٥١) من (الأعراف):

ففيها حوار وسؤالٌ وجوابٌ مُتَبادَلٌ، بين أهل الجنّة السُّعداء وأَهل جهنَّم التُّعساء:

حيثُ ينادي أولاً أهلُ الجنّة، أهلَ النّار قائلين:

ها نحن قد وجدنا مِصْدَاقَ ما وعَدَنا به ربُّنا، على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسّلام، ومن خلال كتبه ـ وهو الجنَّةُ ونعيمُها المقيم ـ فهل

أنتم أيضاً حُقِّقَ لكم وَعْد ربكم ووعيده؟! ـ ومن الواضح أن قصد أهل الجنّة بتوجيه هذا السؤال إلى أهل النّار، هو التبكيت والتخجيل لهم، وإلّا فهم يخاطبونهم وهم وسط جهنّم! ـ ويجيبونهم بـ(نعم) فَحَسْبُ! وكأنهم يتعسّر عليهم الكلامُ وهم فيما هم فيه!

ثم يُعْلِمُ مُعْلِمٌ بينهم، مبيِّناً سبب تلك العاقبة الوخيمة لأهل النّار، قائلاً: لعنة الله على الظالمين (أي الكافرين) الذين كانوا يمنعون الناس من اتِّباع دين الله وطريقه، وكانوا يحاولون تشويهه في أنظار الناس وإراءَته لهم عُوَجاً، ثم يُعلِّل موقفهم وتصرُّفهم ذلك، بعدم إيمانهم بالآخرة: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

وفي الجزء الثاني من الحوار بين أهل الجنّة وأهل النّار، يُنادي أصحابُ النّار أصحابَ الجنَّة، طالبين منهم أن يُلْقوا إليهم ويُتْحِفوهم بشيء من الماء البارد، أو الفاكهة وغيرهما من رزق الجنَّة الوافر، ولكنهم يجيبونهم، بأن رزق الجنّة ومن ضمنه الماء والفاكهة، حَرَّمَهُ الله على الكافرين وحَرَمهم منه!

ثم يذكِّرونهم ببعض أعمالهم الكفرية، أو أن الله تعالى هو الذي يُعَقِّبُ على جواب أهل الجنَّة مؤيِّداً ومعرِّفاً بالكافرين من خلال بعض أوصافهم التي أَوْدَتْ بهم، وهي:

أ ـ اتّخاذ دين الله لَهْواً ولَعِباً، وذلك بسُخْريتهم به، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة].

وقد يكون المراد باتّخاذ دينهم لَهْواً ولعباً، هو جعلهم اللّهو واللّعب الدِّين الذي يَتَّبِعونَه في حياتهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا﴾.

ب ـ إغترارهم بالحياة الدنيا، وانخداعهم بمتاعها القليل المؤقت: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾.

ج ـ نسيانهم لقاءَ الله تعالى: ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾.

د ـ جحودهم بآيات الله تعالى الكونية والشرعية: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾.

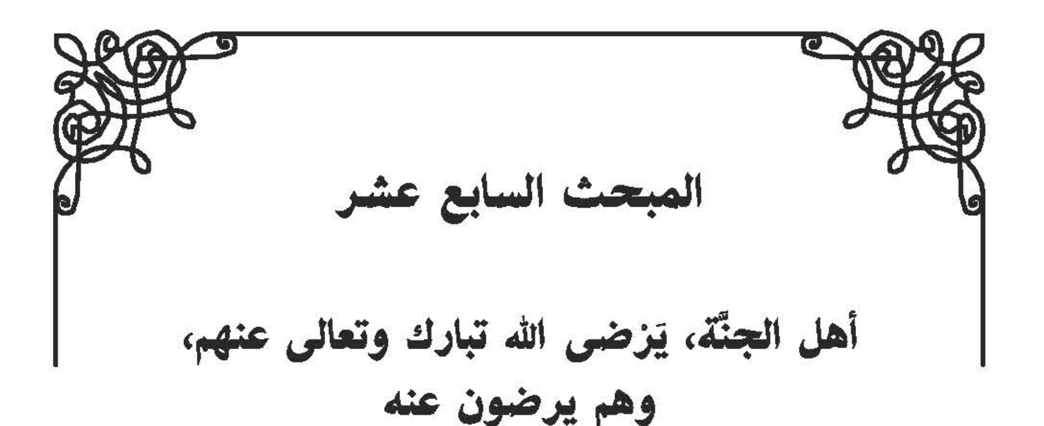
إذن:

أهل الجنّة يتذكّرون في مجالسهم الودّية الأخوية، أيّامَ الحياة الدنيا، ويذكرون فيما بينهم أعمالَهم الصالحة، ومواقِفَهم الإيمانية التي وفّقهم الله تعالى لها، والتي أثمرت لهم بفضل الله الكريم دخول الجنّة والنّجاة من النّار، وكذلك يتذكّرون معارِفَهم الذين كانوا يخالطونهم ـ من أهل الكفر ـ بِحكمِ الجِوار أو الكسب والمعاش أو القرابة أو غيرها من الروابط الإجتماَعية، ومن ثم يعثرون عليهم بعد البحث عنهم في النّار، ويخاطبونهم ويوبِّخونهم ويَشْمِتون[1] بِهم... الخ.

ومن الجلّيّ أنه بات تصوّر ما ذكره الله تعالى في كتابِهِ الحكيم، من مخاطبة أهل الجنّة وأهل النّار بعضهم بعضاً، ورؤية بعضهم بَعْضاً، في عصرنا الحالي الذي استطاع فيه البشَرُ اختراعَ أجهزة الرّاديو والتلفاز والإنترنيت، التي قرّبت المسافات البعيدة بين البلاد، بل جعلت العالم من أقصاه إلى أدناه وكأنّه ـ كما يقال ـ قريةٌ صغيرة، أجل بات تصّور ما ذكره الله العالم الخبير، سهلاً ميسوراً في هذا العصر، وإذا كان البشر بوسعهم صنع تلك الأجهزة التي أشرنا إليها وأمثالها، فشأن الله الخالق وما يبدعه لأهل جنّته، لا يقاس بشأن المخلوقين، وأين الإنسان المخلوق من التراب والطين، من الله ربّ العالمين تبارك وتعالى!



(١) شمِتَ يَشْمَتُ بِه: أي أَظْهر الفَرَح بمصيبتِهِ، فالشّماتة أن تُظْهِرَ الفَرَح بمصيبة عدوِّك، يقال: شمِتَ يشْمَتُ كفرحِ يَفْرحُ، شَماتاً وشماتة، أُنظر: مختار الصحاح، ص٣٠٨، لفظ: ش م ت.



المبحث السابع عشر

أهل الجنّة، يَرضى الله تبارك وتعالى عنهم، وهم يرضون عنه

كما قال الله العليُّ العظيم:

١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

٢. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

٣. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

٤. ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

ومن المعلوم أنه لا تعادِلُ نعمةٌ من نعم الجنّة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، نعمةَ رضوان الله تعالى، ولهذا اعتبره سبحانه الأكبرَ من بينِ نعم الجنّة: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ورضوان من الله أكبر من الجنّة

وما فيها، بل والله الذي لا إله إلّا هو لا تساوي الجنّة ونعيمها المقيم شيئاً، إذا لم يكن قبلها رِضى الله تبارك وتعالى! ولذلك حصر الله تعالى الفوز العظيم، في رضوانه الذي هو أكبر من كل ما سواه من نعيم الجنّة: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

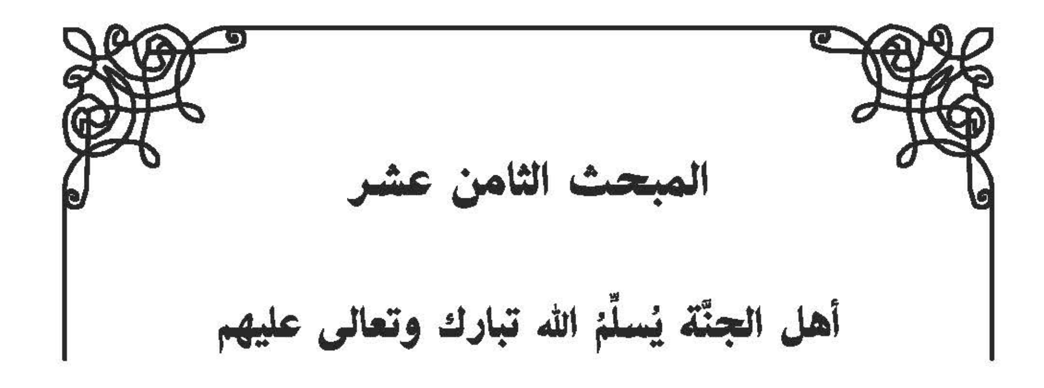
ومن الواضح أن ثَمّة تلازماً سببياً، بين رضوان الله تعالى ودخول الجنّة، إذ لا يُسْمَح لأحد بدخول الجنة، ما لم يكن مَرْضياً لله تعالى، ولكن شعور أهل الجنة برضى الله عنهم، هو أفضل وأجلُّ نِعَم الجنة على الإطلاق!

وممّا يدلُّ على ما قلنا، هذا الحديث النبوي القدسيّ المبارك:

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الله يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضى وَقَدْ أَعطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحداً مِنْ خَلقِكَ! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفضَل مِنْ ذلِكَ قالُوا: يَا رَبِّ وَأَي شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُول: أُحِل عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسخطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»** (رَوَاهُ أَحْمَد برقم: (١١٨٥٣)، وَالبُخَارِيُّ برقم: (٦٥٤٩)، والتِّرمِذيُّ برقم: (٢٥٥٥)).

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث الثامن عشر

أهل الجنّة يُسلِّمُ الله تبارك وتعالى عليهم

كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس].

وقد رتَّب الله تعالى أربعاً من نِعَمِه التي يُكْرِم بها ضيوفَهُ في مستقرِّ رحمته، في هذه الآيات ترتيباً متدرجاً من الأدنى إلى الأعلى، وهي:

١ ـ الإِتّكاء[1] مع الزوجات على الأرائك في ظلال الأشجار.

٢ ـ حيازة كل أنواع الفواكه التي يرغبون فيها.

٣ ـ إحضار كلّ ما يطالبون به، لهم.

٤ ـ سلام الله تبارك وتعالى عليهم.

ومما لا ريب فيه أنّ سلام الله تعالى عليهم، هو أَجَلُّ النِّعم وأفضلها وأعلاها، إذْ هو علامة رضاه عنهم.

(١) الإتكاء هو الارتفاق على المخدّة ونحوها، أو الإستناد بالظهر على الوسادة (النمرقة)، وعلى أي حال، فالمراد بالإتكاء هو حالة الإِستراحة والإِسترخاء، وانظر: مختار الصحاح، ص٦٢٩، لفظ: و ك أ.



المبحث التاسع عشر

أهل الجنّة يَحظَوْن بلقاءِ الله تعالى، ورؤيته المباركة

كما قال الله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

أي: وجوه في اليوم الآخر - في الجنّة - تكون ناضرة مبتهجة منوّرة متلألئة تنظر إلى ربها - تبارك وتعالى -.

وحَقٌّ لِوَجْهٍ ينظر إلى الله سبحانه وتعالى، أنْ يتنوّر ويتلألأ ويتنضّر.

ونُورِدُ هذا الحديثَ النّبوي الشريف، حول رؤية أهل الإيمان ربّهم تبارك وتعالى يوم القيامة:

(عَنْ أَبي هُرَيرَة ﷺ قال: قَالَ أُناسٌ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! فَقَالَ: **«هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟** قَالُوا: لا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيلَةَ الْبَدْرِ لَيسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟!** قَالُوا: لا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذٰلِكَ. . .»** (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٧٣)).

أقول:

ولا يعرف قَدْرَ نعمة النظر إلى الله تبارك وتعالى، وما فيه من السّرور والسّعادة والحبور وقُرَّةِ العَيْن، إلّا من ذاق حلاوة معرفته سبحانه وتعالى، والإيمان به، ومحبّته، والأُنس به والقُرْبِ مِنْهُ.



المبحث العشرون

أهل الجنّة علاوة على أنّ لهم كلّ ما يشاؤون ويشتهون، يزيدهم الله تعالى دوماً من فَضْلِهِ وإنعامه وكَرَمه اللاّنهائي

كما قال الله تعالى:

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

يبيِّن سبحانه أن يوم القيامة سَتُدْنى وتُقرَّبُ الجنّة للمتقين، ولا تكون بعيدة عنهم، ثم يبيِّنُ جلَّ شأنه أن المتَّقين، إنما يَسْتَحِقّون ذلك الشرف العظيم والتكريم من رب العالمين، لاتّصافهم بصفات عظيمة، أهمّها:

أ - **كثرة الرّجوع إلى الله تعالى بالتوبة والدعاء والتوكّل والرغبة والرهبة:** ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾.

ب - **كثرة الحَذَر والتوقّي من الذنوب، والمحافظة على شريعة الله وحدوده:** ﴿حَفِيظٌ﴾.

ج - **الخشية من الله بِالغيب، أي: مع كون الله تعالى غائباً عنه، أو في حالة الغَيبة عن الناس:** ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

د - **إمتلاك قلْبٍ رجّاعٍ إلى الله تعالى في كل الأحوال:** ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾، فَيُصْدِرُ سبحانه أمرَهُ العُلويّ لأهل التقوى بدخول الجنّة سالمين، مخْبِراً إيّاهم بأن ذلك اليوم هو يوم الخلود الذي لا موت عَقِبَهُ، ولا فناء بعده، ثم يُعْلِنُ الربّ الأكرم جلّ وعلا، بأن أهل الجنّة لهم فيها: كلُّ ما يشاؤونه ويتمنّونه ويرغبون فيه، وفضلاً عن ذلك، فهو سبحانه لديه لهم المزيد والمزيد من التكريم والنَّعيم!







المبحث الحادي والعشرون

أهل الجنّة لَيسوا على درجةٍ واحدة، بَـ بينهم تفاضل، وهم على مراتب شتّى، كل بحسب إيمانه وتقواه

كما قال الله تعالى:

١. ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء].

٢. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا . . .﴾ [فاطر].

٣. ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة].

٤. ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة].

٥. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن].

ووجود التفاضل في الدرجات، والتفاوت في المراتب بين أهل الجنّة

في ضوء أنوار هذه الآيات، جليٌ ولا يَخفى على أحد:

١ ـ أما في الآية (٢١) من (الإسراء) فَيُبَيِّن سبحانه أن الناس في الآخرة، يكون التفاوت والتفاضل بينهم في الرتب والدرجات أكبر وأوضح منه في الدنيا.

٢ ـ وفي الآيتين (٣٢، ٣٣) من (فاطر) يبيِّن سبحانه أنّه قد أعطى كتابَه الخاتَمَ ـ أي العلم والعمل به ـ عباده المصطفين، والمقصود بهم أهلُ الإسلام وأمّةُ النبيِّ الخاتم ﷺ، ثم يُقسِّم أولئك العباد المصطفين الذين أورثهم كتابه، إلى ثلاثة أصناف:

أ ـ ظالم لنفسه، وهو الذي رجَحَتْ سيِّئاتُهُ على حسناتِهِ.

ب ـ مُقتصد، وهو الذي تساوت حسناتُه وسيئاتُهُ، فكان متوسّط الحال[1].

ج ـ سابق بالخيرات، وهو الذي سبق غيرَهُ في ميدان الطاعة ورجَحَت حسناتهُ على سيئاتِهِ.

وبديهيٌ أن لكل من هذه الأصناف الثلاثة في الآخرة، حالا غير حال الآخرين، لأن ثواب الآخرة مترتبٌ على عمل الدنيا، ويكون بحسبه وعلى قدره، كما قال تعالى: ﴿... وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٣ ـ وكذلك في الآيات (٧ إلى١٢) و(٨٨ إلى ٩١) من (الواقعة) يُبَيِّن الله تعالى انقسام الناس في كل من الدار الآخرة وعالم البرزخ : ثلاثة أقسام:

أ ـ (أهل الكفر) =﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

ب ـ (أهل الإيمان) =﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

ج ـ (أهل الإيمان) =﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾.

---

(١) مختار الصحاح، ص٤٦٦، لفظ: م ق ص د.

والملاحَظُ أن الله تعالى ذكر تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: (المقرّبين، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال: المكذّبين الضالّين) في سورة (الواقعة) مرتين، في بداية السورة، من الآية (٧ إلى ٥٦) وفي نهايتها، من الآية (٨٣ إلى ٩٤)، ولا بدّ لهذا التكرار من حكمة، وهي ـ كما أرى ـ:

أن المرة الأولى بيانٌ لِمَصير الأصناف الثلاثة في اليوم الآخر، وعند استقرارهم في الجنّة والنّار، ولكن المرة الثانية بيان لمصيرهم في عالم البرزخ، كما أشرنا إلى هذا سابقاً، والدليل على هذا:

أن البيان الأول، جاء بعد ذكر الساعة والتي تعقبها القيامة، ثم الحشر والحساب والسوق إلى الجنّة أو النّار، لِذا: فالمقصود به هو الإستقرار النهائي الأبدي للناس في منازلهم الأخروية، وكذلك جاء البيان الأول مفصلاً، إذ استغرق مِسَاحَة خمسين (٥٠) آية.

ولكن البيان الثاني جاء عقب ذكر قبض الروح ومفارقتها للبدن، واستعملت في الإخبار عن مصير كل من الأصناف الثلاثة (ف) التعقيبية:

أ ـ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة].

ب ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة].

ج ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة].

وكذلك جاء البيان الثاني مختصراً، مستغرقاً مساحة اثنتي عشرة (١٢) آية فحسب.

٤ ـ وفي الآيتين (٤٦ و٦٢) والآيات التي تليهما من (الرحمٰن) صفَ الله تبارك وتعالى جنّتين، ويُبَيِّنُ ما فيهما من النعيم الراقي، ثم يذكر بعدهما جنتين، هما أدنى مستوىً من السابقتين، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وكذلك تدل نوعية الأوصاف إذ هي دون أوصاف، الجنّتين السابقتين.

ونختم هذا الموضوع بهذا الحديث النّبوي الشريف:

(عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁ عَنِ النَّبِ ﷺ، قَالَ: **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغرَفَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٥٥))[١].





(١) الغُرَف وكذلك الغُرُفَات جمع غُرْفَة وهي العُلِّيَّة جَمْعُهَا: العَلاليُّ، والعُلِّيَّة: الغُرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها، وفي اصطلاح أهل العصر: القصور. أنظر مختار الصحاح، ص٤١٣، لفظ: غ ر ف، والمعجم الوسيط، ص٦٢٥.



المبحث الثاني والعشرون

خلاصة ما تُوصَفُ به الجنّة: أَنها نعيم مُقيم، وأجرٌ عظيم، وملكٌ كبيرٌ، لا يعرفها على حقيقتها إلّا الله تبارك وتعالى

كما قال تعالى:

١. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

٢. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان].

٣. ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

١) ففي الآية (١٧) من (السّجدة):

يُعلن الله تبارك وتعالى، بأنَّ أية نَفسٍ مؤمنةٍ لا تَعْلَم ما أخفاه لها الله تعالى في الجنّة، ممّا تَقرُّ به عَيْنُها، أي: تفرح به غاية الفرح والسرور.

وكلمة ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من: (قَرّتْ عَيْنُهُ تَقِرُّ قرّ"، إذا رأت ما كانت متشوّقة إليه، مأخوذ من القرار بمعنى الإستقرار، أي السكون، لأن العين إذا رَأَتْهُ، سَكَنَتْ إلَيه ولم تنظر إلى غيره أو من: (القَرّ) وهو البَرْد، وذلك لأَنَّ دَمعة الفَرَح باردة)[1].

(١) انظر (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص٣٩١،٣٩٢، وانظر: مختار الصحاح، ص٤٥٩، لفظ: (ق ر ر).

٢) وفي الآية (٢٠) من (الإنسان):

يقول سبحانه وتعالى بعد ذكر كثيرٍ من نِعَم الجَنَّة: وإذا رأيت هناك - أيها الإنسان - رأيت وشاهدتَ نعيماً وملكاً كبيراً، وكَفى بملكٍ كِبَراً، أن يُسَمِّيه الله الكبير المتعال سبحانه، كبيراً!

وفي الآيتين: (٢١، ٢٢) من (التوبة) يُبَشِّر الله الكريمُ جلَّ شأنه عبادَهُ المؤمنين، بعد تبشيره إيّاهم برحمته الجليلة ورضوانه الأكبر، بأنَّ لهم في الجنَّة:

أ - نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

ب - وخلود أبدي ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

ثم يؤكِّد سبحانه أنَّ عنده - لأهل الإيمان عموماً، وللمجاهدين منهم خصوصاً - : ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ومعلومٌ أن أجر الله العظيم يتمثل في جَنّته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

إذن: يكون مجموع الأوصاف التي وصف الله تعالى بها الجنّة في هذه الآيات، خمسة أوصاف:

١ - نعيم مقيم.

٢ - خلود أبدي.

٣ - أجر عظيم.

٤ - ملك كبير.

٥ - فوق تصورات البشر وتوقّعاتهم.

ونجعل هذا الحديث القدسي المبارك مسك ختام هذا الموضوع:

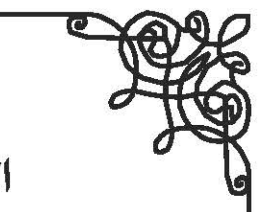
(عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ الله: **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلْهَ ما أُطْلِعْتُمْ عَلَيهِ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم**

مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة]) (رَوَاهُ البُخاري برقم: (٤٧٨٠)).

وقوله تعالى في الآية (١٧) من (السجدة) وكذلك في الحديث القدسي الآنف الذكر، واضحُ الدلالة على أن نعيم الجنّة، لا يُعْ ف على حقيقته إلّا بعد مُشاهدته، وهذا هو المراد بقوله تعالى في الحديث المارّ ذكره: (بَلْهَ ما أُطْلِعتم عليه) ـ أي دَعُوا ما أَطْلَعكم الله تعالى عليه في كتابه وتجاوزوه ـ إذ المقصود به ـ حسب فهمي ـ: أن ما أَطْلَعكم الله عليه، لَيْسَ هُوَ كلُّ ما في الجنّة، بل الجنّة فوق هذا، وليس ذلك بسبب القصور في تعبير كلام الله سبحانه وتعالى، وحاشا لكلام الله من النقص والقصور، بل بسبب عجز الإدراك البشري، في هذه النشأة الإبتلائية، عن استيعاب وفهم حقيقة ذلك النَّعيم المقيم العظيم، الذي ليس بينه وبين نعيم الدنيا ومتاعها أية مناسبة، اللّهم سوى الإشتراك في الاسم، كما قال (عبَدالله بن عبّاس) ﷺ، وقد نقلنا قوله بهذا الصّدد سابقاً ـ في المبحث الثاني من هذا الفصل ـ.

❑❑❑❑❑❑





المبحث الثالث والعشرون

أهل الجنّة لا يعتريهم المَلَل والضّجر في الجنّة، مع طول البقاء اللّانهائي، ولا يَوَدُّون التحوّلَ عنها أبداً، لأنه لا يوجد شيءٌ أفضلَ منها، بل مِثْلَها، بَلْ شِبهَها

كما قال الله العليم الحكيم تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

أي: إن الذين آمنوا بكل ما يجب أن يؤمَنَ به، وعملوا الصالحات من الأعمال واتّصفوا بالجميل من الخصال، يُهيَّأُ لهم المنزل ومحل الإستقرار، ويُكرَمُون بأتَمِّ ما يُكْرَمُ بِهِ ضَيفٌ كريم في جنات الفردوس، فَيُخَلَّدون فيها، ولا يَودُّون التحوُّلَ عنها إلى غيرها.

وجنّات الفردوس هي أعلى أماكن الجنّة، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه البخاري (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا**

سأَلْتُمُ الله فسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلى الْجَنَّةِ، فوْقهُ عرْشُ الرَّحْمن مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنَّةِ») (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٩٨٧)).

و(حِوَلاً) أي تحوّلاً وانتقالاً، كـ(عِوَج) و(صغَر)، فهو مصدر مثلهما، يقال: حال من مكانه حوَلاً.

وأقول:

سبحان الذي أجاب في كتابه الحكيم المبين، عن كل تساؤل يمكن أنْ يجول في ذهن البشر، حول كل الأمور المهمة المرتبطة بالدنيا والآخرة!

إذْ يتصوَّر بعضُ النَّاس أن طولَ البَقاءِ في الجنَّة والخلود الأبديَّ، رُبَّما يؤدِّي بهم إلى الملَل والضَّجَر والسَّآمَةِ!

فبيَّن سبحانه وتعالى حقيقة أن حياة أهل الجنَّة، لا يعتريها السَّأم والملَلَ.







المبحث الرابع والعشرون

أهل الجنّة، يَرْونَ مقاعدهم من النار التي لو أنهم أَساؤوا، لَدَخلوها، ليزدادوا شكراً

كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن].

- وقد بينّا مفهوم هذه الجملة المباركة سابقاً فلا نعيده، ولكن نوردُ هذا الحديث النبوي الشريف الذي يبيِّن فيه رسولُ الله ﷺ كيفية غَبْنِ كُلّ من المؤمن والكافر بعضهما بَعْضاً.

أي أخذ المؤمن مكانَ الكافر المُعَدَّ له في الجنّة، لو أنه أطاع، وأَخذ الكافر مكان المؤمن في النّار، لو أَنه عصى الله مثله:

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ، إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ، إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً»** (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٥٠)).

ومن الواضح أنه لا يمكن أن تبقى أمكنة أهل الجنّة المَعَدَّة لهم في النّار خالية، ولا أمكنة أهل النّار المعدة لهم في الجنّة خالية، لِذا سيرث كل من أهل الجنّة وأهل النّار بعضهم بعضاً، ولكن أنعم بالجنّة ميراثاً ونصيباً، وبئس الميراث والقسمة النارُ!







المبحث الخامس والعشرون

أهل الجنّة يحمدون الله تعالى على هدايته لهم في الدنيا، وإذْهابِه الحزَنَ عنهم، وإيراثه الجنة إيّاهم

كما قال الله تبارك وتعالى:

١. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف].

٢. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

٣. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر].

ونُدْرِجُ ما تتضمَّنُهُ هذه الآيات من الحقائق والحكم الربّانية، في البنود الخمسة عشر الآتية:

١) الإيمان والعمل الصالح، هو الأساس الذي يُرتِّب الله عليه دخول الجنّة:

كما في الآية (٤٢) من (الأعراف).

٢) والإيمان والعمل الصالح، لا يصعب على الإنسان، بل هو في وسعه، بدليل أن الله تعالى كلّفه به، ولا يُوجِبُ الله الرحيم الحكيم على الإنسان، ما ليس في وسعه:

كما في قوله تعالى:

﴿...لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ كجملة معترضة بين قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وقوله: ﴿...أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

٣) أهل الجنة وإن كانوا ضيوفاً على الله تعالى، ولكن الله تعالى يُملِّكهم الجنّة تمليكاً، ويجعلهم أصحابها:

كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿... أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، لأن صاحب الشيء هو مالكه.

٤) وأصحاب الجنّة يُخَلِّدُهم الله تعالى فيها:

كما في قوله تعالى في آخر الآية (٤٢) من (الأعراف): ﴿...هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

٥) وأهل الجنّة يَغسِلُ الله تعالى صُدورَهم من أوشاب الحقد والبغض تجاه بعضهم البعض:

كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٦) وهم تجري تحت قصورهم ومنازلهم الأنهار:

كما في قوله تعالى: ﴿...تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

٧ و٨) وهم يَحْمَدون الله تعالى ويُثْنون عليه، على هدايته وتوفيقه لهم كي يسلكوا صراطَه المستقيم، ويُقِرّون بأنه لولا فضله عليهم بهدايته إياهم، لما نالوا الهدايةَ بجهدهم الذاتي:

كما في بداية الآية (٤٣) من (الأعراف).

وقد وضَّحنا في الفصل الأول من هذا الباب ـ أي الكتاب الثاني ـ، معنى وكيفية هداية الله تعالى وتوفيقه وتيسيره للعبد، في مجال نيل الإيمان.

٩) وهم يُعْلِنون ـ من باب التحدُّث بنعمة الله تعالى ـ أن رسُلَ الله الكرام عليهم السَّلام كانوا قد جاؤوا بالحق، وقد يكون هذا القول توبيخاً للكافرين المنكرين للرسل والأنبياء عليهم السَّلام:

كما في قوله تعالى: ﴿...لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٠) ويخاطبهم الله تعالى مباشرة أو عن طريق الملائكة، بأن تلك الجنة التي جُعِلَتْ مِلْكَكم كالميراث، إنما نِلْتُموها بسبب أعمالكم:

كما في قوله تعالى في آخر الآية (٤٣) من (الأعراف): ﴿...وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

١١) وأهل الجنة يحمدون الله تعالى على إذْهابِهِ الحَزَن عَنهم:

كما في الآية (٣٤) من (فاطر).

١٢) وكذلك يحمدونه سبحانه، لإسكانه إيّاهم الجنة التي يسمُّونها (دار المقامة)، لأنها لا توجد مثلها دار للإقامة:

كما في الآية (٣٥) من (فاطر).

١٣) وهم يُرْجِعون سَبَب نيلهم الجنة واستقرارهم فيها، إلى رحمة الله تعالى وفَضْلِهِ:

كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

وقد بيّن رسول الله ﷺ هذا الموضوع بقوله:

«سَدِّدُوا وَقارِبُوا وأَبْشِرُوا، فإِنَّهُ يُدخِلُ أحداً الجنَّة عملُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: ولا أَنَا إِلَّا أَن يَتَغمَّدنِي الله بِمغفِرةٍ وَرحمةٍ» (رَوَاهُ أَحْمد برقم: (٢٦٣٨٦)، وَالبُخَارِيُّ برقم: (٦٤٦٧)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٨١٨)، عَنْ عَائِشَة ﵂).

هذا وقد يظنّ ظان أنَّ بين هذا الحديث الشريف الذي هو توضيح لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر]، في الآية (٣٥) من (فاطر)، وبين قوله تعالى: ﴿...وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، شيئاً من التناقض، ولكن لا تناقض، والمسألة بهذه الصورة:

إنَّ عمل المؤمن وإن جعله الله سبباً لدخوله الجنّة، ولكنه ليس سبباً كافياً ومتكافئاً مع ما في الجنّة من النّعيم المقيم والأجر العظيم، لِذا جُعِلَ دخول الجنّة من أثر فضل الله تعالى وكَرَمِهِ.

١٤) ويُعْلِنُ أَهلُ الجنّة، أنهم لا يصيبهم فيها شيءٌ من التّعَب والمشقّة والفتور والإعياء:

كما في قوله تعالى في آخر الآية (٣٥) من (فاطر): ﴿...لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾[1] ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[2].

١٥) وأخيراً يَحْمَدُ أهلُ الجنّة ربَّهم الكريم جلّ وعلا، الذي صدق وعدَهُ معهم وأورثهم الجنّة التي يتقلّبون فيها وفي نعيمها حسبما يشاؤون ويرغبون، ويُشيدون بأعمالهم الصالحة التي وفقهم الله تعالى لها وجعلها

---

(١) نَصب: تَعِبَ، فالنَّصَب هو التَّعَب. مختار الصحاح، ص٥٦٩، لفظ: ف ص ب.

(٢) اللُّغوب: التعب والإعياء، لَغَبَ يَلْغُبُ، مثل: دَخَلَ يَدخُلُ. مختار الصحاح، ص٥١٨، لفظ: ل غ ب.

(بفضله) سبباً لِدُخولهم الجنّة وثمناً لها، وكأن الجنّة هي أجرٌ لهم من الله على تلك الأعمال:

كما في الآيتين (٧٣، ٧٤) من (الزّمر).

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿... فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ تعقيباً من الله تعالى على كلام أهل الجنّة، مُشِيداً بأعمالهم التي جعل سبحانه كَرَماً منه وفضلاً ـ جنّته أَجْراً وثواباً لها!

ونحن نحمد الله تعالى على هدايته وتوفيقه وتيسيره، ونسأله المزيد والمزيد والمزيد من كرمه اللامحدود وفضله اللانهائي، ونسأله سبحانه أن يُجنّبَنَا النّارَ ويُعيذَنا منها، وأن يُدْخِلنا مُستقرّ رحمته ومحل رضوانه: جنّته دار السّلام التي دعانا إليها، وأنزل علينا كتابه الكريم لنهتدي به إليه، ونَستأهِلَ النزولَ عنده في دار كرامته، كما قال:

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس].

وهنا نختم الحديث عن الفصل السادس، وننتقل بتوفيق الله تعالى إلى الفصل السابع والأخير من هذا الكتاب.





لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
AliBapir/عەلی باپیر
MediaAmeerOffice
AliBapirı
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir/عەلی باپیر
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir / عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



الفصل السابع

ثمان مسائل متفرِّقة مرتبطة باليوم الآخر



MediaAmeerOffice
AliBapirw/عەلی باپیر
archive.org/details/@alibapir
AliBapir
Google Play
App Store
لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir1
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir / عەلی باپیر
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



سنُلْقي في هذا الفصل بِتوفيق الله تعالى، شيئاً من ضوء أنوار آيات الله على المسائل الثماني الآتية، التي لها ارتباط باليوم الآخر ككل، أو ببعض مراحله وأحداثه التي تجري فيه، وذلك في ثمانية مباحث، كل مسألة في مبحث مُستقل، وهذه هي عناوين المباحث:

١ ـ حكمة إخفاءِ موعد الساعة.

٢ ـ أشراط الساعة.

٣ ـ الجنّة والنّار مخلوقتان، وهما موجودتان الآن.

٤ ـ مَن هم أصحاب الأعراف؟!

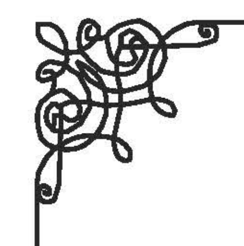
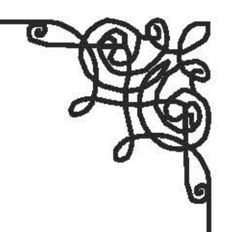
٥ ـ مَصيرُ أصحاب الكبائر من أهل الإيمان.

٦ ـ المنافقون لهم حالة خاصة بهم، عند َ ْقهم إلى جهنَّم.

٧ ـ الخلودُ الأبديُّ في الجنّة وفي جهنَّم، والجواب عمّا يُثيره ظاهرُ بَعْضِ الآيات من إشكال.

٨ ـ نشأة الآخرة تختلف عن نشأة الدنيا في كثير من الأمور.

ونبدأُ بالمبحث الأول:

المبحث الأول

حكمة إخفاءِ موعد الساعة

قد أخفى الله الحكيم موعِدَ الساعة عن خلقه كافةً، فلا يعلمه سواه، لا نبي مُرْسَلٌ، ولا مَلكٌ مقرَّبٌ، وهذه بعضُ الآيات بهذا الصَّدد:

١. ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

٢. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات].

٣. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف].

٤. ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه].

٥. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان].

وقد جاء في الحديث المشهور بـ(حديث جبريل) الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن (عمر بن الخطاب) ﷺ، وكذلك أخرجه البخاري في

صحيحه بلفظ قريب منه عن (أبي هريرة) ﷺ، أن جبريل عليه السلام لما سأل رسول الله ﷺ عن الساعة قائلاً:

(متى الساعة؟!) أجابه ﷺ بقوله:

«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[1].

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع أيضاً في الفصل الرابع من الكتاب الأول، وعلّقنا على الآيات التي أوردناها هنا، لِذا لا نُطِيلُ الوقوف أمامه هنا، ونكتفي بالقول:

إن كون موعد الساعة مَخْفيّاً عن جميع الخلق، شيء واضح لمن تأمّل الآيات التي استشهدنا بها، وهي أمثلة فقط في بابها، ثم من الجليّ أن (محمّداً) ﷺ هو سيِّد الخلق، وكذلك جبريل عليه السلام هو ـ على ما يبدو ـ أفضل ملائكة الله وأعلاهم مقاماً عند الله تعالى، كان موعد الساعة خافياً عليهما، كما نُصّ عليه في الأحاديث النّبويّة، وسنُشير إلى بعضها لاحقاً، وما دام موعد الساعة خافياً عن سيِّد الإنس والجن ﷺ ورئيس الملائكة المقربين عليه السّلام، فغيرهما أولى وأحرى ألّا يعلم عنه شيئاً.

هذا بالنّسبة لخفاء موعد مجيء الساعة عن الخلق، وأمّا بالنّسبة لحكمة ذلك الإخفاء ـ والله تعالى هو الحكيم العليم ـ فهي:

أن يظل الناسُ في حالة تَرقُّبٍ وانتظار، بحيث يتوقَّعون وقوعَ الواقعة ومجيء الساعة في كل لحظة، وذلك كي يَبْقُوا متيقظين حذرين وعاملين بِجِدّ في الإستعداد لذلك اليوم العظيم، كالمسافر الذي يكون على أُهْبَةِ السَّفر فيجتنب الغفلة والإلتهاءَ، ويكون اهتمامُهُ مُنْصَبّاً دَوْماً على تهيئة مستلزمات سفره، من زاد ولباسٍ ومركوبٍ، ومعرفة الطريق، واختيار الرِّفقة المُناسبين!

---

(١) (صحيح البخاري)، برقم: (٣٨)، (باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة)، و(صحيح مسلم) برقم: (١).

ولذلك بيّن سبحانه أن الساعة تأتي فَجْأَةً وعلى حين غِرّةٍ وغفلة، كما قال: ﴿... ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل].

ويصوِّر لنا رسولُ الله ﷺ هذه الحقيقة ـ أي قيام الساعة فجأة ـ بهذا الحديث الذي يحتوي على عدة مشاهد:

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ** ﴿... لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام]، **وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكلَتَهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَطْعَمُهَا»**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٠٥)).

ولكن موعد الساعة وإن كان مجهولا لنا ومخفياً عنّا، فالساعة على أيِّ حالٍ قريبة وليست بعيدة ـ وكل آتٍ قريب ـ قال تبارك وتعالى في هذا المجال:

١) ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر].

٢) ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء].

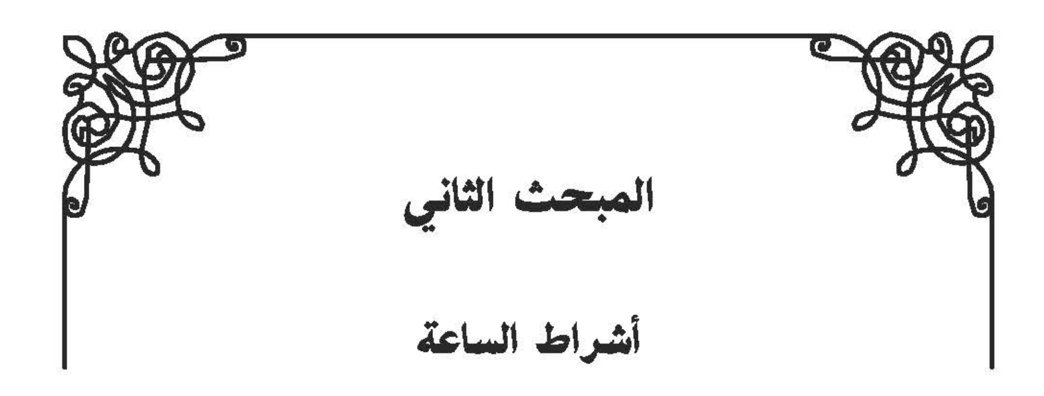
٣) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج].

وجديرٌ بالذكر أن علماء الفلك والفيزياء الآن، وبعد اكتشاف الحقيقة التي سَمَّوْها بـ(القانون الثاني للديناميكا الحرارية) القائلة بأن الحرارة تنتقل باستمرار من الأجسام ذات الحرارة العالية إلى الأجسام ذات الحرارة المنخفضة أو عديمة الحرارة، وسيستمر ذلك الإنتقال إلى أن يتساوى ذانك

النوعان من الأجسام في الحرارة، وعندئذٍ ستتوقف حركتها وينتهي نظام الوجود الحالي، نعم بعد اكتشاف هذا القانون، أَجْمعَ علماء الفلك والفيزياء بأن هذا العالم لا بُد وأن تكون له نهاية محتومة!







المبحث الثاني

أشراط الساعة

الأشراط جَمع (شَرَطْ) أي العلامة، وأما (الشروط) فهو جمع (شَرْط) والشّرْط هو ما يتوقف وجودُ أو بقاءُ المشروط على وجوده.

وقد بيَّن سبحانه وتعالى أن مجيء الساعة له علامات وقرائن، وأن بَعْضَها قد ظهرت فِعلاً، كما قال:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾ [محمد].

أي: فماذا ينتظرون ـ أي الكفّار ـ غير مجيء الساعة فجأةً، فقد ظهرت علاماتُها ـ أي بعضها ـ فكيف يتذكّرون وَيَتّعِظون ويتداركون ما فاتهم، إذا ما قدِمَتْ عليهم على حين غفلةٍ!

وكذلك جاء في الحديث المشهور بحديث جبريل عليه السلام، أنه لما سأله جبريل عن الساعة، قال ﷺ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُخْبِرُكَ عَن أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتْ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْغَنَمِ فِي الْبُنْيَانِ...**» (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه برقم: (٤٠٤٤) عَنْ أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه، وصحّحَهُ الألباني).

وفي رواية مسلم برقم ٨: أن جبريل عليه السلام سأل النبيَّ ﷺ بعد أن

قال له: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، (فأخبرني عن أَماراتها..) والأمارات جمع (أمارة) وهي العلامة والقرينة الدالّة على الشيء.

وعليه:

فَلِمَجيء الساعة علاماتٌ وقرائِنُ، يُعْرفُ بها قُرْبُ وَبُعْدُ مجيئها النِّسْبِيَّيْنِ، فما هي تلك العلامات والقرائن؟!

والجواب:

بعد تدبّر هذه الآيات المباركات، نطَّلعُ على عددٍ من تلك الأَمارات والأشراط التي جعلها الله مقدمة لمجيء الساعة:

١. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب].

٢. ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر].

٣. ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٢﴾ [الزخرف].

٤. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء].

٥. ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ [النمل].

٦. ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس].

بيّنت لنا هذه الآيات سِتةً من أشراط السّاعة ومقدماتها، وهي:

١) بعثة خاتم النبييّن وسيِّد المرسلين (محمَّد) ﷺ:

وذلك لأن محمَّداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وآخرهم عليهم الصلاة والسَّلام، فلا نبيَّ بعده، كما صرَّح به في الآية (٤٠) من (الأحزاب)، وقد قريءَ (خاتَم) و(خاتِم) أي: أن النَّبيِّين خُتِموا بهِ فهو كالخاتَم والطّابع لهم، أو أنه خَتَمَهُمْ وجاءَ آخرهم[١].

فبعثة رسول الله الخاتم (محمَّد) ﷺ هي أَحَدُ أشراط الساعة، لأنه لا يأتي بعده نبيٌّ آخر إلى قيام الساعة، وقد مَضَتْ لِحد الآن ـ هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه الجمل، وهي (١٧ صفر ١٤٢٦) ـ ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون (١٤٣٩) سنة، على بعثته، ولم يأت نبيٌّ آخر[٢]، ولا يأتي أبداً.

وبهذا كان رسول الله الخاتم ﷺ يقول:

أ ـ «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا**» ويُشيرُ بِإِصْبِعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهما» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٧٥٩٢) عَنْ [illegible]لِ رضي الله عنه).

---

(١) مختار الصحاح، ص١٦٠، لفظ: خ ت م.

(٢) أمّا الكذّابون الدجّالون أمثال (مُسَيْلمة الكذّاب) من القدماء، و(غلام أحمد القادياني) من المتأخّرين، فهم من الكذبة المدّعين وليسوا من النبيّين، وهم من أكفر الكافرين، ولَم يَجْنُوْا من ادّعاء النبوّة كذِباً سوى الإفتضاح، ولم يتبعهم سوى بعضُ السُذَّج السُفهاء، أو من في قلوبهم زيغٌ ومَرَضُ الشهوة والشبهة، وقد أخبر النبيُّ أنه سيظهر بعده دجّالون كذّابون يدَّعُون النبوّة، قريباً من ثلاثين، كما رواه البخاري عن أبي هريرة، أنظر (صحيح البخاري)، (٧١٢١).

أما الآن: ١٩ رجب ١٤٣٧هـ، فقد مضت (١٤٥٠) سنة على بعثة النبيّ الخاتم (محمد) ﷺ.

ب ـ «**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٤٦٥٢)، عَنْ أَنَسٍ ﷺ).

جـ ـ «**بُعِثْتُ أنا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» يَعْني: إصْبَعَيْن» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٤٦٥٢)، عَنْ أَبِي هُرَيرَة ﷺ).

والظاهر أن الأصبعين اللّتين أشار بهما، هما أُصبُعا[1] الشهادة والوسْطى.

٢) إنشقاق القمر كمعجزة لرسول الله ﷺ عندما طالبه مشركوا مكة أَنْ يُريهم آية:

وهذا هو المراد بقوله تعالى:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر].

إذْ قَرنَ سبحانه بين خبرين وهما:

أ ـ إقتراب الساعة.

ب ـ إنشقاق الْقَمَر

ثم يقول معقّباً على موقف مشركي مكة، الذين رأوا تلك المعجزة ولكنّهم استمرُّوا على كفرهم، وشركهم واتّهمُوا النبيَّ ﷺ وانشقاق القمر له بكونه ساحراً ومستمرّاً في سحره: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

ثم يبيِّن سبحانه بأنهم ـ أي الكفّار ـ مُكَذِّبون ومُتَّبِعون لأهوائهم، وهذا تَعليلٌ منه جلّ شأنه لكفرهم، بأن سببه هو رفضهم للحق، وتكذيبهم له مع

---

(١) أصبع: يذكر ويؤنّث، فيه خمس لُغات: إصبَع، وأُ ْبع، وأُصبَع وأُصْبُع وأَصْبِع، أُنظر: مختار الصحاح، ص٣١٦، لفظ: ص ب ع.

معرفتهم به، وكذلك اتّباعهم للشهوات والأهواء، سبب آخر لاختيارهم طريق الكفر، لأن دين الله الحق، لا يسمح لأتباعه أن يتبعوا الشهوات التي تعود عليهم في دنياهم وأخراهم بالضّرر والوبال: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾.

ثم يؤكّد سبحانه أن لكل أَمرٍ من الأمور غاية ونهاية مطافٍ يستقِرُّ عندها، ومنها أمر الساعة، وكذلك أَمْرُ النبي الخاتم ﷺ: ﴿...وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

هذا وقد روى كل من البُخاري ومسلم رحمهما الله تعالى حادثة انشقاق القمر، وهذه روايات البخاري التي رواها عن كل من (ابن مسعود) و(ابن عبّاس) و(أنس) رضي الله عنهم[1]:

أ ـ (عَنْ عَبْدِ الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ لَنَا: «**اشْهَدُوا اشْهَدُوا**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٤٨٦٥)).

ب ـ (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ) (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٤٨٦٦)).

ج ـ (عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَن يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ) (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٤٨٦٧)).

وكذلك لـ(مسلم) عدة روايات لهذه الحادثة في (صحيحه).

إذن:

بما أن الله تعالى قرن بين كل من (اقتراب الساعة) و(انشقاق القمر)، وقد تمَّ أحدُهما ومَضى، فالآخر أيضاً يأتي على إثْره لأنهما قرينان.

---

(١) (صحيح البخاري)، رقم الأحاديث: ٤٨٦٥، ٤٨٦٦، ٤٨٦٧، و(صحيح مسلم)، رقم الأحاديث: ٢٨٠٠، ٢٨٠٢، ٢٨٠٣.

وإذا علمنا أن بعثة النبيِّ الخاتم (محمَّد) ﷺ وحادثة انشقاق القمر كلتيهما قد مَضتا، فبإمكاننا القول:

أن اثنين من أشراط الساعة على الأقل، قد تحقَّقا ومَضيا، أي من الأشراط الكبرى، وأما الأَمارات والعلامات الصّغرى، فكثيرٌ منها تحققتْ، ومَضتْ كما سنشير إليه في نهاية هذا الموضوع.

٣) نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف]. والذي جاء في سياق الآيات (٥٧ إلى٦١) من (الزخرف).

وقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: إنَّ عيسى عليه السلام يُعْلم به قُرْب الساعة، وذلك بعد نُزولِهِ من السماءِ، وقرِئَ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، أي: إنه عَلَم وعلامة على دُنوِّ الساعة.

وقد ذكر رسولُ الله ﷺ بالتفصيل ـ كما ثبت عنه في أحاديث صحيحة ـ نزول عيسى عليه السلام من السماءِ، وذلك بعد خروج المسيح الدجّال الذي يقتله عيسى عليه السلام في فلسطين، ومنها هذا الحديث على سبيل المثال: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَن يَنزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمَا مُقْسِطاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ، برقم: (٢٢٢٢)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٥٥)).

وعيسى عليه السلام خلافاً لما يدَّعيه النَّصارى ويزعمونه: لم يَمُتْ ولم يُصْلَبْ، بَلْ رفعه الله تعالى إلى السماءِ حيّاً، وأَلْقى شِبْهَهُ[1] على الرجل

---

(١) شِبْهٌ وشَبَهٌ لغتان بمعنىً يقال: هذا شِبْهُهُ أي: شَبيهُهُ، وبينهما شَبَهٌ بالتحريك والجمع مُشَابِهُ، على غير قياسٍ، كما قالوا محاسِنُ ومذاكير. مختار الصحاح، ص٢٩٣، لفظ: ش ب هـ.

الخائن الذي وَشَى به إلى اليهود والرومان ـ ويقال بأن اسمه: (يهوذا الأسخريوطي)[1] ـ وذلك بعد أن دخل عليه البيت الذي كان مُخْتبئاً فيه، ورُفع (عيسى) من الكُوَّة، ثم أعدَمَ الرومانُ واليهودُ ذلك الرجُلَ الخائِنَ، وهم يحسبونه عيسى، ولم ينفعه صياحُهُ وصُراخُهُ وإنكارُهُ[2]!

وهذه الآيات البيِّنات جليَّة الدلالة، وقاطعة لكل شك وشبهة في هذا المجال، حيث يقول جلّ شأنه في سياق آياتٍ تتحدَّث عن اليهود ومواقفهم المُشِيْنَة:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

حيث يبيِّن جلَّ وعلا بِجلاءٍ:

أولاً: أن العقوبات التي أوقعها الله تعالى على اليهود، كانت مِنْ جرّاء انحرافاتهم الكثيرة الخطِيرة، والتي منها:

أ ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: وهذا يشمل كلّ مواقفهم الكفرية.

ب ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾: وهو اتِّهامهم لها بأنها: حملت بِعيسى عن طريق الزِّنى!

---

(١) كما جاءَ في (إنجيل برنابا) وجاء في بعض كتب التاريخ والتفاسير.

(٢) ذكر هذا بالتفصيل (إنجيل برنابا)، أنظر: ص ٣٠٧، ٣٠٨، الفصل: الثالث عشر بعد المائتين، وهذا هو نص ما جاء بهذا الصَّدد:

[.. فقال يسوع أيضاً: «الحق أقول لكم إنّ واحداً منكم سَيُسَلِّمني فأُباعُ كخروف. ولكن ويلٌ له، لأنه سَيُتِمُّ كلُّ ما قال داود أبونا عنه، إنه سَيَسْقُطُ في الهُوَّة التي أعدَّها للآخرين ... ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يَسوعُ مع تلاميذه، ذهب إلى رئيس الكهنة، وقال: إذا أعطيتني ما وعدت به، أُسَلِّمُ هذه الليلة ليدكَ يسوع الذي تطلبونه، لأنه منفرِدٌ مع أحد عشر رَفيقاً..]. إنجيل برنابا، ط سنة ١٣٢٦هـ.

ج - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: وهم وإن لم يَقْتلُوه فعلاً، ولكن تَبَجُّ ُهم بذلك وتَبنِّيهم له، في حكم قيامهم به فِعْلاً، ومَنْ عَزَمَ على فعلٍ ووطّن نَفسَه عليه، خيراً كان أو شراً، فهو كالفاعل المباشر له، إذ عَمَلُ القلب أساس عمل البدن.

ثانياً: أنَّ اليهود المتآمرين مع الرومان، لم يقتلوا عيسى ـ كما يدّعون ـ ولم يَصْلبوه على الصَّليب: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، إذن: فكل ما نَسَجَهُ النّصارى من عقيدة التثليث والبُنُوَّةِ والفداء..إلخ أساسُهُ خرافة محضة.

ثالثاً: وأنه جُعِلَ شَبَهُ عيسى على شخصٍ آخر، وجُعِل هو شبيهاً لَهُ: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ ولذلك ظنّوه عيسى، فصلبوه عنه!

رابعاً: وأن كل الذين اختلفوا فيه ـ وهم كلتا طائفتي اليهود والنّصارى ـ لَيْس لديهم علمٌ وخبرٌ صحيحٌ عن قتل عيسى عليه السلام وصَلبهِ، بل أَساسُ تصوُّرهم الغَلط، هو الظنِ فَحَسْبُ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾.

خامساً: وأنهم ـ اليهود ـ لم يقتلوا عيسى، بلا أدنى شك: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾.

سادسا: وأن الله تعالى رفع عيسى إليه ـ أي إلى السماءِ ـ : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾.

سابعاً: وأن الله تعالى عزيز له العزَّة، وحكيم له الحكمة البالغة، فبعزَّته، حفظ عيسى عليه السلام من أعدائه، وبحكمته، رفعه إلى السماء لحكم يعلمها هو فقط، ومنها نزوله قُبَيْل قيام الساعة، ليَقْتُلَ المسيح الدجّال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

٤) خروج يأجوج مأجوج:

وكونُ خروج يأجوج ومأجوج، أَحدَ أَشراط الساعة وعلاماتها، تَدلُّ عليه الآيتان (٩٦، ٩٧) من (الأنبياء): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

وكيفية دلالة هاتين الآيتين على أن خروج يأجوج ومأجوج من موقعهم الذي هم فيه الآن، وانسياحهم السريع في الأرض، هو أحد أشراط الساعة، هي كالآتي:

أن الله تعالى قَرَنَ بين (انفتاح السد أو الطريق أمام يأجوج ومأجوج وانسياحهم بسرعة في الأرض) وبين (اقتراب الوعد الحق)، إذْ قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

إذْ (يأجوج ومأجوج) يحول بينهم وبين الإنطلاق والإنسياح، حائِلٌ ومانِعٌ، ولكن عند اقتراب الساعة، سَيُزاح ذلك المانع بإذن الله تعالى.

كما أن قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ يَدلُّ على أنَّ انسياح يأجوج ومأجوج في الأرض، يتم بأقصى سُرعة، وذلك لأن: الـ(حدب) **هو المرتفع من الأرض كالتلِّ والجبل**[1]، و﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يُسْرِعون، من: (نَسَلَ يَنْسِلُ نَسْلاً ونَسَلاناً) إذا أسرع في المشي مع تقارب الخطو[2]، ومن الواضح أن الذي يُسْرِعُ في المشي على المرتفعات، فهو على غيرها أسرع!

وكذلك يدلّ قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ على أن انسياحهم في الأرض، يكون انسياحاً واسعاً وشاملاً، يشمل المعمورة كلّها، وهذا يفهم منه أن أعداد يأجوج ومأجوج، تكون هائلة جداً، وإلّا كيف يَسَعُون كُلَّ العالم! وقد صرّحت الأحاديث النبوية بكثرة يأجوج ومأجوج وأنهم لكثرتهم لا يقف أمامهم شيءٌ، إلى أنْ يُهْلِكَهُم الله ببلاءٍ من عنده.

---

(١) الحَدَبُ: ما ارتفع من الأرض، والحَدَبَةُ بفتح الدّال أيضاً التي في الظّهر، وقد حَدِبَ ظَهْرهُ فهو حَدِبٌ، مختار الصحاح، ص١٢٢، لفظ: ح د ب.

(٢) انظر: مختار الصحاح، لفظ: ن س ل.

هذا وهناك أحاديث نبويّة، تُفصّل في موضوع خروج يأجوج ومأجوج، وما يترتب على خروجهم من خرابٍ وفسادٍ في العالم، ثم كيفية إهلاكهم وتطهير الدنيا منهم.

وممّا يدلّ على أن خروج يأجوج ومأجوج مصيبة عظيمة وبلاء جسيم، وخصوصاً للشعوب المسلمة، وفي مقدّمتها الشعب العربي، هو هذا الحديث النّبوي:

(عن زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْش ﵂، أن النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُول: **«لا إله إلّا الله وَيلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ: فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»** (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٧١٣٥)).

وأما بالنِّسبة لتحديد هوية (يأجوج ومأجوج) فلا يمكننا الجَزْم بشيء فيه، لأنَّ الكتاب والسنة سكتا عنه، ولكن في مجال الظن والترجيح أنا أميل إلى الرأي القائل: إنهم من الجنس الأصفر - أي الصينيين واليابانيين ومن هم على شاكلتهم - الذين يُشكّلون الآن قريباً من ثلث الجنس البشري، وهم في ازدياد مُذهشٍ بالرغم من تحديدهم للنسل، وأما إذا غيّروا يوماً ما رأيهم في تحديد النسل، وأطلقوا لأنفسهم العِنان[1]، فلا يعلم العاقبة إلّا الله تعالى!

٥) خروج الدابّة:

وهذا أيضاً من أشراط الساعة كما تدلّ عليه الآية (٨٢) من (النّحل): ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

والمراد بقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وإذا أَوْشَكَت

---

(١) العِنان، جمعه: أَعِنَّة: الحَبل الذي يُجعَل في رقبة الفرس، مختار الصحاح، ص٤٠٢، لفظ: ع ن ن.

الساعة على المجيء، وأوشك تحقّق وعد الله الحق.

ويفهم من قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أن تلك الدابّة حيوان ليس له وجود الآن، ولكن سيخلقه الله تعالى قُبَيْل قيام الساعة، ومن الواضح أن كلمة ﴿دَآبَّةٍ﴾ يشمل مفهومُها كل ذي حياة، سواء كان ذا شعورٍ أم لا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال].

وقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: تُخبِرُ تلك الدابّة في ذلك الوقت: أن الناس لا يؤمنون بآيات الله بالرغم من ظهورها حينئذٍ.

هذا ولا يوجد في السنّة النبوّية ـ حسب علمي ـ تفصيلٌ وتوضيح زائدٌ عمّا في الآية الكريمة عن (الدّابّة)، ولكن عدَّها النبيُّ ﷺ وسَرَدَها من ضمن أشراط الساعة الأخرى، كما رواه مسلم في (صحيحه) برقم: (٢٩٠١).

٦) بُلوغُ الحضارة المادّيّة أَوْجها، ووصولُ أهل الكفر إلى قناعَةٍ، أنهم مسيطرون على الحياة الأرضية:

وهذه العلامة تَدُلُّ عليها الآية (٢٤) من (يونس)، وبما أنّنا تحدَّثنا عن هذه الآية في كل من الفصل الرابع من الكتاب الأول، والفصل الرابع من هذا الباب ـ أي الكتاب الخامس ـ، فلا نطيلُ الوقوف أمامها ونكتفي بالقول:

إِنَّ هذه الآية تُبيِّن بوضوح بأن نهاية هذه الحياة الأرضية، وطَيَّ صفحة وجود ساكني الأرض من الجنّ والإنس، يكون في الوقت الذي تصل فيه الحضارة المادية والعمران، الذِّروة من الإِزدهار والتطور والتَّرَف، ولكن من ناحية أخرى يصل الناسُ: الحَضيْضَ من حيث الإِرتباط بالله تعالى والدين والخُلُق، وذلك لأن الله تعالى حدَّدَ غاية هذه الحياة وخاتِمَتَها بشيئين:

أ ـ أَخْذُ الأرض زُخْرَفَها وتزيُّنها غاية التزيُّن.

ب ـ تصور أهلها بأنهم أصبحوا مُسْتَغْنين عن الله وصاروا أَسياد العالم!

كما قال تعالى:

﴿...حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس].

ومعلوم أن (حتّى) تستعمل لبلوغ الغاية، وكما وضّحنا حدّد الله تعالى تلك الغاية ببلوغ أهل الأرض، قِمّة التقدُّم المادي، وحضيض التدهور الإعتقادي والمعنوي!

وقد بيّن رسول الله ﷺ بأنَّ الساعة ستقوم على أَشرّ النّاس وأسوئِهم، كما هو واضح في هذا الحديث:

(عَن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكهم السَّاعَة وَهمْ أَحْيَاءٌ**»، (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٦٥٦)).

هذا، وقد أخبرنا النبيُّ الخاتم ﷺ بكثيرٍ من أمارات الساعة وعلاماتها التي تتقدّمها، وقد مَضَى بعضُها وبقيَ بعضُها الآخر، وهذه أمثلة من الأحاديث التي تذكر عدداً من تلك الأمارات:

١) (عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبْلِ بِبُصْرَى**») (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٧١١٨)).

٢) (عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَال: قَال رسُولُ الله ﷺ: «**يُوشِكُ الْفرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً**») (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٧١١٩))، وفي رواية «يَحسِرُ عن جَبلٍ من ذهبٍ».

٣) (عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رسُول الله ﷺ قَال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَة عَظِيمَة دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**

وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يا ليتني مكانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (رَوَاهُ البُخَار برقم: (٧١٢١)).

٤) (عن أَنَس ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٧١٢١)، عن كل من أبي هريرة وابن عبّاس ﷺ)[1].

وتتضمّن هذه الأحاديثُ اثنتي عشرة أمارةً من أَمارات السّاعة التي يُسمّيها كثيرٌ من العلماء بـ(الأشراط الصُّغرى)، وذلك باستثناء مجيء الدجّال وطلوع الشمس من مغربها، فهما من الأشراط الكبرى.

هذا وجديرٌ بالذكر أن كثيراً من العلماء يرون أن نهاية الأشراط الصُّغرى هي بداية الأشراط الكبرى، وكلهم مُجْمِعون على أنّ التوبة لن تقبل عند ظهور الأشراط الكبرى، وهذا ما صرَّحت به الآية (١٥٨) من (الأنعام):

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

وأما تحديد الأشراط الكبرى التي لا يُفيد عند ظهورها الإيمان، فلم أجد عليه دليلاً واضحاً لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكن بالنِّسبة لطلوع الشمس من مغربها، والذي فسَّر به الرسول ﷺ قوله تعالى:

---

(١) والمقصود بالأعور الكذّاب هو الدجّال، إذ أورد البخاري هذا الحديث وتسعة أحاديث أخرى تحت عنوان: (٢٧ ـ باب ذكر الدجّال)، أُنظر: (صحيح البخاري) أرقام الأحاديث: ٧١٢٢ إلى ٧١٣١.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ فهو واضح أنه من الأشراط الكبرى التي لا ينفع عند ظهورها الإيمانُ، وكذلك يفهم من الآية (٨٢) من (النّمل) والتي تتحدث عن (الدابّة)، أن خروج الدابة أيضاً من ذلك النوع من الأشراط.

وأما غيرهما من الأشراط فحسبما أرى ـ والله هو العليم الحكيم ـ لا يمكننا الجَزْمُ بِعَدِّها من ذلك النوع، وإن كانت من ضمن الأشراط الكبرى عموماً.

وكذلك لا يوجد ـ حسبما أرى ـ دليلٌ واضحٌ قاطعٌ على تحديد عدد الأشراط الكبرى، وتحديد الفاصل الذي تنتهي عنده الأشراط الصّغرى، وتبدأ عنده الأشراط الكبرى، ونُنبِّه على أن مصطلح (الأشراط الصّغرى) و(الأشراط الكبرى) ممّا اخترعه العلماء واصطلحوا عليه، ولم يَرِدا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والأشراط عموماً متداخلة مترابطة، وأوّلُها وأهمُّها هو بعثة النبيِّ الخاتم ﷺ، ولذلك فالقول بأن نهاية الأشراط الصّغرى هي بداية الأشراط الكبرى، لا يبدو قويّاً، إذْ لا يمكن عَدُّ بِعْثَة خاتم الأنبياء ﷺ وكذلك حادثة انشقاق القمر، من الأشراط الصّغرى[1]!

ولكن إذا قُصِدَ بالأشراط الكبرى، تلك التي تتلاحق وتتسارع إحداها تِلْوَ الأخرى، كحلقات السلسلة خاصة، وهي:

خروج الدجّال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج...الخ،

---

(١) وجديرٌ بالذكر أنّني رَجّحْتُ في كتاب (الإيمان والعقيدة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة) ج٥، تسمية (الأشراط الصُغرى) بـ(الأشراط القريبة) و(الأشراط الكبرى) بـ(الأشراط البعيدة)، ولا شك أنّنا حينذاك نَخْرُجُ من الإشكال الذي أَوْقَعَنا فيه قُرْبُ بعض الأشراط التي وُصِفَتْ بالكبرى، وذلك كبعثة النبي الخاتم، وانشقاق القمر، وبُعْدُ بعض الأمارات التي وصفت بالصُغرى، كحَسْر الفرات عن كنز.. والكتاب المشار إليه يقع في ستة مُجلَّدات وأَلَّفتُهُ بِلُغة الأم ـ الكوردية ـ كالأكثرية الساحقة من مؤلّفاتي.

كما بيَّنَتْهُ الأحاديث الصَّحيحة، فحينئذٍ يكون لذلك القول وجهٌ ـ والله هو العليم الحكيم ـ وعلى أيِّ حال قصدتُ بهذه التوضيحات، أنه يجب التحفُّظ والتحوّط عند الحديث عن تلك الأمور الغيبية، ولا نَجْزِمُ فيها برأي لم يُفْصِحْ عنه الكتاب والسنّة.





المبحث الثالث

الجنّة والنّار مخلوقتان، وهما موجودتان الآن

هناك آيات كثيرة تدلّ على كون الجنّة والنّار مخلوقتين وموجودتين الآن، منها:

١. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران].

٢. ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾ [يس].

٣. ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر].

٤. ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح].

٥. ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

ودلالة هذه الآيات على أن الجنّة والنّار مخلوقتان وموجودتان الآن، جَليّةٌ جداً، إذْ يبيِّن سبحانه وتعالى أن المجاهدين المقتولين في سبيل الله، والمؤمنين الصادقين، يُكْرِمُهم الله تعالى بعد مفارقة أرواحهم لأبدانهم، مباشرةً بالجنَّة ـ كما في آيات (آل عمران) وآيات (يس) ـ وكذلك أعلن سبحانه أن كلاً من (آل فرعون) و(قوم نوح) الكافرين، قد أدخلهم النّارَ بمجرَّدِ انفصال أرواحهم الخبيثة عن أجسادهم النجسة، نتيجة الغرق في ماءِ البحر الأحمر والطوفان العظيم، كما في آيات (غافر) و(نوح).

وأما آيات (الواقعة) فتتحدَّث عن الناس عموماً، بغضِّ النظر عن إيمانهم وكفرهم، ويبيِّن الله تعالى فيها عاقبة الكل، بعد قبض أرواحهم مباشرة، وهذا توضيح مختصر لتلك الآيات المباركات الأربع عشرة، في بنود ثمانية متسلسلة، حسب ترتيب الآيات:

١ ـ بدايةً يَزْجُرُ سبحانه الكفّارَ المُنكِرين لنبوّة (محمّد) ﷺ وحقّانية القرآن ـ كما يفهم من السياق ـ ويذكِّرُهم بحالة الإحتضار، وبلوغ الروح إلى الحَلْق والبَلْعوم: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾[1]، وجواب (إذا) سيأتي فيما بعد.

(١) الحلقوم: الحَلْقُ، مختار الصحاح، ص١٤٤، لفظ: ح ل ق.

٢ - ثم يصوِّر سبحانه مَشْهَدَ حضورهم - أي الكفار المخاطبين - حَالَة وفاة الميِّت، من دون أن يملكوا له شيئاً وهم ينظرون إليه، وهو يُعاني سكرات الموت وشدائده: (وأنتم حينئذٍ تنظرون).

٣ - ويخبرهم سبحانه بأنَّه هو أقربُ إليه - أي المُحْتَضر - منهم، ولكن لا يتمكنون من الرؤية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ ولا شك أن المراد بقربه سبحانه، هو قربُ الملائكة الكرام الذين يتولَّوْن قبضَ الروح، وإنما اعتبر سبحانه حضورَ ملائكته وقربهم، كحضوره وقربه هو، لأن الملائكة هم جنود الله المطيعون، الذين يُنَفِّذون أوامِرَه كما يريده سبحانه.

وقد أوَّل بعضُ المفسِّرين هذه الآية، بأن المقصود بقربه جل شأنه، هو: إحاطة عِلمه وقدرته ومشيئته، أي قربه سبحانه بصفاته!

ولكن هذا ليس صحيحاً، لأن الله تعالى قال: ﴿...وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ وجَليٌّ أن صفات الله تعالى لم توصف في القرآن الحكيم بكونها مرئية أو غير مرئية، حتى يستقيم نفي رؤيتهم إيَّاها!

٤ - ثم يَحُضُّهم سبحانه - على سبيل التوبيخ والتقريع - على أن يعيدوا الروحَ التي أَوْشَكَتْ على الخروج من بدنها أو خرجت بالفعل، إلى بدنها ولا يَدَعُوها تخرج وتُفْلِت، إن كانوا صادقين في تصوُّرِهم وزَعْمِهم، بأنهم غير مَربوبين وغير خاضعين لله تعالى، من حيث حياتُهم وموتُهم: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾، والمَدِينُ هو الخاضع، يقال: دانَ يَدينُ، أي: خضع يخضع، (إذا كان لازماً)، ويقال: دانَ السلطانُ الناسَ، أي: أخْضَعَهم، (إذا كان مُتعدِّياً)[1].

٥ - ثم يُفَصِّل سبحانه في بيان مَصير الروح المقبوضة (أو الأرواح المقبوضة) ويبدأ بالمقرَّبين، ويبيِّن أن ذلك الشخص المقبوضة روحه،

(١) مختار الصحاح، ص٢٠١، ٢٠٢، لفظ: د ي ن.

إذا كان من صِنْفِ المقرَّبين، أي القريبين جداً من الله تعالى، فمصير روحه: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ وقد فسِّر (رَوْح)[1] بالرّاحة أو الفرح والإستراحة، كما فُسِّر (ريحان) بالرزق الحسن أو الرحمة، أو الرائحة الطيِّبة، وكلمة (جنة نعيم) معناها واضح.

٦ - وإذا كان من صِنْف أصحاب اليمين، فمصير روحه إلى السلامة والخير: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾، وظاهر معنى هذه الآية هو: فأصحاب اليمين يُسلِّمون عليك! يا مَنْ صِرْت من أصحاب اليمين.

٧ - ولكن إذا كان من صنف أصحاب الشمال، أصحاب التكذيب والضَّلال، فمآلُ روحه بئس المآل، إذْ يُسْتَضافُ بالماء المَغْليّ ويُشْوى في لهيب الجحيم: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾، والنُّزُل ما يهيأ للضَّيف من طعام وشراب، والمقصود به هنا التهكُّم بِحال الكافر، والتصلية نوع من الشَّوي، حيث تُسلَّطُ النّارُ على اللّحم من كل النواحي، كي يَنْضَجَ نَضْجاً[2].

٨ - ثم يقولُ سبحانه تعقيباً على كل ما مرّ ذكره: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

أي: إن ما ذكر هو الحق اليقيني الثابت الذي لا ريب فيه، لِذا فَنزه اسمَ ربك العظيم، عمّا لا يليق به سبحانه.

ومعلومٌ أنّ ما ذكر مَنْ تَعذُّب الكفّار وتَنعُّم المؤمنين، هو ما اصطُلح عليه بين العلماء بـ(حياة البرزخ) كما بيّناه في السّابِق، وبناءً عليه نقول:

إن حياة البرزخ لها ارتباط بالجنّة والنّار، ولكن هذا لا يعني أنه لا

---

(١) انظر: مختار الصحاح، ص٢٣٨، لفظ: ر و ح.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٧، لفظ: ص ل ا.

فرق بينها وبين الحياة الأخروية، التي تبدأ بعد البعث والقيامة والحساب والجزاء، وذلك لأن:

حياة البرزخ، والعذاب والنّعيم اللّذَيْنِ فيها، تَخُصّ الروح فقط - حسبما أُرَجِّح - ولكن حياة ما بعد القيامة يشترك فيها كل من الروح والجسد.

والدليل على أن لِحياةِ البرزخ بكلا نوعَيْها، ارتباطاً بالجنّة والنّار الموعودتين المعهودتين:

أن الله تعالى بيَّن في كتابه وأَعْلَن، أن الكفّار بعد موتهم قد دخلوا ويدخلون النّار مباشرة، وأنهم يُعْرَضون عليها صباحاً ومساءً، وكذلك بيَّن وأعلن أن أهل الإيمان بعد مفارقة أرواحهم لأجسادهم، قد دخلوا ويدخلون الجنّة مباشرة، وبما أنه لم يُذكر لا في القرآن الحكيم، ولا في السنة النّبوية أن هناك مكاناً آخر - غير الجنّة والنّار - تذهب إليه أرواحُ الأخيار والأشرار، إذن:

فمكان الحياة البرزخية أيضاً مثل الحياة الأخروية - هو الجنّة والنّار.

هذا وقد تحدَّثنا في الفَصْل الثاني من الكتاب الأول عن مكان الجنّة والنّار، وأنهما - كما يَبْدو لنا من كتاب الله المبين - تقعان خارج نطاق السّموات والأرض، وهذا يجعلهما وأهلهما بمنأىً ومَعْزِلٍ عن الإنقلاب العظيم الهائل، الذي خصَّ الله تعالى ذِكْرَهُ بالسموات والأرض، كما قال:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم].

وإنما بيَّنتُ هذا، كي لا يظن ظان بأن انقلاب الساعة العظيم، سيشمل الجنّة والنّار أيضاً، ثم يثورَ في ذهنه سؤالٌ: إذن لماذا خلق الله الجنّة والنّار، طالما أنه سيدمِّرهما عند قيام الساعة؟!

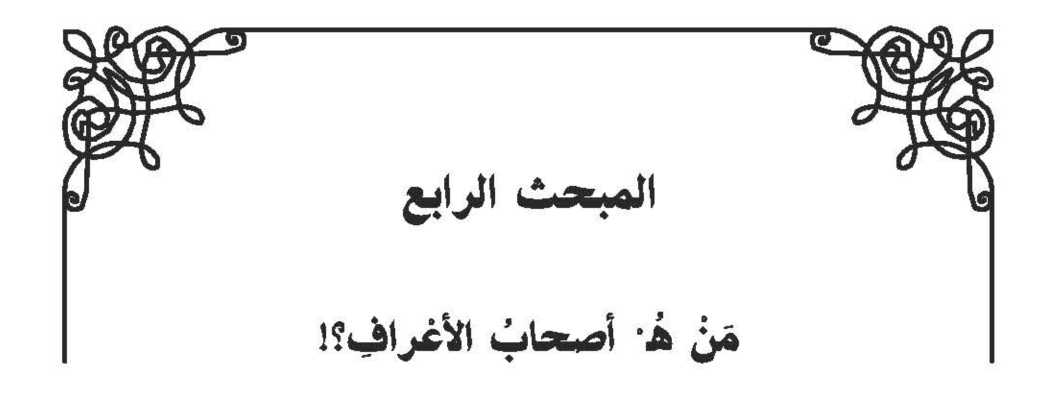
ونختم هذا الموضوع بهذا الحديث النّبوي الذي يُصرِّح بِأن حياةَ ما

بعد الموت، لها ارتباط بالجنّة أو النّار، حسب نوعية الإنسان إيماناً وكفراً، وطاعة وفجوراً:

(عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**) (رواه البخاري برقم: (٣٢٤٠)).







المبحث الرابع

مَنْ هُمْ أصحابُ الأعرافِ؟!

ذُكر (أصحاب الأعراف) في موضع واحد من كتاب الله، وهو هذه الآيات التالية في سورة (الأعراف):

١. ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف].

وتَدُلُّنا هذه الآيات فيما يخص (أصحاب الأعراف) على الحقائق الثماني الآتية:

١) المقصود بـ(هما) في (بينهما) هما الجنّة والنّار:

وهذا واضحٌ لمن يتأمّل الحوارَ الموجزَ الذي يجري بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار، في الآيتين (٤٤، ٤٥) قبل ذكر (الأعراف).

٢) الأعراف اسمٌ لِأعالي وشرُفات الحجاب الذي بين الجنّة والنّار، والتي يَقِف عليها (أصحاب الأعراف):

وهذا يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، إذ الحجابُ هو الحاجِزُ والفاصل بين شيئين، و﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ جمع (عُرْف) وهو كل مرتفع من الأرض، لأنه بسبب ارتفاعه يَصيرُ أعْرَفَ ممّا انخفض عنه، ومنه عُرْفُ الفرس وعرْف الديك، لارتفاعه على ما سواه من الجسد[1].

وعليه: فالمقصود بالأعراف، هو أَعالي وشُرُفات الحجاب الذي بين الجنّة والنّار، ومن ثمّ فالموسومون بـ(أصحاب الأعراف) أُناسٌ[2] من أهل الإيمان، جعلهم الله تعالى على أعالي ذلك الحاجز الفاصل بين الجنّة والنّار، ويرى أهلُ التفسير كلُّهم أو جلُّهم ـ وذلك في ضوء الظاهر المتبادر إلى الذهن من الآيات المدرجة أعلاه ـ أن أصحاب الأعراف أُناسٌ من أهل الإيمان تَساوَتْ حسناتهم وسيئاتهم، فلم يكونوا مستحقين لا لدخول النّار ولا لدخول الجنّة، لِذا أبقاهم الله تعالى حسب حكمه العدل على الحجاب الفاصل بين داري الأَخْيار والأشرار، واطّلعوا على أحوال السعداء والأشقياء.

٣) أصحاب الأعراف يتعرّفون على معارفهم في الجنّة والنّار من خلال سيماهم وعلاماتهم:

كما في قوله تعالى:

﴿... يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

وهذا دليلٌ واضح على أن أوضاع وأحوال نشأة الآخرة، تختلف كثيراً

---

(١) أنظر: (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص ٢٠٦، ومختار الصحاح، ص٣٧٦، لفظ: ع ر ف.

(٢) وليس قوله تعالى: ﴿... وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ دليلاً على أن أصحاب الأعراف رجالٌ فَحَسْبُ، وليس فيهم أحدٌ من النِّساء، إذْ لا يفهم بالضرورة من إثبات وجود الرجال، نفي وجود النِّساء.

عمّا في الدنيا، وإلّا كيف يرى أصحاب الأعراف كلا من أهل الجنّة وأهل النّار ويخاطبونهم، ثم يتعرّفون على معارفهم فيهم بواسطة سيماهم وعلاماتهم؟!

٤) وأصحاب الأعراف يحبّون أصحاب الجنّة ويُسلِّمون عليهم ويَطمعون في الدخول في الجنّة:

كما في قوله تعالى:

﴿... وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

وهذه الآية يفهم منها بوضوح أن أصحاب الأعراف، يتوقعون أن يُنقلوا ـ عاجِلاً أو آجلاً ـ إلى الجنّة، وعلى هذا سائِرُ المفسِّرين، ومن الجليّ أنه إذا وَسِعَ عَفْو الله العفُوُّ أصحابَ الكبائر من أهل الإيمان ـ كما سنذكرُهُ في المبحث الخامس ـ فَلأَنْ يَسَعَ مَنْ تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم أَوْلى وأحرى، وقد يكون أصحابُ الأعراف آخر أهل الإيمان دخولاً للجنّة، مِمن لا يرون عذاب جهنّم.

٥) وأصحاب الأعراف عندما تُوَجَّه وجوههم نحو أهل النّار، يستعيذون بالله منها، ومن أهلها الضالّين الظالمين:

كما قال تعالى:

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ويفهم من كلمة ﴿صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أن أصحاب الأعراف يُجْبَرون على النظر إلى أهل النّار، أو من شِدّة كراهيّتهم وبُغْضِهم لأهلها، وإنْ كانوا ينظرون باختيارهم، لكنهم كأنّهم يُجْبَرون عليه.

٦) ويُوَبِّخُ أصحاب الأعراف معارفَهم الذين كانوا في الدنيا أهل تَرَفٍ واستكبارٍ، ويسألونهم شامتين مُبَكِّتين: ما الذي استفدتم من عِنادكم واستكباركم؟!

كما قال تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾؟!.

٧) وأخيراً: يشيرُ أصحابُ الأعراف إلى المستضعفين الذين كان الكفرة المستكبرون يحتقرونهم ويستهزؤون بهم، ويقولون لهم: أهؤلاء هم الذين كنتم تحلفون أغْلَظَ الأيمان، بأنهم لا ينالون رحمةَ الله، وها هم الآن دخلوا الجنة؟!

كما قال تعالى:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾؟!

ومقصود أهل الأعراف هو: أن الكفّار المستكبرين كانوا في الدنيا يَتَبَجَّحون بكفرهم، ويقولون لأهل الإيمان المستضعفين: كيف ينال هؤلاء في الآخرة ما نُحْرَمُ منه نحن؟

كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف].

٨) ثم يلتفت أصحابُ الأعرافِ إلى أولئك المستضعفين السُّعداء المقيمين في ضيافة الله تعالى، ويُهَنِّئونهم بدخول الجنّة زيادةً في إغاظة أعدائهم الكفرة المستكبرين:

كما قال تعالى:

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف].

والملاحظ أَن أصحاب الأعراف يختمون كلامَهُم مع أهل الجنّة وأهل النّار، بالتسليم على أهل الجنّة والترحيب بهم وتهنئتهم، والإستعاذة بالله من أهل النّار، وتعنيفهم وتوبيخهم وتذكيرهم بجرائِمهم التي أَوْدَت بهم.

وممّا ينبغي التنبيه عليه أنّه:

أ - خُصِّصتْ ثمانُ آيات لكل الكلام والحوار الجاري بين الأطراف الثلاثة: أصحابُ الجنّة، وأصحاب الأعراف، وأصحاب النّار، وهي الآيات (٤٤ إلى٥١) من (الأعراف).

ب - وقع حوار أصحاب الجنّة مع أصحاب النّار وندائهم إيّاهم، في الآيتين (٤٤، ٤٥).

ج - وخُصِّصت أربع آيات (٤٦ إلى ٤٩) لكلام أصحاب الأعراف مع الطرفين.

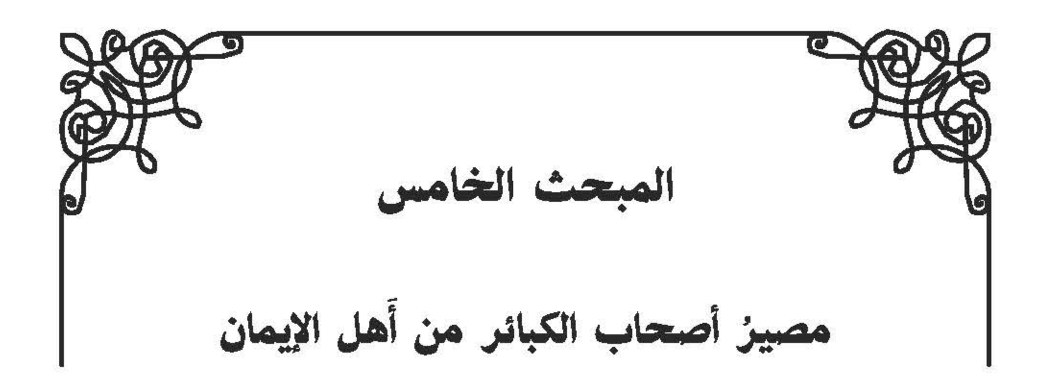
د - ووقع كلام أصحاب النّار وندائهم لأصحاب الجنّة واستنجادهم بهم، في الآيتين (٥٠، ٥١).

أي: كما أن أصحاب الأعراف يُسْكِنهم الله تعالى في مكان وسطٍ بين الجنّة والنّار، كذلك وقع كلامهم مع الطرفين وحوارهم معهما في الوسط، وبما أنهم يتكلّمون مع الطرفين، خُصِّصتْ لهم مِسَاحَةٌ تساوي المِساحَةَ المخصصَةَ لكلام الطرفين!

وسبحان الذي ملأ كتابَه بالأسرار والحِكم

□□□□□□





المبحث الخامس

مصيرُ أصحاب الكبائر من أَهل الإِيمان

سنبحث هذا الموضوع الذي أُثيرَ حوله جدل كثير - في كتب علم الكلام - في المطالب الستة الآتية، بتوفيق الله تعالى:

١ - **تعريف أصحاب الكبائر من أهل الإيمان.**

٢ - **إجتناب الكبائر، يكفر الصغائر.**

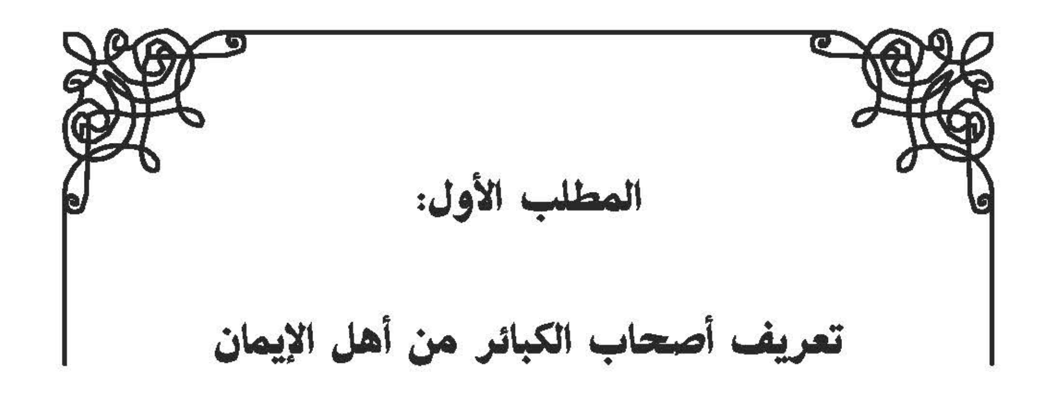
٣ - **التوبة النصوح، تزيلُ الكبائر وتمحوها.**

٤ - **من لم يتب عن الكبائر، يستحق العقاب الأخروي.**

٥ - **قد يغفر الله تعالى بعضَ الكبائر، لبعض أهل الإيمان من غَيْر توبةٍ، تفضُّلاً ورحمة.**

٦ - **مُرتكبوا الكبائر الذين لم يتوبوا عنها، ولم تشملهم مغفرة الله التي يتفضَّل بها على مَنْ يشاء، سيدخلون النّار ثم يخرجون منها بعد إتمام مدة عقابهم، ولا يُخَلَّدُ في جهنّم أحدٌ عنده شيء من الإيمان.**

ونبدأ بالمطلب الأول:



المطلب الأول:

تعريف أصحاب الكبائر من أهل الإيمان

أصحاب الكبائر من أهل الإيمان، هم الذين ارتكبوا ذَنْباً أو أكثر من الذنوب الكبائر، أي الذنوب التي عدّها الشرعُ كبائِرَ، بالنِّسبة لما هو دونها من المعاصي.

وقد بيّن كتابُ الله المبين أن الذنوب والمعاصي منها كبائر وصغائر، كما هو واضح في هذه الآيات:

١. ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

٢. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم].

كما نرى: في آية (النِّساء) يُخاطب الله تبارك وتعالى أهلَ الإيمان، بأنهم إذا ما ابتعدوا عن الذنوب الكبائر التي ينهاهم عنها، فَسَيُكَفِّرُ عنهم سيئاتهم، ويُدخلهم مكاناً مرضياً وهو الجنّة، والمقصود بالسيئات هنا، هو الصّغائر بدليل مقارنتها بالكبائر، إذْ كل ما لم يكن في عداد الكبائر فهو من الصّغائر.

و﴿كَبَآئِرَ﴾ جمع (كبيرة) وهي صفة لموصوف محذوف كالمعصية، أو الفعلة، كما أن (الصغائر) جمع (صغيرة) وهي أيضاً صفة لموصوف محذوف كالمعصية والسيئة.

وفي آيتي (النَّجم) يُخْبِر سبحانه أنه خلق السموات والأرض وما فيهما، وهو مالكهما ومالك ما فيهما، كي يجزي كلاً من المُسيئين والمحسنين، حسب أعمالهم السيئة والحسنة، ثم يُعرِّف (الذين أَحْسنوا) الذين يجزيهم بالمثوبة الحُسْنى، بقوله: ﴿...ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾، إذن: فالذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ـ والفواحش نوع من الكبائرَ ـ فهو يُعَدُّ مُحْسِناً، وسيجزيه الله تعالى بالمثوبة الحُسْنى.

وأما ﴿ٱللَّمَمَۚ﴾ فهو مُسْتَثْنىً من الآثام الواجب اجتنابها، أي فمن اقترف شيئاً من الذنوب التي تُعَدُّ لَمَماً، فهو لا يخرج بذلك عن كونه مُحْسِناً، طالما كان مُجْتَنباً لكبائر الإثم والفواحش.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ بعد ذكر ﴿ٱللَّمَمَۚ﴾ واضحُ الدلالة على أن الله تعالى سيغفر لمن تَلَبَّسَ باللَّمم.

وأما ما هو ﴿ٱللَّمَمَۚ﴾؟ فهذا ممّا أجمع عليه المفسرون، بأَنَّ اللَّمم هو الصغائر من الذنوب، لأن الإلمام بالشيء هو تناول القليل منه، يقال: (أَلَمَّ بالمكان)، إذا مكث فيه قليلاً، (وأَلَمَّ بالطعام) إذا تناول منه مقداراً قليلا[(١)].

وما يتحصّل من هاتين الآيتين وآية (النّساء)، هو: أن الله تعالى وَعَدَ أهلَ الإيمان، بأنهم إذا ما اجتنبوا الكبائر المَنْهيِّ عنها، وابتعدوا عن الآثام الكبيرة والفواحش، فَسَيُكفِّر عنهم صغائِرَ سيئاتهم ومعاصيهم التي ارتكبوها وأَلَمُّوا بها، وقد ضربَ بعضهم مثلاً لِلَّمَمِ والصغائر بالنظرة والغَمْزة[(٢)]

(١) مختار الصحاح، ص٥٢٢، لفظ: ل م م، (غلام مُلِمٌّ: قارَ َ البلوغ، اللَّمَم: صغائر الذنوب، الإلمام: المقاربة من المعصية من غير مُواقعة).

(٢) الغَمْزُ: الجَسُّ باليد.. المعجم الوسيط، ص٦٦١.

والقبلة، ولكن ممّا لا شك فيه، أن كلّ ما ليس من الكبائر، فَهو من الصّغائر واللّمم، وبناءً عليه: إذا عرّفنا الكبائر، يكون ما عدا الكبائر صغائر، فلْنعرّف الكبائر:

وقد تحدّث العلماء كثيراً حول تعريف الكبائر[1] بَيْن مُوَسِّعٍ لِدائرتها ومُضَيِّقٍ، ولكن أكثرهم اتفقوا على هذا التعريف:

«الكبائر هي الذنوب التي هُدِّدَ فاعلوها بعقوبة دنيوية، أو وعيد أُخروي».

وأرى أنَّ هذا التعريف هو التعريف الوسط الصحيح، وممّا يُستدلُّ به لصحة هذا التعريف:

أن قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ جاءَ بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ [النساء].

لذا فكلٌّ مِنْ: أَكْلِ أموالِ النّاس بالباطل، وقَتْلِ الإنسان نَفْسَهُ، من الكبائرِ المنهيِّ عَنها، ومن المعلوم أنّه إذا أمكن إيقاعُ العقوبة الدنيوية على آكلي أموال النّاس بالباطل، وذلك كعقوبة (الحرابة وقطع الطريق والسَّطْو) و(عقوبة السَّرِقة)، فلا يمكن إيقاعُ العقوبة الدنيوية على قاتلي أَنفسهم لأنهم هلكوا، إذن: فقد ذكر الله تعالى (الكبائر) في سياق ورد فيه ذكر ذَنْبَيْن أحدهما تَطالُ مُرتكبه العقوبة الدنيوية، والآخر لا يَطالُ صاحِبَهُ سوى الوعيد الأُخروي.

وبناءً على ما مرَّ ذكره، نقول:

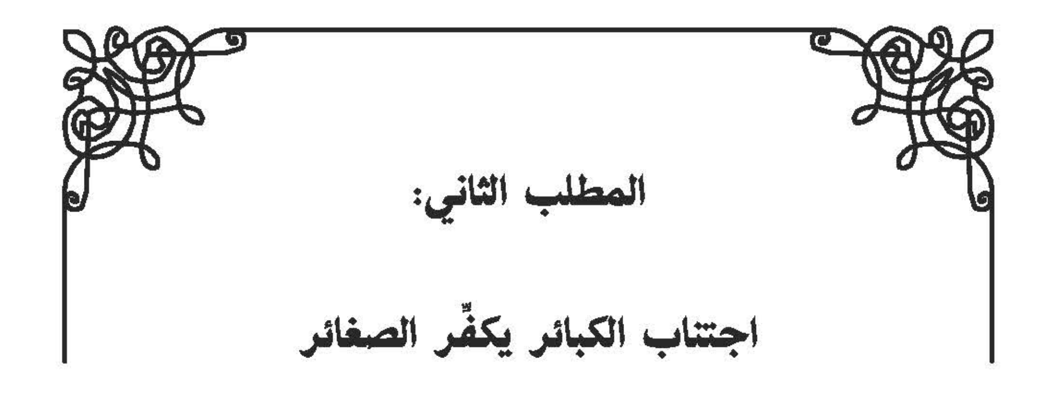
---

(١) قال المعجم الوسيط: (الكبيرة: الإثم الكبير المَنْهِيُّ عَنْهُ شرعاً، كقتل النفس، ج كبائر).

أصحابُ الكبائر من أهل الإيمان، هم المسلمون الذين عندهم إيمان
حيح ـ بِغَضِّ النظر عن نوعيَّته ودرجته ـ وارتكبوا بعضَ الذنوب التي نهى
عنها الشرع ـ القرآن أو السنّة ـ ورتَّبَ عليها عقوبةً دنيوية، أو وعيداً أخروياً،
أو كليهما، والذنوب عموماً: ترك مأمورٍ، أو فِعلُ َحْظورٍ.







المطلب الثاني:

اجتناب الكبائر يكفِّر الصغائر

وهذا ما صرَّحت به الآية (٣١) من (النّساء) وأشارت إليه الآيتان (٣١، ٣٢) من (النَّجم)، وبما أننا أوردنا هذه الآيات وتحدثنا عنها في المطلب السابق، نكتفي بما قلناه هناك، ولكن نورد هذين الحديثين اللّذَيْنِ يُلقيان مزيداً من الضوء على الموضوع:

١) (عن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود]، قَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلِي هَذِهِ؟! قَالَ: «**لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي**») (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٤٦٨٧)).

٢) (عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الصَّلَوَات المَكتُوبات، وَالجُمُعَة إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**») (رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٢٣٣)).

ونختم هذا الموضوع بالقول:

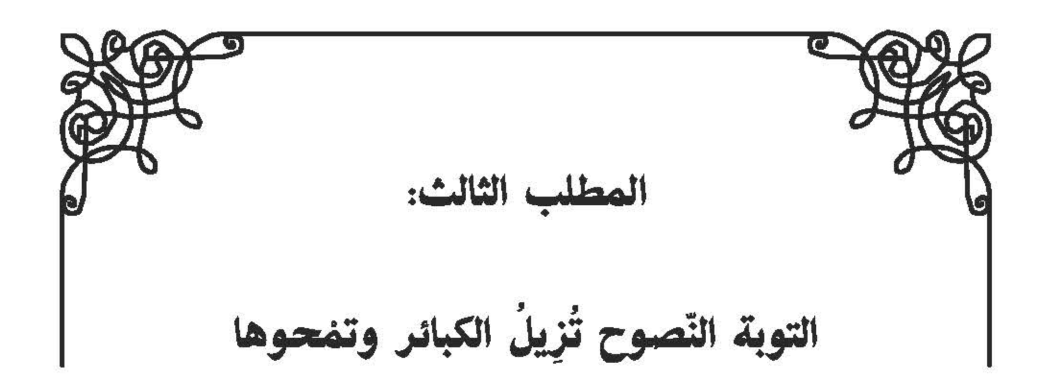
إن كون الصّغائر من الذنوب واللَّمَم الَّتي تُكَفَّرُ عن المسلم بابتعاده عن الكبائر، لا يعني أنه يجوز له التهاونُ فيهاَ، وذلك لأن الإضرارَ على الصّغيرة

يجعلها في حكم الكبيرة عند أكثر العلماء، ثم ممّا لا شك فيه أن الذنوب يَجُرُّ بعضها بعضاً، كما أن الطاعات يَسْتتْبعُ بعضها بَعضاً، ولهذا قيل:

(إن من عقوبة المعصية، المعصيةُ بعدها، ومن ثواب الطاعةِ، الطاعةُ بعدها).







المطلب الثالث:

التوبة النّصوح تُزِيلُ الكبائر وتمحوها

وهذه حقيقة أكّدتها آيات بيِّنات من كتاب الله الحكيم، هذه أمثلة منها:

١. ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

٣. ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر].

٤. ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

ودلالة هذه الآيات على أنّ التوبة الخالصة الصّادقة، تُزِيلُ الخطايا كلَّها وتمحوها، واضحةٌ وضوح الشمس ليس دونها سَحاب، ونبيِّن كيفية دلالتها

في البنود الأربعة الآتية زيادة في الإيضاح، ولكن بعد توضيح مفهوم (التوبة النَّصوح) باختصار:

(التوبة) مِنْ: (تابَ يتوبُ توباً وتوبة) تعني الرجوع إلى الله تعالى بالطاعة، وذلك لأن الكلمة في أصلها اللّغوي تعني (الرجوع) من الذنب[1]، ولكن الشرع قيّده بالرجوع إلى الله تعالى.

و(النّصوح) صيغة مبالغة في (النُّصْح) أي كثير النّصح، والنّصح يأتي بمعنى الخُلوص والصفاء الذي لا شوب فيه، يقال: (عَسَلُ ناصِحٌ) أي خالِصٌ من الشمع وغيره، وكذلك يأتي بمعنى ترميم الخلل وَرَفوِ الخروق، يقال: نصح ثَوْبَهُ، أي خاطَهُ ورَفَأَ ما فيه من خَرْقٍ[2].

إذن: معنى (التوبة النّصوح) هو التوبة الخالصة الصادقة التي لا شوب ولا خلل فيها، والتي تجعل صاحبها يُرقِّعُ ثوبَ دينه الذي خَرَقَهُ بالذّنوب، ويُرَمِّم جدار إيمانه الذي أصابه الخَللُ بأخطائه.

١) الآية (١١٠) من (النّساء):

وهذه الآية من أرجى الآيات في القرآن الكريم، ويُعْلِنُ فيها سبحانه بأنَّ كلَّ مَنْ يَعْمَلُ أياً من أنواع السوء أو يظلم نفسه بِأي شكل كان، ثم يستغفر الله تعالى ويتوب إليه - لأن طلب المغفرة من الله تعبيرٌ لِساني عن التوبة - فَهو يَلْقى الله تعالى غفوراً رحيماً، أي فيغفر له ويرحمه.

ولا شك في أن كلاً من (سوءاً) و(يظلم) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، شامِلٌ لكل ما يعتبر سوءاً وظلْماً، والذنوب كلّها توصف بالسّوءِ، من حيث ذاتُها، وتوصف بالظلم من حيث ضرَرُها لفاعلها ولِلغير.

---

(١) المعجم الوسيط ص٩٠.

(٢) انظر: مختار الصحاح، ص٥٦٩، ٥٧٠، لفظ: ن ص ح.

٢) الآية (٨) من (التحريم):

وفي هذه الآية يأمر الله تعالى أهل الإيمان بالتوبة النّصوح والرجوع الصادق إليه سبحانه، ثم يُطْمِعُهُمْ في رحمته وفضله، ويُلَوِّحُ لهم بأن توبتهم النّصوح مَظِنَّة لتكفيره السيئات عنهم، وإدخاله إياهم الجنّة مع نبيِّه ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وبما أنه من عادة الكريم أنه إذا أطمع أعطى، وهذا ما جرى على ألسنة النّاس كالمثل السائر، فيقولون: (ان الكريم إذا أطمع أعطى) والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى في السموات والأرض، في كل ما يليق به، وقد وصف نفسه بالكريم والأكرم، حيث قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار]، وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق].

بناءً عليه:

منْ تاب إلى الله تعالى توبةً نصوحاً، فسيكفِّر الله تعالى عنه سيئاته وسَيُدْخِلُهُ الجنّة مع نبيِّه الكريم ﷺ، طالما بقي مستمراً في توبته ولم ينقضها.

وقد بيَّن سبحانه هذه الحقيقة ـ أي تكفيره سيئات التائب الصادق ـ في الآية (٧٠) من (الفرقان) بجلاءٍ، حيث قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

وقد فسَّر بعضُ المفسِّرين قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ﴾ بأن الله تعالى سيجعلُ ـ للتائب الصادق ـ مكان كل سيئة عَمِلها، حسنةً وطاعةً! وكرم الله أوسع وأعظم من أن يتصوره العباد[1].

---

(١) ولكن التفسير المُتَبادِرَ إلى الذهن هو: أنَّ الله تعالى يُوَفِّقُهُمْ أن يعملوا الصالحات بَدَل السيِّئات التي كانوا يعملونَها قبل توبتهم، ومن ثمَّ تتبدَّلُ سيِّئاتهم الحسنات.

٣) الآيتان (٥٣، ٥٤) من (الزمر):

وفي هاتين الآيتين يأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يدعو إليه عباده المُذْنبين المُسْرفين، ويقول لهم: لا تيأسوا من رحمة الله، لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً، وهو له المغفرة المطلقة والرحمة الواسعة، إذن: فارجعوا إلى ربكم من أعماق قلوبكم واستسلموا له ولدينه الحق، وانتهزوا الفرصة قبل أن يأتيكم العذاب ـ بسبب ذنوبكم ـ ولا شك أنكم حينئذٍ لا تُنْصَرون!

هذا وعَدَّ كثيرٌ من العلماء قوله تعالى: ﴿... يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أرجى ما في كتاب الله للمخطئين والخاطئين و«**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١٣٠٧٢)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٤٩٩)، وَقَالَ: غَرِيبٌ، وَابْنُ مَاجَهْ برقم: (٤٢٥١) وَحَسَّنَهُ الألباني) كما قال رسول الله ﷺ.

٤) الآية (١٧) من (النِّساء):

وفي هذه الآية يبيِّن أرحم الراحمين جلّ وعلا، بأنَّه أَوْجَبَ على نفسه ـ كَرَماً وفضلاً ولُطْفاً ـ قبولَ توبة كل من يعمل السيئات بجهالة، ثم يتوب إلى الله قريباً.

وكلُّ مَنْ يعصي الله تعالى ويعمل السيئات، فهو جاهل بقدر عصيانه، ومَنْ رجع إلى الله بالطاعة في فُسْحةٍ من عمره، فهو قد تاب إليه من قريب، بل مَنْ تاب قبل حالة الإحتضار ومُعاينة أسباب الموت، يقبل الله تعالى توبته، بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية التي نحن بصدَدِها الآن مباشرة: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

إذْ مفهوم هذه الآية: أَنْ كلَّ مَنْ لم يَحْضُرْهُ الموتُ، فسيقبل الله تعالى توبته، وكذلك يدل عليه حديث رسول الله ﷺ:

(عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**) (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٦٤٠٨)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٣٥٣٧)، وَابْنُ مَاجَهْ برقم: (٤٢٥٣)، وَابْنُ حِبَّانَ برقم: (٦٢٨)، وَالحَاكِمُ برقم: (٧٦٥٩) وقال: صحيح الإسناد وَحَسَّنَهُ الألباني).

أي: ما لم يدخل في حالة الإحتضار وقبض الروح، حيثُ يُسْمَعُ منه صَوتٌ كصوتِ غَرْغَرَةِ الإنسان بالماءِ في حَلْقِهِ.

هذا وقد بيَّنَ العلماءُ أنَّ التوبة المقبولة عند الله، يَجِبُ أنْ تتوفَّر فيها هذه الشروط الأربعة:

١) النَّدْمُ والتأسُّف على ما فرط منه.

٢) الإقلاعُ عن الذنوب وهجرها.

٣) العَزْمُ والتصميم على عدم العودة إليها.

٤) ردُّ الحقوق ـ المادية أو المعنوية ـ إلى أصحابها، إن كان عليه حقوق النّاس، أو إرضائهم وطَلَبُ السَّماح منهم[١].



(١) انظر: (رياض الصالحين) ٢ - باب التوبة، ص٨.



المطلب الرابع:

مَن لم يَتُبْ عن الكبائر، استحق العقاب الأخروي على الكبائر والصّغائر

وهذا تدلُّ عليه آيات كثيرة، هذه أمثلة منها:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

٢ - ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى].

٣ - ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة].

٤ - ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

كما نرى: فقد رتَّب الله العزيزُ الحكيم عِقاباً أُخروياً على ارتكابِ:

١ و٢ و٣) الإستهزاء بالنّاس، واللّمز، والتنابز بالألقاب، في الآية (١١) من (الحجرات).

٤ و٥) ظلم الناس، والبغي في الأرض، في الآية (٤٢) من (الشورى).

٦) قطع الطريق والسّطو (الإفساد في الأرض)، في الآية (٣٣) من (المائدة).

٧) قتل مؤمنٍ متعمِّداً، في الآية (٩٣) من (النّساء).

وذلك لأن الله تعالى في آية (الحجرات) بعد أن نهى المسلمين ذكوراً وإناثاً، عن السخرية واللّمز والتّنابُزِ بالألقاب، قال لهم متوعداً: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وبيَّن في آية (الشورى) أن الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ومعلوم أن كلاً من السخرية بالآخرين ولمزهم ونبزهم، ظلمٌ، بدليل أن الله تعالى سمّى فاعليها بالظالمين.

وبالنسبة لِجريمة الحرابة، أو قطع الطريق والسّطْو، فقد كما سبحانه عقوبَتَها الدنيوية، وسماها خزياً ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، ثم عقَّب العقوبة الدنيوية بالعقوبة الأخروية، حيث قال: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وأمّا بالنسبة لجريمة القتل العَمْد، والتي عقوبتها القصاص، كما في الآية (١٧٨) من (البقرة)، فقد ذكر سبحانه لمرتكبها عقاباً أخروياً عظيماً، كما قال: ﴿. . . فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

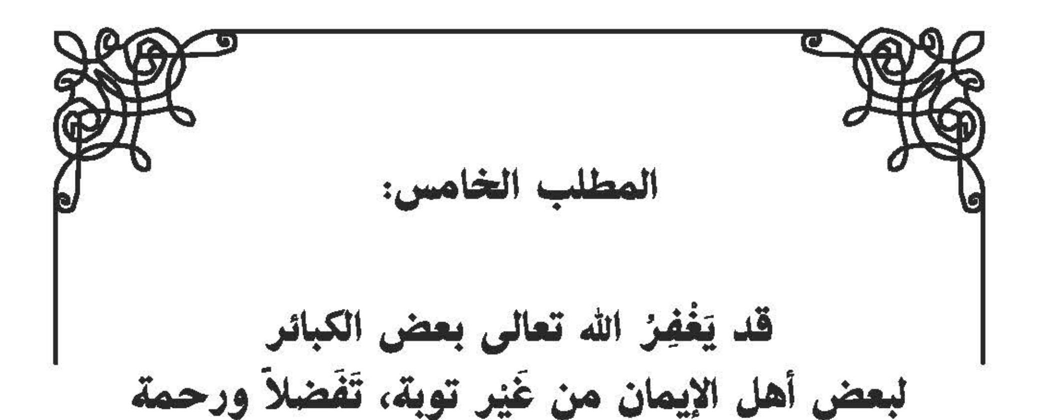
ونكتفي بهذه الآيات كأمثلة فقط، وإلّا قلّما ذكر الله تعالى ذنباً من الذنوب الكبائر في كتابه الحكيم، إلّا وأردفه بذكر عقابه الأخروي.

وأما بالنسبة لمؤاخذة أصحاب الكبائر الذين لم يتوبوا عنها، بذنوبهم الصغائر أيضاً، فدليله هو أن الله تعالى اشترط لِتكفيره السيئات عن أهل

الإيمان، ابتعادَهم عن الكبائر: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء]، لِذا فَمَنْ لم يتجنَّب الكبائر، لا يستحق ذلك الوعْدَ المشروط.







المطلب الخامس:

قد يَغْفِرُ الله تعالى بعض الكبائر لبعض أهل الإيمان من غَير توبة، تَفَضلاً ورحمة

والدليل على هذا هو قوله تعالى:

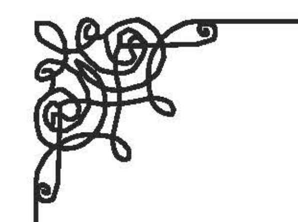
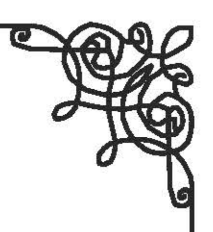
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء].

والآيتان واضحتا الدلالة على أن الله تعالى لا يغفر لمن أَشرك به أبداً، وأمّا ما دون الشرك، فهو تحت حُكْم المشيئة الربانية، فإنْ شاء الله تعالى غفر ما شاء لمن شاء من الذنوب الكبائر والصغائر، لأنها كلّها تُعَدُّ دون الشرك[1]، وإن لم يشأ، فهي تبقى على مُرتكبيها، وإذا لم يتطهّروا منها بعذاب البرزخ، فسيدخلون بها النّار، ويُعَذَّبون فيها بقدرها، ثم يخرجون منها بعد إتمام مدة العِقاب، وهذا ما سنوضِّحه في المطلب التالي والأخير من هذا المبحث:

---

(١) والذنوب التي تُعَدُّ كفراً كالإلحاد والنفاق، وكل صور الكفر والأعمال الكفرية، لها حكم الشرك، بَل بعضها كالنفاق عقوبته أشدُّ.

المطلب السادس:

مُرتكبو الكبائر الذين لم يتوبوا عنها، ولم تشملهم مغفرة الله التي يتفضّل بها على مَن يشاء، سيدخلون النار، ثم يخرجون منها بعد إتمامِ مدة عقابهم، ولا يخلّد في جهنّم أحدٌ عنده شيء من الإيمان

إِنقسم أهلُ الإسلام بعد الفتن والقلاقل التي بدأت بعد مقتل (عثمان بن عفّان) خليفة المسلمين الراشد ﷺ، حيال مرتكب الكبيرة وحكمه في الآخرة، إلى ثلاثة أقسام: طرفين ووسط، أمّا الطرفان المتضادّان، فهما:

أ ـ المرجئة[1].

ب ـ الخوارج[2].

وخلاصة رأي المرجئة، حول موضوع حكم مُرتكب الكبيرة:

أن المؤمن مهما ارتكب من المعاصي والذنوب الكبيرة والصغيرة،

(١) سمُّوا (مُرْجئة) لِأنهم أَخَّروا العَمَل الصالح عن الإيمان، من: أرجأ يُرْجِىءُ إِرجاءً فهو مُرْجِىء، أي: أَخَّر يُؤَخِّر تأخيراً، أنظر: مختار الصحاح، ص٢١٤، ٢١٥، لفظ: ر ج أ.

(٢) سبب تسميتهم بهذا الإِسم على الأرجح، هو خروجهم على أمير المؤمنين علي ﷺ، الخليفة الراشد الرابع، أنظر: المعجم الوسيط: ص٢٢٥.

فَسَيظلُّ كما هو، ولا تؤثِّرُ الذُّنوب في وضعه الأخروي، وأطلقوا بهذه المناسبة شعارَهم المشهور: (لا يَضُرُّ مع الإيمان ذَنْبٌ)، وأما الخوارج فخلاصة رأيهم: أن كلَّ من ارتكب كبيرة ـ وهم يعتبرون الذنوب كلّها كبائر ـ فهو يخرج من الإيمان ولا يبقى مُسْلِماً، وشعار الخوارج بهذا الصدد هو: (لا إيمان مع المعصية) هذا بالنسبة للطرفين المتعاكسين الذاهبين نحو: (التفريط) و(الإفراط).

وأما القسم الوسط فهم:

ج ـ جمهرة المسلمين وأغلبيتهم السّاحقة

وخلاصة رأيهم فيما نحن بصدد بحثه:

(أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لِذا فمن ارتكب الكبائر من أهل الإيمان، ولم يتب عنها توبةً مقبولة صادقة، ولم يَشْمَلْهُ العَفْو الرَّبانيُّ في الآخرة، فهو يدخل النّار ويُعذَّبُ فيها بقدر تَلَطُّخِه بالمعاصي والآثام، ولكن بعد إتمام مدة عقوبته الرّبانية العادلة، يخرج من النّار ويدخل الجنّة).

هذا وَسَمِعْتُ لبعض أهل العلم المعاصرين رأياً آخر، رُبما يجمع في نفسه، كِلا رَأْيي المرجئة والخوارج، مَفادُه:

أن الناس يوم القيامة قسمان لا ثالث لهما:

فهم إمّا يدخلون النّار، ولا يرون الجنّة، وهم الكفار، وإمّا يدخلون الجنّة، ولا يرون النّار، وهم أهلُ الإيمان، ولا أحد يدخل النّار، ثم يخرج منها إلى الجنّة!

واستدلّ هؤلاء لرأيهم، بمثل هذه الآيات:

١. ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار].

٢. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود].

٣. ﴿...فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى].

٤. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة].

وبعد التأمّل في كتاب الله الحكيم وسنّة نبيّه الكريم، يتبيّن لنا بِجَلاءٍ، أنّ الرأي الوَسَطَ الذي اجتمع عليه جماهيرُ أهل الإسلام المتمثّلين في علمائهم وأئمتهم، هو الحَقُّ الذي لا ريب فيه، وهو الذي تجتمع عليه النصوص والأدلة كلّها.

وها نحن سنورد آيات بيّنات من كتاب الله المبين، نُفَنِّدُ في ضوئِها الآراء الثلاثة الشاذّة، ومن خلال تفنيدنا لها، نُثْبِتُ حقّانية الرأي الذي يُمثّله جمهورُ علماء الإسلام وأئمة المسلمين، ونبدأ برأي المرجئة المُفَرّطين:

أولاً: ولِمَعْرِفة بطلان رأي المرجئة القائل بأنّ الإيمان لا يتضرّر بالمعاصي أبداً، وأن أهل الإيمان سيدخلون الجنّة من غير عذاب، وإن ارتكبوا الكبائر ولم يتوبوا عنها، ولم يَشْمَلهُم العفو الربّاني، يكفي أن نتدبّر هذه الآيات كأمثلة فقط:

١. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

٢. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

٣. ﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

٤. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر].

٥. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران].

وهذا توضيح مختصر حول كيفية دلالة هذه الآيات على أن أهل الإيمان المرتكبين للكبائر، قد يدخلون النّار على التفصيل الذي ذكرناه من قبل:

١) الآية (١٨) من (النّساء):

في هذه الآية ينفي الله تبارك وتعالى، قبولَهُ توبة صنفين من الناس:

أولهما: الّذين يستمِرُّون على السيئات، ولا يتوبون عنها إلى حالة الإحتضار والموت: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾.

ثانيهما: الّذين يموتون على الكفر: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

ثم يُعلِنُ سبحانه أن كلاً من هذين الصّنفين، قد هَيّأَ لَهُمْ عَذَاباً أليماً: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وواضحٌ أنَّ المراد بـ﴿... لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ...﴾ عُصاة المؤمنين، بدليل ذكرهم مع الذين يموتون وهم كفّار ومقارنتهم بهم، إذن: فهم ليسوا مِمّن يموتون على الكفر، بل مِمّن يموتون على المعصية، وكذلك يدلّ على كونهم مسلمين عصاةً، قولُهم عند الإحتضار: ﴿... إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ إذ المسلم هو الذي يتوب من السيّئات والمعاصي، وأمّا الكافر، فواجبه الأول الإيمان والتوبة إلى الله من الكفر.

وعليه: فَعُصاةُ المسلمين الذين يستمرّون على السيئات وارتكاب المُوبِقات، ثم لا يتوبون منها إلّا عند مُعاينة الموت وأسبابه، قد أعدّ الله العزيز الحكيم لهم عذاباً أليماً، وسيدخلون جهنّم مع الكفّار.

٢) الآية (٩٣) من (النّساء):

وفي هذه الآية يُبَيِّنُ ربُّ العِزَّة جلَّ شأنه، أن المسلم الذي يقتل نَفْساً مؤمنة بتعمُّدٍ وقَصْدٍ فجزاؤه:

﴿... جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

والمقصود بالخلود في الآية، هو المكث والبقاء الطويل، وليس الخلود المؤَبّد، وذلك لأن القتل العمد من الذنوب الكبائر، وليس كفراً حتى يوجبَ الخلودَ الأبديَّ لصاحبه.

وإنما قلنا: (المسلم الذي يَقْتُلُ...)، لأن هذه الآية وردت في سياق كله خطاب لأهل الإيمان، والآية التي قبلها ذكر فيها القتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء].

٣) الآيات (٢٧ إلى ٣١) من (المائدة):

تتحدّث هذه الآيات عن قصة ابني آدم المعروفَيْنِ بـ(قابيل وهابيل)، والشاهد هنا هو قول الإبن الصالح الذي تُقُبِّلَتْ صدقته، لأخيه غير الصالح الذي لَمْ تُقْبَلْ صدقته، وهدد الصالح بالقتل، فقال له الصالح: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ

﴿... إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة]، إذْ قوله واضح الدلالة على أن الذي يقتل غيره بغير الحق، يكون من أصحاب النّار ـ أي إذا لم يتُبْ من جريمته ـ.

٤) الآية (٣٢) من (فاطر):

وفي هذه الآية يُقسّم الله سبحانه عبادَه الّذين اصطفاهم لوراثة كتابه، إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ ظالم لنفسه. ٢ ـ مقتصد. ٣ ـ سابق بالخيرات.

إذن: فهؤلاء كلّهم ضمن دائرة الإيمان الواسعة، ثم إن (الظالم لنفسه) إذا لم يَتُبْ ولم يَشْمَلْهُ العفو الربّانيُّ، فسيقع تحت طائلة العقاب الأخروي، لأنَّ الظالم سيُعاقَبُ في الآخرة، كما في قول ابن آدم الصالح: ﴿... فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، وكذلك في الآية (٤٢) من (الشورى).

٥) الآيتان (١٣٠، ١٣١) من (آل عمران):

وفي هاتين الآيتين يحذر الله تعالى المؤمنين من أكْلِ الرِّبا، ويأمرهم باكتساب التقوى، لكي ينالوا الفلاح، ثم يأمرهم باتّقاءِ النّار المعدَّة لكافرين، أي: إذا لم تتقوا الله بترك أكل الرِّبا، فسيُعذِّبكم بالنّار التي أُعِدَّت في الأصل للكفّار، ولكن من قام بأعمال الكفّار، والتي منها أكلُ الرِّبا، فَسَيُعَذِّبُ فيها بقدر أعماله الكفرية.

وبَيَّنَ أنه لولا أنَّ عذاب جهنَّم، يُعَذَّبُ بهِ العُصاة والمُذْنِبون من أهل الإيمان، لَما كان لتهديدهم بهِ جَدْوى!

وفي ختام هذا الموضوع نقول:

إذا كان من تساوَتْ حسنَاتُهُ وسيئاتهُ، سَيُحْبَسُ على أعراف الحاجب الذي بين الجنّة والنّار، فكيف يَدْخُلُ الجنَّةَ قبل أن يُعَذَّبَ، مَنْ رجَحَتْ سيئاتُهُ على حسناتِهِ؟!

ثانياً: وأمّا للردِّ على رأي الخوارج ـ وكذلك المعتزلة[1] الّذين لهم رأيٌ قريبٌ من رأيهم ـ فنقول: الدليل على أن المسلم العاصيَ المُسيءَ لا يَكفُرُ بذنوبهِ ومعاصيه، ولا تَسْلُبُ ذنوبُهُ الإيمانَ والإسلامَ، هو:

على الرَّغم من أن قَتل المسلم للمسلم، هو أعظم الذُّنوب التي هي دون الشرك والكفر، بدليل أن الله تعالى لم يذكر من العقاب الأخروي الشديد لِذَنْبٍ آخر، ما ذكره لجريمة القتل، كما في الآية (٩٣) من (النِّساء) ولكن مع هذا وصف الله تعالى المؤمنين الذين يحصل بينهم القتال بالإيمان، إذ قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات]، وقال أيضاً في السياق نفسه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات].

وكذلك سمَّى رسولُ الله ﷺ المُسْلمَيْن اللَّذَيْنِ يقتل أحدُهما الآخَرَ بسيفه، مُسْلِمَيْن، على الرغم من استحقاقهما دخولَ النّار بسبب قتل أحدهما الآخر، وحرص المقتول على قتل القاتل لو حالَفَه الحَظُّ، كما قال ﷺ فيما رويه عنه عَبدالله ابْنِ مَسْعودٍ ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيفَيهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله هذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟! قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٣١)).

وعليه: فالكبائر ـ والتي أكبرها القَتْلُ العَمْد ـ لا تَسْلُب مُرتكبيها إيمانَهم، وإنْ كانت تُضعِفُهُ وتَضُرّهُ بلا شك، وهذا هو المقصود بقول النبيِّ ﷺ:

---

(١) مؤسِّس مدرسة المعتزلة هو (واصل بن عطاء) الذي خالف (الحسن البصري) رحمه الله في موضوع مرتكب الكبيرة، هل هو مسلمٌ أم لا؟! إذْ قال: أرى أنه ليس بمؤمنٍ ولا كافرٍ، بل هو في منزلةٍ بين المنزلتين، واعتزلَ مجلس (الحسن) لرفض الأخير لِرأيه الشاذ الغريب، فَسُمِيَ هو وأتباعه فيما بعد بـ(المعتزلة)، أنظر: (المعجم الوسيط) ص٥٩٩.

«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهوَ مؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْروضَةٌ بَعْدُ» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٨١٠) عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ).

إذ المقصود بنفي الإيمان عن الزّاني والسّارق وشارب الخمر، في حين مباشرتهم تلك الآثام، هو طروءُ الضُّعف على إيمانهم وتَنَزُّلُه وهبوطُه، وليس ذَهابَهُ بالمرَّة، أَي: إن هؤلاء المذكورين ليس إيمانهم في حالة مباشرتهم لتلك الذنوب، الإيمانَ الصَّحيحَ المرضِيَّ لله تعالى، وإلّا فإن الإيمان الصحيح الجيِّد الكامل، يمنع صاحِبَه من التَلَطخ بالمعاصي، بقدر صِحَّته وَجَوْدَتِهِ وكماله.

ثالثاً: وللردِّ على الرأي الثالث، نقول:

إنَّ الإستدلال بتلك الآيات المباركات، لإثبات أن الناس في القيامة قسمان لا ثالث لهما، في غير محلِّه، وذلك لأن المقصود بتلك الآيات وأمثالها، هو بيان المُحَصِّلة النهائية لليوم الآخر، والنتيجة التي تأتي في نهاية المطاف، ومن المعلوم أنَّ التوزيع النهائي للناس يكون على الجنّة والنّار، مع الخلود الأبديّ اللّانهائي، ولكن هذا شيء ودخولُ العُصاةِ نارَ جهنَّم وبقائهم فيها كلّ بحسبه، ثم خروجهم منها ودخولهم الجنّة، شيء آخر، ولا يُنافي أحدُهما الآخر.

هذا وقد استشهدنا عند الردِّ على المرجئة، بآيات بيِّنات على أنَّ العصاة وأهل الكبائر من أهل الإيمان، سَيُعذَّبون في جهنَّم ـ على التفصيل الذي ذكرناه ـ فلا داعي هنا لتكرار ذكر تلك الآيات، وأمّا بالنِّسبة لإثبات خروج أهل الإيمان المعذَّبين من النّار، بعد إمضاء مدة عقوبتهم، فنقول:

ذكر سبحانه في أكثرَ من آية، أن أهل الإيمان والإسلام عموماً، لا يُعامَلون كالكافرين والمجرمين والفاسقين[1] والمفسدين في الأرض، وهذه أمثلة من تلك الآيات:

(١) الفسق قد يقصد بهِ الخروج الجزئي من الدين، وهو فسق المسلمين، أو الخروج الكلّي، وهو فسق الكافرين، أنظر: المصباح المنير، ص٢٤٥.

١. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

٢. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

٣. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

٤. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر].

إذن:

فمرتكبوا الكبائر من المؤمنين والمسلمين، إذا دخلوا الجنّة مع المؤمنين والمسلمين المبتعدين عن الكبائر، فهذا يعني أنَّ أهل الطاعة والعصيان من أهل الإسلام تساووا! وكذلك إذا لم يخرج أهل الكبائر من النّار التي أُعِدت أصلاً للكفّار، وبقوا فيها معهم، إذاً: فقد تساوى أهل الإيمان[1] ـ وإن كان إيمانهم ضعيفاً ـ مع أهل الكفر!

ولكن الله تعالى بيّن وأعلن أنه لا يسوّي لا بين أهل الطاعة والمعصية، ولا بين أهل الإيمان والكفر، وكل من العقل السليم والفطرة السليمة، يحكم بأن التسوية بين المختلفين ظلمٌ، وجلَّ ربُّنا الحكيم عن كلِّ ما يُشَمُّ منه رائحة الظلم والجور، ولهذا وجَّه سبحانه استفهاماً إنكارِيّاً في الآية (١٨) من (السجدة)، والآية (٢٨) من (ص)، والآية (٣٥، ٣٦) من (القلم)، أن يُعَامِلَ:

المؤمِنَ مثل الفاسق.

وأن يجعل:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والمتَّقين كالفجار.

---

(١) ولكن لا تَنْسَ أن أهل الإيمان، هم الذين عندهم الإيمان الشرعي الصحيح، كما بيّناه في الفصل الأول من هذا الباب الثاني. (أي الكتاب الثاني من هذه الموسوعة).

وأن يجعل:

المسلمين كالمجرمين.

وقرّر في الآية (٥٨) من (غافر) بأنه:

لا يستوي الأعمى والبصير.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾.

ونختم هذا الموضوع بهذه الأحاديث النَّبويَّة التي يبيِّن فيها رَسُولُ الله ﷺ:

أ - دخولَ العُصَاةِ وأهلِ الكبائر من أمته، النّار.

ب - واحتراقَهم فيها وبقاءَهم فيها - كل بحسبه - إلى أن يصيروا حُمَماً (أي فحماً).

ج - ثم خروجَهم منها بعد أخذ عقابهم العادل، ودخولهم الجنّة، وتسميةَ أهل الجنّة إيّاهم بـ(الجهنّميِّين).

ومعلوم أن هذه النقاط الثلاث، إبطالٌ وتفنيدٌ لرأي كل من المرجئة والخوارج، وأهل الرأي الثالث، الذي بينّاه من قبل:

١) (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتَحَشُوا[1] وَعَادُوا حُمَماً[2] قَالَ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، قَالَ يَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ[3] السَّيْلِ»**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»!)** (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٦٠)).

---

(١) مَحَشت النارُ جِلْدَه: أحرقته، المُحاش: المُحترِق، المعجم الوسيط، ص٨٥٥.

(٢) الحُمَمُ: الفَحْمُ والرَّماد وكل ما احترق من النار. المصدر نفسه، ص٢٠٠.

(٣) حَمِيلُ: ما حمله السَّيلُ من الغُثاء والطين، المصدر نفسه، ص١٩٩.

٢) (عَنْ أَنس بْنُ مَالِك ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٥٩)).

٣) (عَنْ أَنس بْنُ مَالِكٍ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: **لا إِلَهَ إِلا الله، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ**[1] **مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ**[2] **مِنْ خَيْرٍ**)، وفي رواية (من إيمان) مكان (من خير) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٤٤)).

٤) (عَنْ عِمْرَان بْنِ حصَيْنٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **يخرج قومٌ من النّار بشفاعة محمَّدٍ ﷺ فيدخُلُونَ الجنَّة، يُسَمَّوْن: الجهنَّميين**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٦٦)).

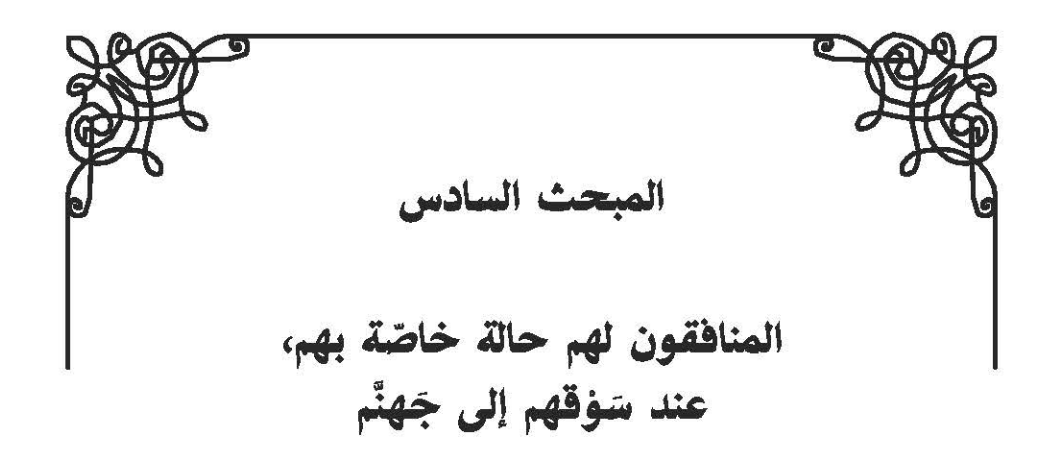
٥) (عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْواً فَيَقُولُ الله: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَب فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيها فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَب وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَب فادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنيا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنيا، فَيَقُولُ: تَسخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٧١)).

وبهذا نختم هذا المبحث الخامس، وننتقل إلى المبحث السادس بتوفيق الله وتيسيره.



(١) البرّة، الجمع: البرّ = القَمْحُ، مختار الصحاح، ص٥٥، لفظ: ب ر ر.

(٢) الذَّرُّ: النَّسْل وصغار النَّمْل وما يُرى في شعاع الشمس الداخل من النّافذة. المعجم الوسيط، ص٣١٠.



المبحث السادس

المنافقون لهم حالة خاصّة بهم، عند سَوْقهم إلى جَهنَّم

وقد ذكر الله تعالى تلك الحالة الخاصّة للمنافقين، في مَوْضِعٍ واحدٍ من كتابه الحكيم، وهو هذه الآيات من (الحديد):

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴿١٢﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

وسَنُوَضِّحُ تلك الحالة الخاصّة بأهل النّفاق عند سوقهم إلى جهنّم، في ضوء أنوار هذه الآيات المباركة التي هي الوحيدة في بابها، في البنود الثمانية الآتية:

١ - يَتَحرَّكُ موكب المؤمنينِ والمؤمنات من ساحة الحشر والحساب، بعد أخذ كُتُبِهم بأيمانهم، نحو أماكنهم في الجنّة في ضوء النور الذي يكون أمامهم، وفي يدهم اليُمنى: ﴿...يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾.

٢ - ويُبَشَّر أهل الإيمان وهم سائرون في الطريق، بجنّاتٍ تجري من

حتها الأنهار والخلود فيها، وَيُخبَرون بأَن عاقبتهم الحُسْنى تلك، هي الفوز العظيم والفلاح المطلق: ﴿...بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

٣ ـ وفي تلك الحالة التي يَسيرُ بها أهل الإيمان، نحو الجنّة في النور، بسرور وحبور، يناديهم المنافقون والمنافقات قائلين: إِنتظرونا كي نلحق بكم ونسير في ضوء نوركم ـ وهذا يدلّ على أن أهل النفاق يمشون في ظلام دامس، لا يبصرون الطريق ـ: ﴿...يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ...﴾.

والإقتباس في الأصل هو أخذ القَبَس[1] من النار، أي الشعلة منها، أو الجذوة منها، والجذوة عودٌ في رأسه نار[2]، لكن المقصود بالإقتباس هنا هو الإستضاءَةُ والمَشي في ضوء نور أهل الإيمان.

٤ ـ ولكن يُجيبهم أهلُ الإيمان أو الملائكة قائلين: عودوا أَدراجكم إلى الوراء ـ أي إلى الدنيا أو ساحة الحساب والميزان حيث وزّع النور ـ اطلبوا النور هناك: ﴿... قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾.

ولا يَخفى أن المقصود بهذا الكلام والتوجيه، هو التهكُّم والإستهزاء بأهل النفاق، وذلك لأن الرجوع إلى الوراء، سواء أُريد به الدنيا، أو ساحة الحساب والميزان، غير ممكن.

٥ ـ وفي تلك الأثناء، يُجْعَلُ بين الفريقين سورٌ (أي حاجزٌ) لَهُ بابٌ وللباب وجهان مختلفان: أمّا وجهه الباطني الذي يلي أهل الإيمان، ففيه الرحمة والنّعمة، وأمّا الوجه الظاهري الذي يلي أهل النفاق، فَيَصْدُر منه العذاب والنّقمة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

---

(١) مختار الصحاح، ص٤٥١، لفظ: ق ب س.

(٢) المصدر السابق، ص٩٨، لفظ: ج ذ ا.

وقد فسَّر بعضُ المفسِّرين[1] (السُّور)[2] هنا بـ(الحجاب) الذي في (الأعراف) ولكن هذا ليس صحيحاً، بل هذا السّور الذي فيه ذلك الباب العجيب، مختص بما بين أهل الإيمان وأهل النّفاق.

٦ ـ وفي تلك الحالة البائسة، يُنادي أهلُ النّفاق، أهلَ الإيمان من وراء الباب والحاجز الفاصل بينهم: أَوَلم نكن معكم في الدنيا، فلماذا صِرْنا معزولين عنكم؟!: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟!).

ويقصد المنافقون والمنافقات بسؤالهم الإنكاري هذا، أنهم قد عاشوا مع أهل الإيمان في بَلَدٍ واحدٍ ومجتمعٍ واحدٍ، إذن: يجب ألّا يُعْزَلوا عنهم الآن! وزعم المنافقون أنّهم سيستفيدون هناك ـ في الآخرة ـ من مَعِيَّتِهم الظاهرية لأهل الإيمان، لما استفادوا منها في الدنيا، وغفلوا عن أنَّ يَوم تُبلى السَّرائِرُ، لا يفيدُ التظاهرُ صاحِبَهُ شيئاً!

٧ ـ ويُجيبُهُمْ أهل الإيمان أَنْ: بَلى: (قالوا بَلى)، قد كنتم معنا في الحياة الدنيا مَعِيَّةً ظاهرية، ولكنكم في الحقيقة لم تكونوا معنا، ثم يُعدِّدون لهم جرائِمَهُم التي أَوْدَتْ بهم والأسبابَ التي أدّت بهم إلى تلك الحالة التعيسة البائسة، وهي خمسة أشياء:

أ ـ أهلكتم أنفسكم بالكفر المبطَّن الذي هو أخبث من الكفر المُعْلَن: ﴿... وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وكلمة الفتنة التي جاءت أصلاً من: (فتن الصائغ الذهب ونحوه)، ليمتحن ويميِّز الصحيح من المغشوش، تأتي بمعاني متعددة حسب السياقات المختلفة، فهنا معناها (أهلكتم أنفسكم) وكثيراً ما تأتي بمعنى التعذيب أو الإِختبار والإِمتحان[3].

---

(١) أنظر على سبيل المثال: (صفوة البيان لِمعاني القرآن)، ص ٢٠٦.

(٢) السّور: حائِط المدينة وجمعه أسوار، وسيران، مختار الصحاح، ص٢٧٨، لفظ: س و ر.

(٣) مختار الصحاح، ص٤٢٨، ٤٢٩، لفظ: ف ت ن.

ب ـ وكنتم تتربَّصون[1] بنا الدوائِرَ، وتنتظرون الفرَص للإيقاع بنا والإِضرار والإفساد: ﴿... وَتَرَبَّصْتُمْ﴾.

ج ـ وكنتم في حالة رَيْبٍ وتَرددٍ تجاه حقائق الدين السّاطعة، بسبب غلبة الشهوات والشبهات عليكم: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾.

د ـ وكنتم مُنْخدعين بالأماني المعسولة، والأوهام التي كان الشيطان يُزيِّنها في قلوبكم: ﴿... وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾.

والأماني جمع (أُمنية) وهي ما يشتهيه الإنسان ويهواه، من دون أن يَسلك لتحصيله الطريق الصحيح، أو يَبْذل له الجهد المطلوب[2].

هـ ـ وبالنتيجة: خدعكم إبليسُ المتمرّسُ في الخداع والتضليل: ﴿... وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ على وزن (فَعُول) هو: المبالِغُ في الخداع والغُرور، والمراد به هنا وفي القرآن كلِّه، هو إبليس اللَّعين[3].

٨ ـ وفي ختام هذا الحوار يَقول لهم أهل الإيمان، تيئيساً لهم وقَطْعاً يّ أَمَلٍ لهم في النجاة:

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

أي:

حكمكم اليوم أيها المنافقون والمنافقات! هو نفس حكم الكفّار من حيث عَدَمُ قبول الفِداء منكم، والمأوى الوحيد الذي يُؤويكم ويَضُمُّكم هو النّار، فالنّار هي مولاكم الذي يتولّاكم ويدبِّرُ شؤونكم، وهي بئس المصير.

وفي ختام هذا الموضوع نقول:

---

(١) مختار الصحاح، ص٢١١، لفظ: ر ب ص، (التربُّص: الإنتظار).

(٢) تَمنّى الشيء: قَدَّرهُ وأَحَبَّ أنْ يصيرَ إليه. المعجم الوسيط، ص٨٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٤٩.

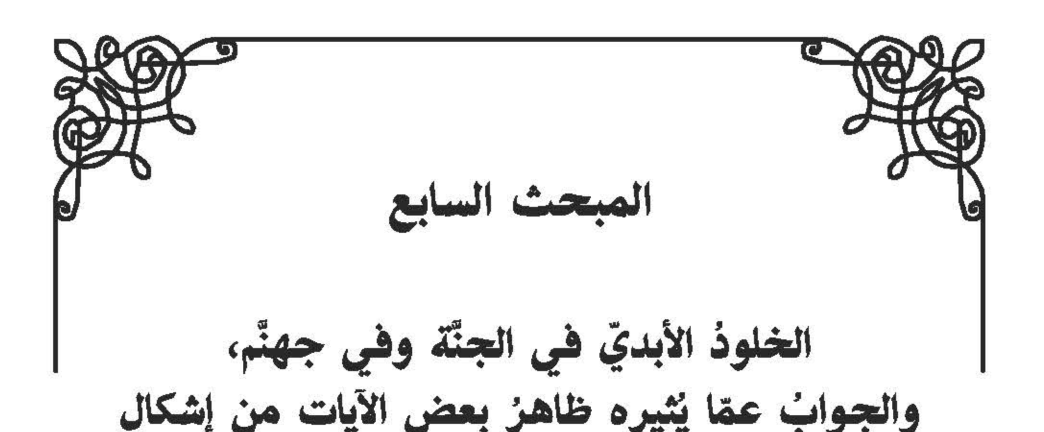
لا شك أن هذه الحالة الخاصّة التي ينفرد بها أهل النِّفاق عند سوقهم إلى جهنَّم، والتي هي أتعس حالة سَوْقٍ وأسوؤها، هي اللاّئقة بأولئك المخادعين الكاذبين، الذين هم أخْبَث أصناف أهل الكفر الخمسة وأضرِّهِم على الإسلام والمسلمين، ولهذا اختار لهم العزيزُ الحكيم عند السَّوق إلى جهنَّم، أسوأ حالةٍ وأبأسها من بين كل أهل الكفر، كما أنّه حَدَّد لهم في جهنَّم أسفل دَرَكاتِها، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

وسنتحدث في الباب الرابع (أي الكتاب الثاني عشر من هذه الموسوعة)، عن النفاق والمنافقين من ضمن أهل الكفر، بأصنافهم الخمسة بالتفصيل، بتوفيق الله تعالى.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث السابع

الخلودُ الأبديّ في الجنّة وفي جهنّم، والجوابُ عمّا يُثيره ظاهرُ بعض الآيات من إشكال

يّنت آياتٌ كثيرة من كتاب الله المبين، أن كلا من أهل الجنة المؤمنين وأهل جهنّم الكافرين، سَيُخَلَّدون فيهما ولا يخرجون منهما أبداً، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في السابق عند الحديث عن الجنّة، وعن جهنَّم، واستشهدنا بالآيات التي يُثيرُ ظاهِرُها نوعاً من الإشكال في هذا الموضوع، وتلك الآيات، هي الآيات الثلاث الآتية:

١. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام].

٢. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود].

٣. ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

وخلاصة الإشكال: أنّ الله تعالى قيّد الخلودَ في الجنّة والنّار في هذه الآيات بمشيئته، فمتى لم يشأ استمرارَ البقاءِ في الجنّة والنّار، ينتهي أَمَدُ

حياة أهلهما، وبالتالي لا يحصل الخلود الأَبدي!

ونجيب على هذا الإشكال المُثار بثلاثة أجوبة، ستكون كافيةً لِدَفْعه بإذن الله تعالى، وهي:

أولاً: قد أخبرنا الله تبارك وتعالى أن الجنّة والنّار (جهنّم) خالدتان وسَيَبْقى فيهما أهلُهما أبداً، كما تحدَّثنا عن هذا الموضوع عند الكلام عن الجنّة وجهنّم، في الفصلين الخامس والسادس من هذا الكتاب، لِذا فموضوع خلود الجنة وجهنَّم وبقاء أهلهما الأبدي فيهما، شيء مفروغ منه.

وأما هذه الآيات الثلاث، فأقصى ما في الأمر أن نَعُدَّها من المتشابهات، والآيات المتشابهات يجب أن تُفْهم في ضوء الآيات المحكمات التي هي أصل الكتاب في بيان الحقائق، كما قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

وخلاصة القول[1] في معنى (المحكمات) و(المتشابهات) من الآيات:

أن المقصود بالآيات المحكمات هو الآيات البيّنات التي دلالتها واضحة وتُفهم من قِبَلِ المخاطبين بها بسهولة، لأن الإحكام هو الإتقان، يقال أَحْكَمَ فلانٌ أَمرَه، أي: أَتقَنَهُ فصار مستحكماً ومَمْنوعاً من الفساد، وسُمّيت الآيات البيّنات الواضحات بالمحكمات، لأن عِبارَتَها مُحكمة ومُمتنعة من احتمال الإِلتباس والإِشتباه، وذلك لظهورها ووضوح معانيها.

والمتشابهات هي عكسُ المحكمات، من حيث عَدَمُ وضوح مَعانيها، واحتمال ظاهرها لأكثر من معنى، وأصل المتشابه من الإِلتباس والإِشتباه بين شيئين أو أكثر، يقال: اشتبه الأمران إذا أَشْبَه كلٌّ منهما الآخر حتى التبسا،

---

(١) أخذت هذا بشيء من التصرّف من: (صَفْوَةُ البيان لِمعاني القرآن)، ص ٧٢.

وأمور مشتبهة ومُشبِّهة، أي: مُشكِلة، ويُقال: شُبِّه عليه الأمر تشبيهاً، أي لُبِّس عليه[1].

وللعلماء في تحديد مفهوم الآيات المتشابهات، ثلاثة آراء عموماً، هي:

١) ما استأثر الله تعالى بعلمه كوقت الساعة، وحقيقة الروح، ومعاني الحروف المقطّعة في أوائل السور.

٢) ما لا يتضحُ معناه إلّا بالنظر الدقيق، وهو يشمل المجمل ونَحوه.

٣) ا يَدُلُّ الدليل القاطع على أن ظاهِرَه غيرُ مُرادٍ، ولم يَقم الدليل على تعيين المراد منه، كآيات الصفات مثل: الإستواء على العرش، واليد، والعين. . . إلخ.

إذن:

طالما أنَّ الله تعالى أخبرنا في آيات محكمات بيِّنات، بأَنَّ الجنّة وجهنّم، ومَنْ يستقرُّ فيهما في الآخرة، خالدتان أبديَّتان، فالموضوع محسومٌ والآيات التي يخالِفُ مفهومُها المفهوم الواضح للآيات المحكمات، تُعْتَبَرُ من المتشابهات، ويجب أن تُعامَل على هذا الأساس، لا أَنْ تُجْعَل مُتصادِمةً مع الآيات المحكمات، ويُضْرَب كتاب الله بَعْضُه ببعض، وذلك لأنَّ الله تعالى حَسَمَ موضوعَ كيفية التعامل مع الآيات المحكمات والآيات المتشابهات، عندما وصف الآيات المحكمات بـ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فالآيات المحكمات إذن هي أصل القرآن وأساسه، الذي يجب أن يُفْهَم في ضوئه.

وهذا هو الطريق الصحيح والمنهج السّوي للتعامل مع آيات كتاب الله الحكيم بنوعَيْها.

أما ترك المحكمات واتّباع المُتَشابهات، فهو دَيْـَنُ الذين في قلوبهم ـَيْلٌ عن الحق وانحراف، كما قال تعالى:

---

(١) مختار الصحاح، ص٢٩٣، لفظ: ش ب هـ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

هذا بالنسبة للآيات الثلاث ككل.

ثانياً: وأما بالنِّسبة لتعبير: ﴿... خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ فالمقصود به هو التأبيد لا غير، وهذا جَرْياً على عادةِ العرب في أساليبهم التعبيرية، فهم عندما يريدون التأكيد على استمرارِ شَيءٍ وتأبيده، ونفي الإنقطاع عنه، يقولون:

١ ـ (ما بلَّ بَحْرٌ صُوفةً).

٢ ـ (ما لاح كوكبٌ).

٣ ـ (ما تعاقب النَيِّران).

٤ ـ (ما اختلف اللَّيل والنهار).

ثالثاً: وأما بالنِّسبة لتعليق الخلود بالمشيئة الربّانية، فنقول:

١) قد شاء الله تعالى الخلودَ الأبديَّ للدّارَيْن وأهلهما، بدليل إِخباره عن ذلك في آيات محكمات بيِّنات.

٢) المقصود بتعليق الخلود بالمشيئة، هو بيان حقيقة أن مشيئة الله تعالى مُطْلقة لا يقيِّدُها شيء أبداً، وهذا كما علَّق سبحانه دخولَ رسولِ الله ﷺ وأصحابه ﵃، المسجد الحرام سنة سبع في عمرة القضاءِ، بمشيئة الله، مع أن الله تعالى أخبر وَأَعْلَمَ نَبِيَّه في المنام وبالكلام بأنهم سيدخلونه:

٣) ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح].

وهذا كي يعلِّمَ الله تعالى عِبادَهُ التأدّب مع مشيئة الله المطلقة، ولا يَنسَوا أن مَشيئته تبارك وتعالى مهَيمِنَةٌ على الخلق كله، ولا يشُذُّ عنها شيءٌ أبداً.

وقد أَدَّب الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ بهذا الأدب في إحدى المناسبات، ذكرناها سابقاً في الكتاب السابع من هذه الموسوعة، عند حديثنا عن خاتم النبيِّين، وأنزل سبحانه وتعالى قوله المبارك:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف].

هذا وقد راعى رُسُل الله الكرام عليهم الصلاة والسَّلام، هذا الأدب العظيم، إذ علَّقوا كل شيء حتى ما يعلمون ويستيقنون وجودَهُ أو عدمه بمشيئة الله جلّ شأنه، كما هو واضح في قول (إبراهيم) عليه السلام مُخاطِباً قَوْمَهُ المشركين.

﴿...وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام].

وفي قول (شعيب) عليه السلام وهو يخاطب مستكبري قومه، ويجيبهم على تهديدهم له ولأتباعِه بالخروج من البلد أو الرجوع في الكفر:

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف].

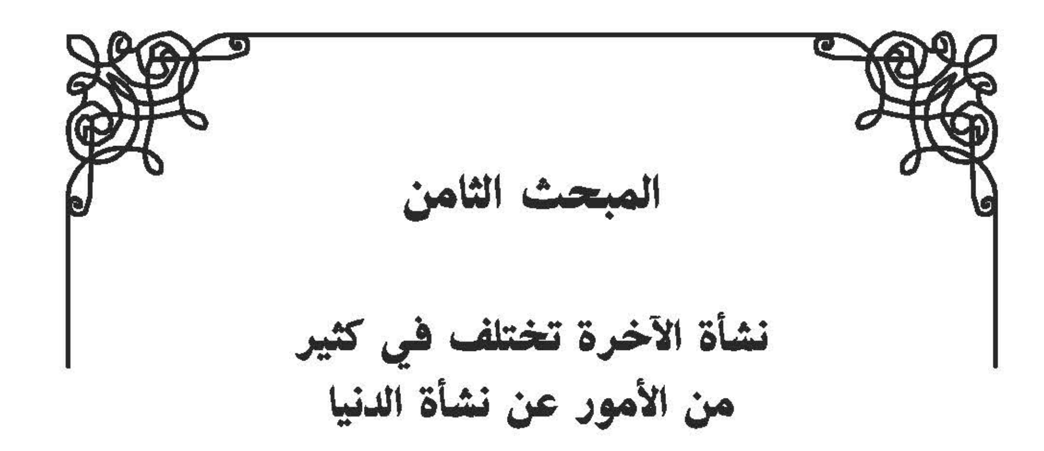
ونختم هذا الموضوع بهذين الحديثين النَّبويَّين:

١) (عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ! لَا مَوْت، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! لَا مَوْت خُلُودٌ**) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٤٤)).

٢) (عَنْ ابنِ عمَرَ ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ؛ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٥٤٨)).







المبحث الثامن

نشأة الآخرة تختلف في كثير من الأمور عن نشأة الدنيا

أَجَلْ، بعد أَن نتأمّل آيات كتاب الله الحكيم، ونصوصَ سنة نبيِّه الكريم، فيما يتعلّق بالحياة والنشأة الثانية في الآخرة، نتبيَّن بوضوح، أن النشأة الثانية الأبدية، تختلف اختلافاً جذرياً في كثير من الأمور عن النشأة الأولى والحياة الإبتلائية الأرضية المؤقتة.

وهذا الاختلاف بين النشأتين، يشمل كل الكينونة البشرية روحاً وعقلاً ونفساً وجسداً.

وهذه بعض الآيات المباركة والأحاديث الشريفة الّتي تدلّ صراحة أو ضمناً على ما قلناه:

١. ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة].

٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

٣. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

٤. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

٥. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

وقَال سول الله ﷺ:

٦. «**إِنَّ أَولَ مْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَب دريٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً؛ لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ[١]، وَلَا يَمْتَخِطُونَ[٢] أَمْشَاطُهُمُ الذهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ[٣] الأَلُوَّةُ[٤]، وَأَ ْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ**» (رَ اهُ البُخَارِيُّ برقم: (٣١٤٩) ومُسْلِمٌ برقم: (٢٨٣٤)، عَنْ أَبِي هريرَةَ رضي الله عنه، وبين لفظيهما شيءٌ من الإختلاف).

٧. (**مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّام لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**) (رَوَاهُ البُخارِيُّ برقم: (٦٥٥١) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه).

٨. (**نارُكمْ جز مِنْ سَبْعِينَ جزءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ** قِيلَ يَا رَسُولَ اللهُ! إِنْ كانَتْ لَكَافِيَةً قَال: **فُضِّلَتْ عَلَيهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءاً، كلُّهُنَّ مِثْل حَرِّهَا**) (رَوَاهُ البُخارِيُّ برقم: (٣٢٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه).

٩. (**أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ**) (رَوَاهُ الترمِذيُّ برقم: (٢٥٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، وحَسَّنَهُ الألباني).

---

(١) التَّفل: شبيه بالبزق، مختار الصحاح، ص٨١.

(٢) المُخاط: ما يَسيلُ من الأنف، مختار الصحاح، ص٥٣٣.

(٣) المجامر جمع المِجْمَر: ما يوضع فيه الجمر مع البخور، المعجم الوسيط، ص١٣٤.

(٤) الألُوَّة: عُودٌ يُتَبخَّر به، المصدر السابق، ص٢٥.

وكيفية دلالة هذه الآيات والأحاديث، والتي ليست سوى أمثلة في بابها، هي كالآتي:

أولاً: الآيتان (٦٠، ٦١) من (الواقعة):

يخاطب الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين الناس، مُبيِّناً لهم أنه قد قدَّر عليهم الموتَ، ولا أحَدَ يُعْجِزُهُ ويستطيع الهروب منه، من أن يُميته ويَستبدِلَ غيره به، وأنْ يُنْشِئَهُ فيما لا يَعْلَمه.

وهذه الجملة: ﴿...وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هي الوحيدة في كل القرآن - على ما أعلم - في بابها، إذْ يبيِّن فيها ربُّ العالمين سبحانه وتعالى، بأنه سَيُعيدُ خَلْقَ البشر ويُنشئهم في الآخرة - أو في البرزخ والآخرة كِلَيْهما - بِكيفية ونشأة لا علم لهم بها الآن!

إذن:

فالنَّشأة الثانية هي غير هذه النَّشأة، وتختلف عنها اختلافاً جَذْرياً، بحيث يَصِحُّ معه القول: أنّنا لا نعلم شيئاً عن كيفيتها!

ثانياً: الآيتان (٧، ٨) من (البيِّنة) والآيتان (٦٣، ٦٤) من (الأحزاب):

وفي هذه الآيات البيِّنات، يُبيِّن الله الحكيم تبارك وتعالى بأن الكفار الملعونين سيُخَلّدون في نار جهنّم، وأهل الإيمان المرضيّين سيخلّدون في الجنّة!

وإذا علمنا كيف يرجع الإنسان القهقرى[1] بعد سنّ الشيخوخة، ويَنقلبُ إلى مرحلة الضّعف التي بدأ بها حياته، كما قال تعالى:

١. ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم].

(١) القهقرى: الرجوع إلى الخلف. مختار الصحاح، ص٤٨١، لفظ: ق هـ ر.

٢. ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس].

٣. ﴿...وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج].

نعم بعد معرفة هذه الحقيقة الواضحة، ندرك أن تلك الحياة الخالدة الأبدية اللّانهائية لأهل الجنّة وأهل النّار، لا تتحمّلها هذه الأبدان بتركيبها الدنيوي الضعيف، والتي بعد مُضيِّ سبعينَ سنةً، أو على الأكثر مائة سنة، تُصْبِحُ حياتُها شاقَّة مُتْعِبة يتبرَّم بها أصحابُها، من جرّاء ما يصيب الإنسانَ من مرضٍ وضَعفٍ وهَرمٍ، وبناءً عليه:

فلا بُدَّ لتلك الحياة الخالدة الأبدية ـ سواء في الجنّة أَم في النّار ـ من أبدانٍ تُناسِبها وتَتَحمَّلها!

ثالثاً: الآيات (٤٥ إلى ٤٨) من (الحجر):

وفي هذه الآيات، يبيِّن الله تعالى كيف أن أهل الجنَّة المتَّقين يُغَيِّر الله تعالى حالَتَهم النَّفسية، ويَنْزع ويَسْتَلُّ من قلوبهم البُغْضَ والضغينة التي حصلت فيها في نشأتهم الدنيوية، تجاه بعضهم البعض، ويصيرون إخواناً متحابِّين.

إذن: فالحالة النَّفسية أيضاً تتغيَّر لتناسب تلك النشأة، وخاصّة الحالة النَّفسيَّة لأهل الجنَّة.

رابعاً: الآية (٧٤) من (طه):

يبيِّن ربّ العالمين جلّ شأنه في هذه الآية وفي الآية (١٣) من (الأعلى)، بأنّ الكافر في جهنَّم: لا هو يحيى حياة ينطبق عليها تعريف الحياة، وكذلك لا يموت على الرغم من تجمّع كل أسباب الموت حوله، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿...وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وهذا أيضاً دليل آخر على

أَنَّ نشأة الآخرة، مختلفة كلياً عن هذه النشأة التي لا يمكن أن يجتمع فيها لدى الإنسان كل من الموت والحياة أو اللاّموت واللاّحياة في آنٍ واحدٍ، بَلْ هذه الحالة من خصائص النشأة الثانية فقط.

خامساً: التغييرات الجسميَّة الهائلة في كل من أهل الجنَّة وأهل النّار، في ضوء الأحاديث النبوية الثلاثة المدرجة أعلاه:

أمّا بالنِّسبة لأهل الجنَّة، فقد بَيَّن رسولُ الله ﷺ أنَّه سَتَطْرَأُ على تركيبتهم البدنية، التَغَيُّرات الآتية:

١ - تنوّر وجوههم كالقمر المنير في الليلة الخامس عشرة (البَدْر)، أو أشدّ النجوم ضياءً ونوراً.

٢ - عدم البول (أي عدم تكوّن البول في جسمهم، جرّاء شرب السوائل).

٣ - عدم الغائط (أي عدم تكون الغائط في جسمهم، بسبب الأكل والشراب).

٤ - عدم وجود البصاق في أفواههم (والمراد به ما يضطرّ الإنسان إلى تَفْلِهِ وإخراجه من فمه، كالبلغم ونحوه، وليس ماءُ الفَمِ مُطْلقاً).

٥ - عدم وجود المُخاط في أنوفهم.

٦ - كَوْنُ العَرَقِ المترشّحِ من أجسامهم مِسْكا.

٧ - بلوغ طول قامتهم ستين (٦٠) ذراعاً (أي ثلاثين متراً تقريبا).

٨ - أهل الجنَّة لا يكون في جِسْمهم الشعْر، بَلْ يكونون (جُرْداً مُرْداً كُحْلا) والجُرْدُ جمع أجرد[١]، والمُرْدُ جمع أمرد[٢]، وكلاهما بمعنى عديم الشَّعر، ولكن هذا بالنِّسبة للرجال فقط، لأن لفظي (جُرْدٌ مُرْدٌ)

---

(١) جَرِدَ يَجْرَدُ جَرَداً: خلا جِسمُهُ من الشعْر فهو أَجْرَد ج: جُرْدٌ، المعجم الوسيط، ص١١٥.

(٢) مَرِدَ يَمْرَدُ مَرَداً مَرَدة: طرَّ شاربهُ وبَلَغَ خروج لحيته ولم تَبْدُ، فهو أمرد، ج: مُرْدٌ، المصدر السابق، ص٨٦١.

واللّذيْن جاءا في الحديث، يستعملان للرجال فقط.

والكحل جمع أكحل وكحلاء، هم من جُعِلَ أعينهم الكحْل[1].

وأما بالنِّسبة لأهل النّار، فقد بيّن رسول الله ﷺ:

١) أن أجسامهم تتضخم بشكلٍ عجيب، بحيث يكون ظَهْرَ أحدهم (ما بين كتفيه) عريضاً قدر مسافةٍ، طولها مسيرة ثلاثة أيام لراكب سريع!

٢) وأنهم يُعذَّبون بنارٍ هي أشدّ حرارة من نارنا المعهودة بتسعةٍ وستين ضعفاً!

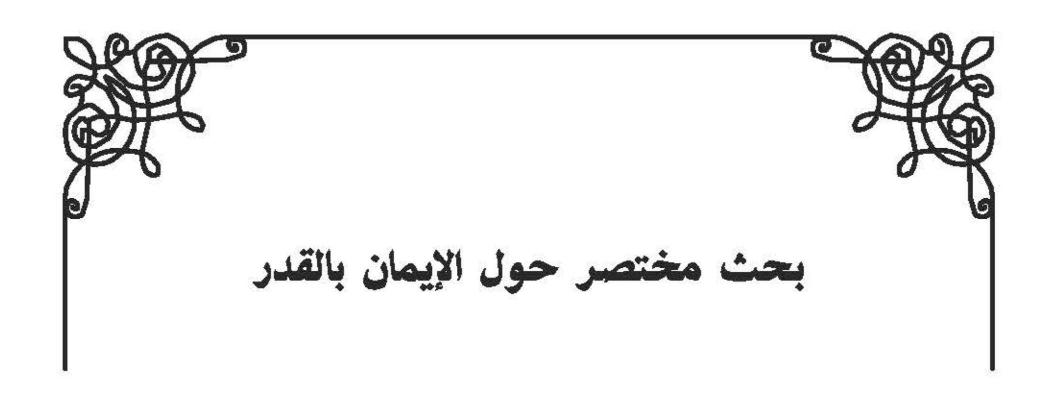
إذاً:

كما قلنا: سَتَتَغَيَّرُ التركيبة البدنية والنَّفسية لكل من أهل الجنّة والنّار، وبالتالي ستكون النشأة الثانية مختلفة اختلافاً جذرياً في كثير من الأمور عن النشأة الأولى، إذْ ليس هذه الحياة الأرضية سوى فترة ابتلاء واختبار، ولهذا كانت التركيبة النَّفسية والجسمية للبشر حسبما تقتضيه، وتتطلّبه هذه المرحلة القصيرة الخطيرة من وجودهم، وأما الحياة الثانية الأخروية والتي هي المرحلة النهائية الأبدية من حياتهم، فستكون بحسب اقتضاء طبيعة تلك المرحلة في كل النّواحي ـ والله هو العليم الحكيم ـ.

وبهذا نختم هذا المبحث الثامن والأخير من الفصل السابع. وسنختم هذا الكتاب الثامن المخصَّص للبحث عن الإيمان باليوم الآخر، بعد أنْ نشير إلى الإيمان بالقدر، في بحث مختصر بإذن الله تعالى:

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص٧٧٨.



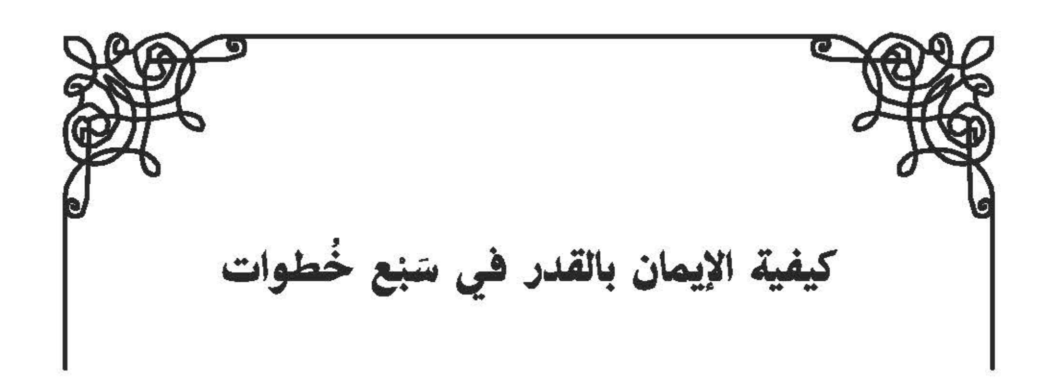
بحث مختصر حول الإيمان بالقدر

ذكر رسولُ الله ﷺ الإيمان بالقدر في الحديث المشهور بـ(حديث جبريل) والذي رواه (مسلم) في صحيحه، عن عمر بن الخطاب ﷺ، بعد أصول الإيمان الخمسة التي تحدثنا عنها في الكتب السابقة، إذْ قال ﷺ في جواب (جبريل) عليه السلام لما قال: (أَخبرني عن الإيمان): **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** (رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (١)).

وقد ذكرنا سابقاً أن الإيمان بالله تعالى ـ وكذلك الإيمان بكتبه ـ يتضمَّن الإيمان بالقدر، ولهذا لم نُفْرِد بحث الإيمان بالقدر في فَصْلٍ مُستقل، وجرياً على قاعدة القرآن العظيم الذي هو أساس سنة رسول الله ﷺ ومتنها، إِذ لم يذكر إلّا الأصول الخمسة، كما ذكرناه في السابق أكثر مِنْ مرَّة.

وجديرٌ بالذكر أنّنا قد تحدَّثنا في السابق ـ في الفصل الثاني من هذا الباب الثاني (أي الكتاب الثالث) ـ كما وسنتحدَّث بإذن الله في البابين الثالث والرابع، عن مسائل تتعلَّق بالقدر.

وأمّا هنا في هذا المبحث المختصر، فَسنوضِّحُ كيفية الإيمان بالقدر في سبع خطوات، ثم نُتبِعُ ذلك الإجابةَ عن ثلاثة تساؤلات حول مصير مشيئة الإنسان وحرّيته، واختياره، أمام قدر الله وإرادتِهِ المطلقة، وعِلْمِه المحيط وخالقيته سبحانه وتعالى، وذلك في غاية ما يمكن من الإِختصار والوضوح بتوفيق الله الكريم:



كيفية الإيمان بالقدر في سَبع خُطوات

الأولى: خَلَقَ الله تبارك وتعالى جميع مخلوقاته بناءً على قَدَرٍ وتخطيط سابق:

كما قال سبحانه بهذا الصّدد:

١. ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان].

٢. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر].

٣. ﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد].

أَجَلْ إن الخطوة الأولى في الإيمان بقدر الله تعالى، هي:

أن نعتقد ونوقِنَ جازمين ـ كما أخبرنا الله تعالى ـ أنه سبحانه خلق الخلق بمجموعِهِ وكلَّ مخلوقٍ فيه على حِدَةٍ، وُفقاً لِتقديرٍ وتخطيطٍ دقيق مُسْبَق، ولهذا لا يوجد أدنى خَلَلٍ ولا شيءٌ من الفوضى وعدم النظام في خلقه عموماً، وفي أي مخلوق منه على حدة خصوصاً، كما قال تعالى:

١ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك].

٢ ـ ﴿...صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ۝٨٨﴾ [النمل].

٣ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة].

<u>الثانية:</u> عَلِمَ الله تبارك وتعالى كلَّ شيء عن كلِّ مخلوق من مخلوقاته، قبل أن يَخْلُقَ ُ بَ ْ من الأزل:

كما قال الله تعالى:

١. ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء].

٢. ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء].

٣. ﴿... وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس].

٤. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر].

من الجَليّ أنَّ الإيمان بعلم الله المحيط الأزلي ـ فضلاً عن الآيات البيِّنات ـ يَسْتَلْزِمُهُ الإيمانُ بكون الله تعالى خلق كل شيء بقدر، إذ التقدير والتخطيط الدقيق الرّباني المسبق للمخلوقات، لا يتأتّى بدون علمٍ أزليّ مُحيطٍ.

<u>الثالثة:</u> كل المخلوقاتِ أُوجِدَتْ بمشيئة الله المطلقة، ولا يَشُذ عن إرادته المُهَيمِنَة على الخلق، شيءٌ البتة:

كما قال تعالى مُبيِّناً هَيْمَنة مشيئَتِهِ المطلقة على كل شيء:

١. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

٢. ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج].

٣. ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٨﴾﴾ [الحج].

٤. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

٥. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس].

٦. ﴿...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام].

٧. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود].

وكلمتا (المشيئة) و(الإرادة) لهما معنى واحد(١).

الرّابعة: الله سبحانه وتعالى له القدرة المطلقة على خلق أو فِعْل أيِّ شيء يُريده، ولا يُعْجزُهُ شيء:

كما قال تعالى:

١. ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

٢. ﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر].

٣. ﴿...وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف].

٤. ﴿...أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت].

٥. ﴿...وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء].

يقال: أَقاتَ على الشيء، أي اقتدر عليه(٢).

الخامسة: الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة والعَدْلُ التام، ولا تَشوبُ شائِبَةُ الباطل والظلم شيئاً من أفعاله وكلماته:

وهذا جانب مهمّ آخر من جوانب الإيمان بالقدر، إذْ بيّن سُبْحانَه في أكثر من آية ـ كما فصّلنا فيه القول في الكتاب الأول خصوصاً في الفصل

---

(١) انظر: (مختار الصحاح) ص٣١٣، لفظ (شيء): (المشيئة: الإرادة، تقول: شاء يشاءُ مشيئة، قلت: وفي ديوان الأدب، المشيئة أخصُّ من الإرادة).

(٢) (مختار الصحاح) ص٤٨١، لفظ: ق و ت.

الثاني منه ـ، أنّه خلق الخلق بمجموعِهِ بحقٍ وحكمة، وكلّ شيء فيه بأحسن ما يكون من إتقانٍ، ووضع في جميعه الميزانَ، وكذلك أعلن سبحانه أن كلماته كلّها تامة، من حيث صِدقُها في مجال الأخبار، وعَدلُها في مجال الحكم، وهذه بعض الآيات بهذا الصَّدد:

١. ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

٢. ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ [الرحمٰن].

٣. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

٤. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين].

٥. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام].

٦. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء].

٧. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس].

السادسة: أعطى الله تعالى الإنسان إرادة جزئية حُرَّةً، يمكِنه أنْ يختارَ بها ما يَحْلو له، من مُخْتلف النشاطات والأعمال العقلية والقلبية والبيانية والبدنية:

وهذا جانبٌ مهمٌّ آخر من جوانب الإيمان بالقدر (بمفهومه الصحيح)، إذ الذي جعل البَشر ـ وكذلك الجِنّ ـ مسؤولين عن أعمالهم أمام ربِّهم جلّ وعلا، ثم مَجزيين بها خيراً أو شرّاً، هو امتلاكهم الإرادة الجزئية الحرّة التي يختارون بها ما يرغبون فيه، ويُزاولون بها حياتهم الإبتلائية حسبما يهوون.

وهذه بعض الآيات التي يُعْلِنُ فيها ربُّ العالمين جلَّ وعلا هذه الحقيقة ـ أي كون الإنسان ذا إرادة حرّة ـ:

١. ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

٢. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

٣. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر].

٤. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

السابعة: الإنسان هو فاعل وكاسب لأعماله وتصرّفاته الظاهرة والباطنة، وذلك بما وهبه الله من الإرادة والقوى والقدرات، وسخر له من إمكانيات:

وهذا أيضاً جانبٌ آخر من جوانب الإيمان بالقدر، وحقيقة أخرى لا بدَّ من أَنْ تَنْضَمَّ إلى الحقائق الست السابقة، كي تكتملَ عناصرُ الإيمان بالقدر.

وهناك آيات كثيرة أسند الله تعالى فيها أعمال الإنسان ـ وكذلك الجنُ ـ وتصرُّفاته إليه، تحت عناوين شتّى، مثل:

العمل، الفعل، الكسب، الاكتساب، الاقتراف، الاجتراح، السّعي، الجهاد، وهذه بعض الآيات البيِّنات، بهذا الصَّدد:

١. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

٣. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

٤. ﴿... وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

٥. ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

٦. ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم].

٧. ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت].

وإنما رتّب الله الحكيم جلّ شأنه الجزاء (ثواباً أو عقاباً) على ما يقومُ به الإنسانُ مِنْ تصرّفات ونشاطات، لأنه يختارها بإرادته الحرّة، ويُنْجِزها بالقِوى والقدرات التي أُعطيتْ له، كما قال تعالى:

١ - ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس].

٢ - ﴿... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ﴾ [الزمر: ٧].

٣ - ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢].

٤ - ﴿... لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

٥ - ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم﴾ [الإسراء: ١٩].

وبناءً على ما مرَّ ذكره، هذا هو معنى الإيمان بالقدر (أي كون الله تعالى خلق الخلق كلّه بِقَدَرٍ) باختصار شديد.

والآن لِنُجيبَ على هذه التساؤلات الثلاثة التي أُثيرت وتُثارُ حول الإيمان بالقدر، وهي:

أولاً: أَوَلَيْسَ الإعتقادُ بامتلاك الإنسان الإرادة والمشيئة الحرّة، مُتناقضاً مع الإيمان بإرادة الله تعالى الكلّية ومَشيئته المطلقة؟!

ثانياً: أَوَلا يؤدِّي الإيمانُ بعلم الله المحيط وتقديره الأزلي، إلى جعل الإنسان مُلْزَماً بما علمه الله منه، ومُجْبَراً على ما قدَّره له؟!

ثالثاً: أَولَيْسَتْ خالِقيَّة الله تعالى لكل شيءٍ، ومن ضِمنه الإنسانُ، سَبَباً لإفراغِ أعمال الإنسان من محتواها، وجعلها ظِلالاً صوريةً، أكثر منها حقائق وجوديةً؟!

أولاً: وللإجابة على التساؤل الأول نقول:

كَلاّ إنَّ الاعتقاد بأَنَّ للإنسان إرادةً جزئية حرّة، لا يتناقَضُ مع الإيمان بمشيئة الله المطلقة، وذلك بدليل:

١) أنَّ الله تعالى كما وصف نفسَه بأنَّه (يشاء) و(يريد)، كذلك وصف الإنسان بذلك، كما قال تعالى:

١/ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ [القيامة].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ [المدثر].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف].

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب].

وجلَّ كتابُ الله الحكيم من أن يحتوي على أدنى نقصٍ، بَلْهَ التناقُضَ والإختلاف، كما قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

أَجَلْ، لو كان بين مشيئة الله تعالى المطلقة ومَشيئة الإنسان الجزئية، تناقضٌ ما، لما كان كتاب الله الحكيم، يذكر ما يحتوي على التناقض، لأنَّ الله تعالى وصف كتابه الكريم، بأنَّه بعيدٌ عن الإختلاف، ولا شك أنَّ ذِكْرَ ما فيه تَناقُضٌ من أعظم الإختلاف.

٢) وأنَّ الله تعالى هو الذي شاء بإرادته الحكيمة، أن يكون الإنسان شائياً ومُريداً، وذلك لكي يصلح للإبتلاء والإمتحان الذي خلِق من أجله، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى بالنسبة لتجهيز الإنسان بما يتوقف عليه ابتلاؤه:

٣) ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان].

٤) ثم إن إرادة الإنسان ومشيئَتَهُ جزئيةٌ، وتَقَعُ داخل دائرة مشيئة الله وإرادته الكلّية المطلقة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

ولِذلك لا يمكن ولا يتصوّر أن تتصادم مشيئة الإنسان الجزئية المخلوقة، مع مشيئة الله الخالق المطلقة، بَلْ أينما توجَّهتْ إرادةُ الإنسان، فَثَمَّ إرادةُ الله تعالى، تُمِدُّها وتُعينها، بِغَضِّ النظر عن رضاه سبحانه أو سَخَطِهِ، عمَّا توجَّهَتْ إليه إرادةُ الإنسان، كما قال تعالى:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ

يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

فالله تبارك وتعالى بمشيئَتِهِ المطلقة الحكيمة، يُمِدُّ الجميع مِنْ عطائه، سواءٌ (مَنْ أراد العاجلة) منهم أم (مَنْ أراد الآخرة)، وهذا لِغَرَض الإبتلاء والإختبار، وإلّا فالله تعالى أخبرنا وأعلن بأنه يَرْضى لنا الطاعة والشكر، ويَسْخَطُ على المعصية والكفر، كما قال:

﴿... وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧].

وبناءً على هذا، نقول:

مِنْ وجَّه إرادته نحو الإيمان والطاعة، فهو فضلاً عن السَّيْر وفق إرادة الله ومَشيئَته الشاملة، قد سار وفق رضاه أيضاً، ولكن مَنْ وجَّه إرادَتَهُ نحو الكفر والمعصية، فهو سائر وفق إرادة الله التي لا يمكن أَنْ يَشُذَّ عنها شيء، ولكنّه سار بالإتجاه المعاكس والمضادّ لرضاه.

وكثيراً ما يَخْلُطُ الناسُ بين إرادة الله تعالى المطلقة والشاملة لكل شيء، إذْ لا يوجَدُ شيء من دون إرادة الله ومشيئته، وبين رضاه الذي هو مُخْتَصٌّ بما يوافِقُ شَرعَه لا غير، وهذا الخَلْطُ هو السبب في حصول ذلك الإشكال المزعوم، كما قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام].

فالمشركون لما خلطوا بين مشيئة الله الكلِّية العامَّة، ورضاه الخاص ـ قياساً لله تعالى على البشر الّذين قلّما ينفكّ رضاهم عن مشيئتهم، وتشبيهاً

له (سبحانه) بِخَلْقِهِ - استدلّوا بكون الله تعالى، شاءَ منهم الكفرَ والشِّرْكَ، وتحريمَ الأشياء حسب الهوى، على أنه قد رضي منهم ذلك، وإلّا لَمْ يَشَأْهُ منهم! غافلين أو متغافلين عن أن الله تعالى لَيْس بالضرورة، أن يرضى كُلَّ ما يشاؤه، إذْ ليست كلُّ مراداتِهِ مَرْضيّاتٍ لَهُ، ومرضيّاتُه هي دينُهُ وشرعُه المبين الحكيم فقط.

ولهذا قال تعالى ردّاً على زعم المشركين السّالف:

﴿...كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام].

فيُسَمِّي سبحانه وتعالى قولهم وزعمهم المذكور (تكذيباً) لأنَّ فيه نسبة الكذب إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ بسبب ما يقولانه من رفض الشرك وتحريم الأشياء حسب الهوى، ويبيِّن جلّ شأنه، أن مثل هذا التذرّع المغلوط بالمشيئة الربانية لتبرير الشرك والكفر، هو ديدن الكفار الغابرين الذين استحقّوا عقوبة الله العادلة على ذلك التكذيب المُمَوَّه.

ثم يأمر سبحانه نبيَّه أن يقول للمشركين مُسْتَنْكِراً: هل يوجد عندكم حول هذا الموضوع عِلْمٌ، تُفيدُونا وتُتْحِفونا به!

ثم يقول تعالى للمشركين أو يأمر الرسولَ ﷺ أن يقول لهم:

﴿...إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ أي: إنكم في زعمكم هذا، لَسْتُم على شيء من العلم، بل تتبعون الظنونَ والأوهامَ فحسب، وليس قولكم بهذا الصدد سوى الكذب.

ثم يأمر سبحانه نبيَّه ﷺ أن يقول للمشركين المتذرِّعين بمشيئة الله على الشرك والمعاصي، بأن الله تعالى له الحجّة البالغة على الناس: ﴿...قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، وحجّة الله تعالى البالغة على البشر، تتمثَّل في أشياء كثيرة، منها:

أ - تجهيزُه إيّاهم بالعقل والسمع والبصر.

ب - إعطاؤه إيّاهم الإرادَة الحرَّة والإختيار.

ج - خلقه إيّاهم على الفطرة السَّليمة المستعدّة للإيمان والعبادة.

د - إنزالُه كُتُبَه القيِّمة الهادية لكل خير.

هـ - إرسالُه رُسُلَهُ عليهم الصلاة والسَّلام مبشرين ومنذرين.

ثم يقول جلّ شأنه:

﴿...فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى هذا - حسبما أرى - ردٌّ آخر على قول المشركين: ﴿...لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ إذ قصدُ المشركين بهذا الكلام، هو أن الله تعالى قد رَضيَ لهم الشرك، وتحريمَ الأشياء حسب أهوائهم، بدليل أنه شاءه منهم، ولو أنه لم يَرْضَهُ لهم، لما أراده منهم ولما ألزمهم به! فقال تعالى تفنيداً لزعمهم هذا واستنتاجهم المغلوط منه:

لو شاء الله تعالى أن يُجْبِرَكم على ما يرضاه ويحبُّه - كما تَزعمون - لأجْبرَكم على الإيمان ولهداكم أجمعين، ولما سَمَحَ لكم بالضّلال، لأنَّ الإيمان مَرْضيٌّ له، والضلالَ مسخوطٌ، ولكنه بما أنّه أراد أن يُخَيِّرَكم لتختاروا بأنفسكم أيّاً مّا تريدون: الإيمان المرضيَّ، أو الكُفرَ المسخوطَ، لِذا صرتم فريقين مؤمنين وكافرين، مهتدين وضالِّين، ولو أنه أَلزمكم بمشيئته بما يرضاه منكم لألزمكم بالإيمان والهداية، ولكن واقع حالكم، دليلٌ على انه لم يُجْبِرْكُم حتى على الإيمان المرضيِّ له، فكيف يُجْبِركُمْ على الكفر المبغوض عنده؟!

إذن:

فكل ما أنتم عليه من الشرك والكفر، وتحريم الأشياء حسب الأهواء، هو نتيجة اختياركم بأَنفسكم، ولا دَخْل فيه لِرضاه واختياره، ولكن لما اخترتموه، أَعانكم علَيه بإرادته التي لا يمكن أن يوجد شيء بدونها.

هذا وقد بيَّن سبحانه في أكثر من آية، حقيقة أنه لم يُلْزِمِ الناسَ، إلّا بما يُريدونه هم، ويختارونه لأنفسهم، بأنفسهم كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس].

والخطاب هنا مُوَجَّهٌ للرسول ﷺ، فيقول له سبحانه:

ولو شاء ربّك أن يُجْبِر الناسَ على الإيمان، لآمَنَ كل مَنْ في الأرض، ولم يَتَخَلَّفْ منهم أَحَدٌ، أفتريد أنت أن تكرههم كي يؤمنوا؟!

والآية واضحة الدلالة، على أن الله تعالى لم يُلْزِم الناس بِشيء، ولم يُكْرِهْهُم حتى على ما يحبّه ويرضاه وهو الإيمان، فكيف يُجْبِرهم على ما يُبْغِضُه ويكرهه وهو الكفر؟!

ثانيا: وبالنِّسبة للتساؤل الثاني نقول:

كلاّ إن علمَ الله تعالى المحيط وتقديرَه الأزَليّ، بما يكون عليه الناس ولما يختارونه من إيمان وطاعة أو كفرٍ ومَعْصيةٍ، لَمْ ولا يؤدِّي إلى إلزام الله تعالى وإجباره إيّاهم على ما يختارونه ويلتزمونه ويفعلونه، وذلك:

لأنه عندما نقول: إنّ الله تعالى عَلِمَ من الأزل أنَّ فُلاناً من الناس يُؤْمِن بإرادته واختياره، ولكن فلاناً الآخر سيكفر بإرادته واختياره، ثم كتب ذلك وقدّره عَلِمَهُ وفقاً لِما علم من كلٍّ منهما، فأين الإلزام والإجبار؟!

ولنضرب مثلاً للتوضيح ـ ولله المثل الأعلى في السموات والأرض ـ:

هل علم وإدراك (مُعَلِّم) بأنَّ تِلْميذَهُ الفلاني سيَنْجَح في نهاية السنة الدّراسية، استنتاجاً ممّا يرىَ منه من سعي وجِدّ، وبخلافِهِ تلميذه الآخر، سيَرْسُب، استشفافاً منه لما يرى منه من كسل وفشلٍ، يكون سبباً لنجاح الأول وسقوط الثاني، ومُلْزِماً لهما بتينك النتيجتين المتوقَّعتين؟!

كلاّ بلا شك، بل سبب النجاح والفشل، هو عمل وواقع حال كلّ منهما لا غير.

ثم نقول:

أفْرُضْ أن المُعَلِّم كتب في مُذكِّراته ومنذ بداية السَّنة ـ وذلك في ضوء

ما ينكشف له من حال كلا الطالبين ـ أن فلاناً سينجح، ولكن فلاناً سَيرْسُبُ، ثم حدث ما توقعه فِعْلاً لكل منهما، فهل يجوز في تلك الحالة أن يجعل تقديرُ المعلِّم الصّحيح لِتِلْميذيه وتسجيله إيّاه في مذكّراته سبباً لنجاح الأول وفشل الثاني؟!

والجواب واضح أنه لا.

كذلك علم الله تعالى بمصائر الناس وتقديره لها، حسبما يكشِفُ عنه عِلْمُه المحيط، من أحوالهم وأعمالهم التي يَتحَقَّقون بها ويعملونها بمحض إرادتهم واختيارهم، لا يمكن ولا يُعْقَلُ أن يجعل دليلاً على كونهم مُجْبَرين ومُكرَهين على ما اختاروه لأنفسهم بأنفسهم، من أحوال وأعمال أدّت بهم إلى تلك المصائر، وذلك على الرغم من إنذار الله تعالى إيّاهم على لسان رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسّلام، ومن خِلال كتبه وشرائعه، وبيانه طريقي الهُدى المرضيّ، والضلال المبغوض عنده، لهم، وأمره إيّاهم بِسلوك الأول واجتناب الثاني!

ثالثا: وأمّا بالنسبة للتساؤل الثالث، فنقول:

إنّ خالقيّةَ الله لكل شيء، ومن ضمنها الإنسانُ، ليس سَبَباً لإفراغ أَعمال الإنسان من محتواها، وذلك لأن:

(الخلْق) ـ كما بيّناه في بداية الفصل الثاني من هذا الباب ـ أي الكتاب الثالث ـ هو الإيجاد من العَدَم، أي تحصيل شيء وإحْداثُهُ بعد أن لم يكن، أو بعبارة أخرى:

الخلق هو إعطاءُ الوجود للشيء، وذلك كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب فرعون لمّا سأله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه]، أي: إنَّ ربّنا الذي ندعوك إلى دينه وعبادته، هو الخالق الذي أعطى ووهَبَ لكل شيء وجُودَهُ، ثم هداه إلى تحقيق الغرض الذي خلَقَهُ له.

وبما أن أعمال الإنسان (من نيات وأقوال وأفعال) لَيْس شيء منها

خلْقاً وإيجاداً لِشيء معدوم لم يكن له وجود، بل هي مُجرَّدُ تَحْريكات للقوى والأعضاء الباطنة والظاهرة الذاتية التي خلقها الله تعالى للإنسان وجهَّزه بها، والمواد والأشياء الخارجية التي سَخَّرها له، لِذا: فهي ليست مخلوقة، وبالتالي لا يتوقَّفُ تحصيلُها على خلْق الخالق جلّ شأنه، لها.

ولنأْت بمثالين للتوضيح:

أ ـ الإنسان المؤمن الذي يؤمِنُ ويُصلِّي ويصوم ويؤتي الزَّكاة ويَحُجُّ ويجاهِدُ...إلخ، لا يُخْلَقُ ولا يُحْدَثُ بسبب إيمانه وعمله الصالح شيءٌ، لم يكن له وجود، إذْ ليس إيمانه وما يثْمِرُهُ من عمل صالح، سوى نتيجةِ تحريكه لقوى باطنة وأعضاء ظاهرة، مَنَحه الله تعالى إيّاها باتجاهٍ مُرْضٍ لله ومُوافِقٍ لِشَرْعِهِ.

ب ـ الإنسان الكافر الذي يكفر ويقتل ويزني ويُفْسِدُ ويفسُق...الخ، كذلك لا يُسَبِّبُ كُفْرُه وما يُثْمِرُه فيه من السيئات، خَلْقَ وإيجادَ شيء معدوم، لم يكن له وجود سابقٌ، بَلْ ليس كفره وعمله السيء، سوى تحريكهِ للقوى الباطنة الممنوحة له، والإمكانيات الظاهرة المتاحة له، في اتجاهٍ مُسْخِطٍ لله تعالى ومخالِفٍ لدينه.

وبناءً عليه:

طالما أن أَعْمال الإنسان وتصرُّفاته الحسَنَة أو السيِّئة، لَيْسَتْ خَلْقاً وإيجاداً، فلا تحتاجُ إلى خالقٍ وموجدٍ، كما زعمت (الجبرية) الذين جعلوا الله تعالى خالقاً لأعمال الإنسان، و(المعتزلة) الّذين جعلوا الإنسان خالِقاً لأعماله! بل كلّ ما يقوم به الإنسان من أعمال صالحة أو طالحة، هو من الأمور الجعلية والكسبية، و(الجَعْل) و(الكسْب) يكفيهما (الجاعل) و(الكاسب) ولا يتوقفان على (خالق) والذي لَيْس سوى الله تبارك وتعالى، كما بيّنّاه في السابق تفصيلاً ـ في الفصل الثاني من هذا الباب ـ.

ومُحصِّلة رأيي هذا، هي:

(أن الإنسان لَيْس خالقاً لأعماله، كما أنه لَيْس مجْبَراً عليها بحيث لا

يملك حِيالَها شيئاً، بل الإنسان مخلوق أعطاه الله تعالى لكي يَصْلح للإبتلاء، إرادة جزئية وقوى باطنة وأعضاء ظاهرة وسخر له شتَّى الإمكانيات، يمكنه أن يتحرّك بها نحو مَرْضاة الله أو سَـ َطِهِ).

أَجَلْ، فَنَحْنُ لَسْنا مُضطرِّين إلى جعل الإنسان ـ ظُلْماً وزُوراً ـ (خالِقاً) لأعماله، لكي نُثْبِتَ حُرِّيته واختياره، وبالتالي مسؤوليته تجاه أعمالِهِ وتصرُّفاته، كما فعلت (المعتزلة)، وكذلك لسْنا مُضْطرين إلى جعله وتصوّره ـ ظلماً وإجحافاً ـ (عاجِزاً) عن فِعْلِ أي شيء، كي نُدافِعُ عن خالقية الله المطلقة التي انفرد بها، وكذلك عَنْ عِلْمِهِ المحيط وإرادته المطلقة وقدرته اللّامحدودة، كما فعلت (الجبرية) وقاربتهم (الأَشاعرة) و(الماتريدية)!! وربما يسألُنا هنا سائل، فيقول:

وما هو الفرق بين هذا الرأي الذي ارتأيته، ورأي الأشاعرة والماتريدية الذين هم أَقَرُّوا أيضاً بإرادة الإنسان الحرّة واختياره، وسَمَّوْا مزاولَتَه لأعماله (كَسْباً)؟!

والجواب:

الفرق هو أنهم جعلوا أَعْمالَ الإنسان مَخْلوقةً، وعندما يُجْعَلُ شيءٌ ما مخلوقاً، فلا بُدَّ من أن يُسْنَدَ خَلْقُهُ إلى الله تعالى، إذْ لا خالِقَ غيره تبارك وتعالى، وخَلْقُ الله تعالى للأشياء لا يُبْقي أيّ مجالٍ لمشاركة غيره له، تحت أيِّ عنوانٍ من العناوين!

ثم إن الله تعالى سمّى في كتابه المبين ما يصدر من العباد: أعمالا وفعلا وكسباً وجَعْلا وسعيا..إلخ، كما بيّناه من قبل ولم يُسمِّه (خَلْقاً) لا مَسْنوداً إليه ولا إليهم، ولهذا نحن أيضاً لم نَجعَلْ ولم نُسَمِّ أعمال الإنسان ونشاطاته (خَلْقاً)، تبعاً لكتاب الله الحكيم، ثم نظراً لما هي عليه في الواقع.

ونختم هذا البحث المختصر حول القدر بهذه الأحاديث النَّبوية:

١) (عن أبي هريرة ﷺ قال: قال لي النبيُّ ﷺ:

«**جَف القَلَمُ بما أنت لاقٍ**» (رَوَاهُ البُخَارِي برقم: (٤٧٨٨)).

٢) (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجلٌ يَا رَسُولَ الله! أَيُعْرَف أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كل يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ ـ أَوْ لِمَا يُسِّرَ لَهُ ـ») (رَوَاهُ البُخَارِي برقم: (٦٢٢٣)).

٣) (عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ كُنَّا جُلُوساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل]) (رَوَاهُ البُخَاري برقم: (٦٥٩٦)).

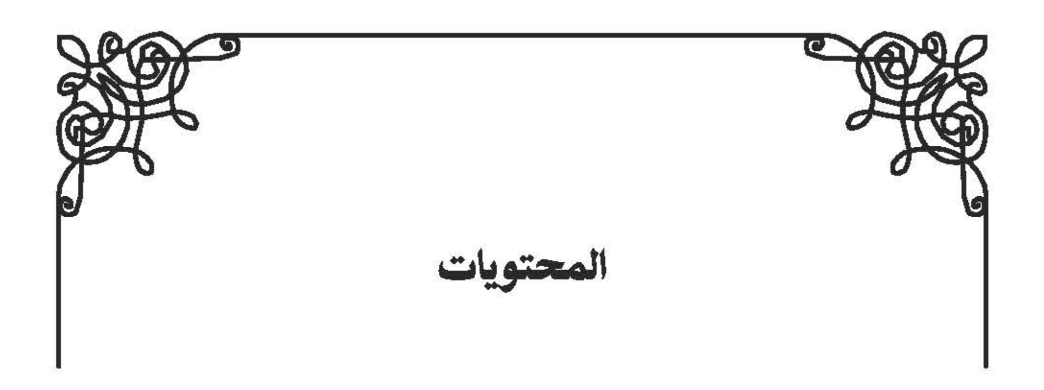
ولكي لا نُخطئ الفَهْمَ عن رسول الله ﷺ لا بُدَّ من أن نَسْتَحْضر الحقائق التي ذكرناها سابقاً، عندما نقرأ هذه الأحاديث النبوية وغيرها، وقد ربط رسول الله ﷺ ـ كما في كتاب الله ـ تحديدَ مصائِرِ الناس بنوعية أعمالهم، كما قال: **(كلٌ يَعْمَلُ لِما خُلِقَ له)**، **(اعملوا فكل ميسَّرٌ)**، إذاً: فأعمالُنا هي المرآة التي تتجلّىٰ فيها مصائرُنا وأقدارنا التي كتبها الله الحكيم العليم علينا، حَسْبما عَلِمَها مِنّا، بعلمه الأزَليِّ، بأنّنا سَنَقُوم بها ونَعْمَلُها بإرادتنا الحُرَّة، ونَخْتارُها خيراً كانت أو شرّاً، كما قال تعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت].

وفّقنا الله الكريم لِما يُحبّه ويَرْضاه، وجعلنا مِمَّن يتولّاهم برحمته، آمين.

وهنا ننهي الحديث عن موضوع الإيمان بالقدر. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٢٥/ صفر/ ١٤٢٦
٤ / ٤ / ٢٠٠٥
سجن أمريكا / كروبر
الإثنين، اليوم: (٦٣٥)، الشهر: (٢١)



المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑